AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

سَتُهزمون

الهدف - فلسطين - العدد 80 (1554) - فبراير / شباط 2026

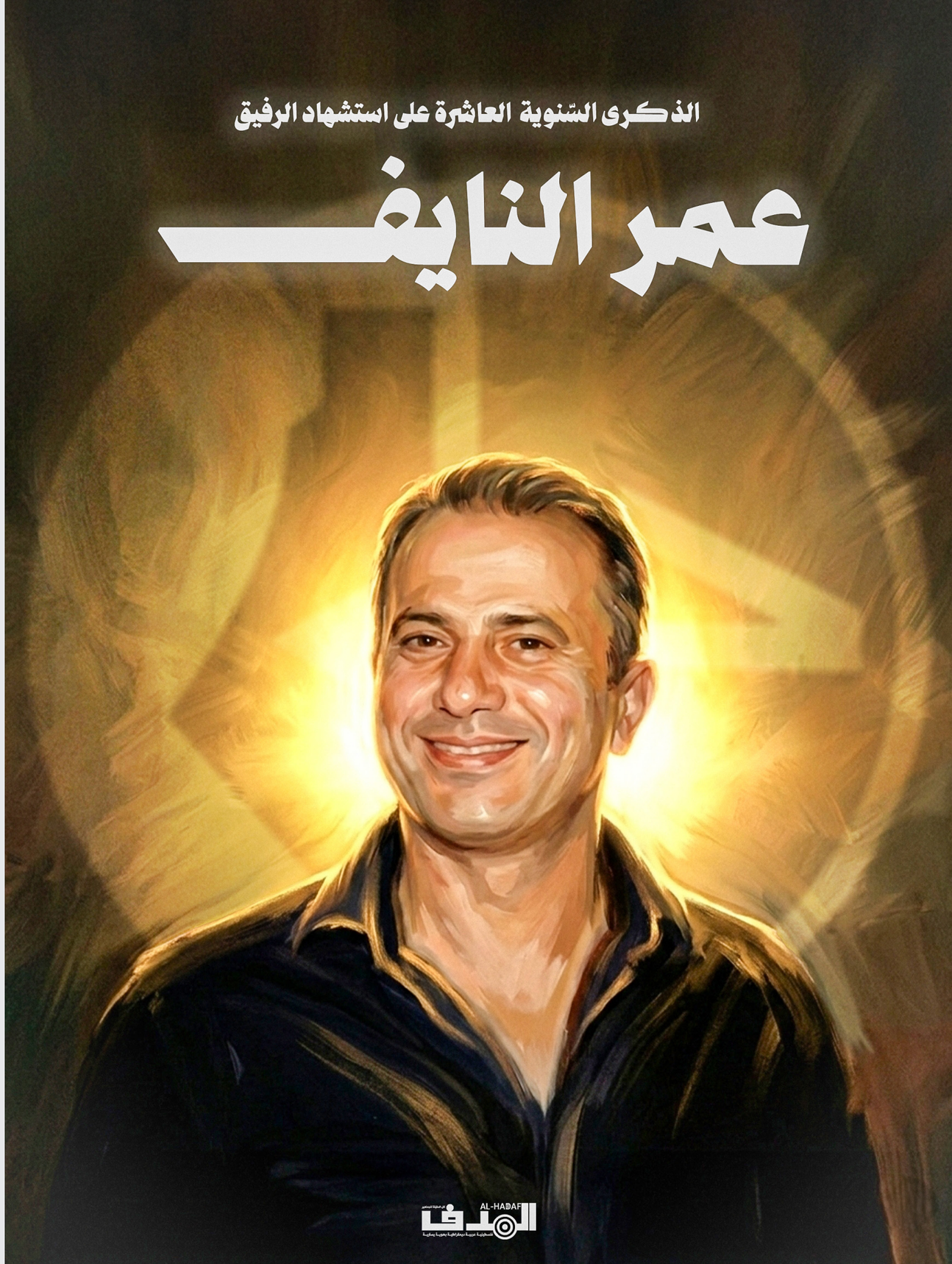

الذكرى السّنوية العاشرة على استشهاد الرفيق

عمر النايف

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غســان كنفــاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (80) - (1554) - شباط (فبراير) 2026

الافتتاحية		
• لا اجتهاد فيما تتعرض له فلسطين والمنطقة من مخاطر		2
شؤون فلسطينية		
• ورقة تفاهمات مشتركة (نحو وحدة وطنية واستراتيجية مواجهة شاملة)		4
• تصريح صحفي للجبهة الشعبية حول إطلاق النار على سمير سمارة		6
• بيان سياسي		6
• إسرائيل» تسطو على الضفة الغربية في إطار النظرية الحصرية لـ «أرض إسرائيل	نواف الزرو	7
• التحرر الوطني والديمقراطي والاجتماعي في متن المشروع الفلسطيني	محمد صوان	11
• غضب شعبي فلسطيني من التعديلات التي تنال من المنهاج التعليمي الفلسطيني	بسام عليان	13
• في الهدف: من يكتب التاريخ الفلسطيني الجديد		15
شؤون عربية		
• غروب شمس العرب: هل من الممكن إعادة إنتاج نهضة عربية؟	أبوعلي حسن	16
• استنزاف أو توازن	علي زيدان	17
• ما بعد الوجود الأمريكي في سوريا	عزيز موسى	19
شؤون دولية		
• أوكرانيا 2026: تحولات الحرب غير المتكافئة وإعادة هندسة الأمن القومي الأوروبي في المختبر الأوكراني	د. سعيد سلّام	21
• مغزى ودلالات تصريحات السفير مايك هاكابي	د. محمد عياش	25
• فخّ «مجلس السلام».. بين ادعاءات السلمية واستمرار العدوان	رضي الموسوي	27
• مجلس السلام ... بورصة ترامب للاستثمار	أحمد عويدات	29
• ثمانية وجوه للنظر في وثائق «إبستين»	وسيم السلطي	31
• ترامب – نتنياهو.. وقف الحرب واستمرار إطلاق النار	د. حمزة البشتاوي	33
شؤون العدو		
• جيش اللصوص: تمثيلات السقوط الأخلاقي للقوات الصهيونية	د. محمد عبد القادر	34
• خطوط صهيونية (خضراء - زرقاء - حمراء - صفراء).. خطر: القضاء على سردية تحرر فلسطين	نعيم ابراهيم	36
• بعد الإخفاق ... ما حاجة إسرائيل للحرب على قطاع غزة وجبهات أخرى؟	إبراهيم أبو ليل	37
• إسرائيل وعقدة الوجود	حسين موسى	39
• بين الفتوى والأمر العسكري: «جيش الرب» يبتلع هيئة الأركان	نبال عمر	40
• **دراسات الهدف:** دولة يهودية جديدة بديلة عن الكيان الصهيوني الراهن	عبد الله جناحي	41
• **تقرير الهدف:** فلسطين في شباط 2026: بين الاحتلال المتصاعد والمقاومة المتجذرة	موسى جرادات	46
• **ترجمات الهدف:** فضائح إبستين: اختفاء وثائق واتهامات تطال ترامب	ترجمة: نور نوارة	48
• **ترند الهدف:** أن تكون طفلاً في قطاع غزة!	ديمه داوودي	49
شؤون ثقافية		
• حوار مع: الروائية التونسية فتحية دبش	حوار: باسمة حامد	50
• الروائية مي جليلي: أكتب لأتنفس... نحن لا نموت بسهولة	وفاء حميد	52
• الأدب والفنون الفلسطينية الهوية والذات في حوار مفتوح مع العالم	أحمد طنيش	53
• غسّان كنفاني: الاستثناء بوصفه معياراً قيميّاً يتجاوز التصنيف	حامد محضاوي	54
• الدراما الرمضانية العربية وحرب الإبادة على غزة	د. ثائر يوسف عودة	56
• الحكاية الشعبية الفلسطينية من الحكايات الخرافية إلى حكايات المقاومة	أمينة عباس	58
• « ارقص كأنك النون» للكاتبة الفلسطينية سوزان الصعبي: رواية حرب وأمل	بسام سفر	60
• مسرح رمضان في فلسطين	جوان جان	62
• غابريل بعد الاجتياح	فراس عبدو	63
• ذكريات رمضانية من القدس وأكناف بيت المقدس	موسى سعيد مراغة	64
• قول في فيلم الهدف: زخم الوثيقة وجسارة الرؤيا	أحمد علي هلال	65
• صدر حديثاً: اغتصاب العقل	حسن شتيوي	67
• نشاطات أكاديمية دار الثقافة		68

الافتتاحية

لا اجتهاد فيما تتعرض له فلسطين والمنطقة من مخاطر

يبلغ التصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري ذروته على مستوى العالم والمنطقة، وتذهب الإدارة الأمريكية إلى أقصى مدى من التوتير والتهديد لحسم الصراعات مع دول وقوى دولية وإقليمية ذات شأن اقتصادي وعسكري وجيوبولوتيكي، تحت عنوان مصالح أمريكا أولاً وهي فوق كل اعتبار، وهذا ما ترتكز عليه استراتيجية الأمن القومي الأمريكي على مستوى الكرة الأرضية وخاصة النصف الغربي منها، عدا عن استراتيجيتها في الهيمنة على دول غرب آسيا والشرق الأوسط، لذا جاء اعتبار الامريكيتين والمحيطين الهادي والهندي مناطق نفوذ أمريكية خالصة، وبالتالي لا بد من مواجهة أي قوى دولية أو إقليمية تحاول المنافسة والمعارضة أو النيل من ذلك.

يتوجب على حلفاء أمريكا أيضاً أن يفهموا مكانة وأولوية الأمن القومي الأمريكي كقضية استراتيجية مركزية حتى لو تعارضت مع مصالحهم. إن مواجهة الصين وحصارها ومنع تمددها (خطة الحزام-الطريق) ووضع حد لتنامي قدراتها ومكانتها ودورها الاقتصادي والسياسي والتقني والعسكري هو الهدف الأمريكي الأول، أما الهدف الثاني هو إضعاف روسيا والحد من نفوذها واستنزافها اقتصادياً وعسكرياً من خلال العقوبات الاقتصادية المتصاعدة والمشددة، والاستثمار في حربها مع أوكرانيا، وتسعير تناقضاتها مع أوروبا ودول الجوار الأخرى.

أما أمريكا اللاتينية، فالتهديد والوعيد والتدخل العسكري هو التوجه الأمريكي المعتمد لإخضاع الدول هناك، وهذا ما حصل في فنزويلا، وما يتهدد كولومبيا والبرازيل وحتى المكسيك، وأيضاً كوبا المحاذية جغرافياً للقارة الأمريكية، وأبعد من ذلك يصل الأمر إلى جزيرة غرينلاند والمطالبة بضمها والسيطرة عليها وهي التابعة للدانمارك الدولة الحليفة لها في الناتو، أما تايوان ستبقى محمية أمريكية وشوكة في «خاصرة» الصين، ولا بد من حمايتها وتعزيز قدراتها العسكرية.

يبقى الشرق الأوسط وغرب آسيا حيث يبلغ الصراع ذروته أيضاً، وهذا الجزء الحيوي والاستراتيجي من العالم تسعى أمريكا ومعها الكيان الصهيوني إلى تغيير الخرائط الجغرافية والسياسية والأدوار والوظائف للدول الإقليمية الفاعلة والمؤثرة فيه بما يخدم مخططات الهيمنة والنفوذ الأمريكي، ويضمن أمن ومصالح الكيان الصهيوني الاستراتيجية، وهذا يعني تصفية القضية الفلسطينية، واستمرار محاصرة إيران وضربها بهدف تدمير قدراتها الدفاعية وبرنامجها النووي، والعمل على تغيير النظام فيها.

فلسطين هي الغائب الأكبر في الاستراتيجية الأمريكية وفي مجلس السلام العالمي، رغم كل ما تعرض له قطاع غزة من حرب إبادة وتطهير عرقي، وما تتعرض له الضفة والقدس من عمليات تدمير واقتلاع وسيطرة على الأرض واستيطان وتوغلات صهيونية وعنصرية يومية.

بعيداً عن المجتمع الدولي والأمم المتحدة والقانون والقرارات الدولية، وبغياب الدول الكبرى الصين وروسيا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها... يجتمع مجلس السلام العالمي ليقرر بأن قطاع غزة سيكون منطقة اقتصادية جيدة ومجالاً حيوياً للاستثمار العقاري بمسؤولية الإدارة الأمريكية ومساهمة دولية وإقليمية ، وستكون ضمن المجال الأمني الإسرائيلي، دون أي إشارة إلى وجوب وضرورة الانسحاب الإسرائيلي من أراضي القطاع، أو وقف الخروقات التدميرية والقاتلة المتكررة لوقف إطلاق النار، أو الضغط لتنفيذ وإدخال حزمة المساعدات الكمية والنوعية المتفق عليها .

بدعوة من الرئيس الأمريكي ترامب يجتمع مجلس السلام العالمي ويُستبعد من هذا الاجتماع وعن تشكيل هذا المجلس أي حضور للمستوى الرسمي الفلسطيني، بل يحضر السيد علي شعث الموظف المدير للجنة التكنوقراط الفلسطينية من دون الإشارة لأي رمزية فلسطينية (العلم الفلسطيني). عندما يقرر مجلس السلام العالمي استقطاع قطاع غزة من الخارطة الفلسطينية والكيانية الفلسطينية، ويحوله إلى منطقة استثمارية عقارية واقتصادية، هذا مؤشر إلى انسداد أي أفق سياسي لقيام دولة فلسطين. تغدو الأمور أكثر وضوحاً عندما تصدر الحكومة الإسرائيلية قانون بدء تسجيل الأراضي في الضفة الفلسطينية من قبل السلطات الإسرائيلية باعتبارها أراضي «دولة»، الأمر الذي سيتيح للمستوطنين شراء وتملك الأراضي في الضفة، وهذه لم تعد مجرد تصريحات لسموتريتش أو بن غفير حول اعتبار الضفة «أرض إسرائيلية»، بل هي ممارسة مادية وترجمة لأيديولوجيا توراتية استعمارية وعنصرية، ثم يصرّح السفير الأمريكي لدى الكيان الصهيوني هاكابي مؤكداً بأن لإسرائيل الحق في ضم الضفة الغربية وأجزاء من أراضي السعودية والعراق ومصر معلناً موافقته على خارطة إسرائيل الكبرى التي تحدث عنها مجرم الحرب نتنياهو (العضو في مجلس السلام العالمي).

يتعدى الخطر القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني على أرض فلسطين، والكيانية والهوية الفلسطينية ليصل إلى تهديد أرض وسيادة دول وعواصم عربية وإقليمية، وهذا مخطط حقيقي وحاضر في الأجندة الصهيو- أمريكية.

لم يعد من خيار إلا المواجهة الشاملة لهذه المخططات العدوانية والعنصرية، وهذا برسم دول وشعوب المنطقة وهي المعنية بالدفاع عن الأرض والكرامة والسيادة، ولم تعد المقاومة شأناً فلسطينياً فقط رغم أن ذلك خياراً استراتيجياً لها يجب أن يلتف كل الفلسطينيين حوله ويجب أن يكون هو العنوان الرئيسي للحوارات الوطنية القادمة وفقاً لما جاء في ورقة التفاهمات المشتركة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة التحرير الوطني الفلسطيني ـ فتح، باعتبار أن طبيعة المرحلة هي مرحلة تحرر وطني. كما يتوجب أن يكون خيار المقاومة بأشكالها المختلفة شأن كل الشعوب ودول العرب والمنطقة.

ولنا في شعوب العالم أنصاراً داعمين لفلسطين وقضايا العدل الحرية يشكلون عمقاً عربياً وأممياً حيوياً تمثل بالحراك الشعبي العالمي، الذي انتصر لسردية الحق الفلسطيني والرواية التاريخية الفلسطينية في مواجهة زيف الرواية وفظائع الجرائم الصهيونية وحرب الإبادة والتطهير العنصري، وسيستمر هذا التضامن العالمي بطرق مختلفة ولعل أسطول الصمود الأممي الشهر القادم سيشكل ملحمة عالمية بالتضامن والتلاحم مع نضالات وتضحيات وثبات وصمود شعبنا في قطاع غزة وكل فلسطين.

ورقة تفاهمات مشتركة

(نحو وحدة وطنية واستراتيجية مواجهة شاملة)

صادرة عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في ظل التحديات الخطيرة التي تتعرض لها القضية الفلسطينية، وانطلاقاً من المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتق القوى الوطنية، عقدت قيادة حركة فتح وقيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لقاءً وطنياً في سفارة دولة فلسطين في القاهرة، وقد أسفر هذا اللقاء عن بلورة رؤية وطنية مشتركة، تُشكّل أرضية للحوار الوطني الشامل، وتعزز وحدة الموقف الفلسطيني في مواجهة المخاطر الراهنة. كما شكّل اللقاء محطة أولية لمراجعة مسار العمل الوطني الفلسطيني في ضوء المتغيرات المتسارعة.

وفي هذه اللحظة التاريخية الفاصلة يتعرض شعبنا إلى حرب شاملة تستهدف أرضه ووجوده ومشروعه الوطني، بهدف كسر الإرادة وتفكيك الهوية وتصفية القضية وشطب الحقوق وفرض وقائع استعمارية نهائية تمس جوهر الوجود وتضعنا أمام تحديات مصيرية:

1. حرب الإبادة الشاملة التي تستهدف الوجود الفلسطيني من خلال عمليات القتل والتدمير والتهجير المنظم، ومصادرة الأراضي، وسياسات الضم والتوسع الاستيطاني، التي تستهدف تصفية كيانيتهم السياسية والتمثيلية وقطع الطريق على شعبنا في النضال من أجل إنهاء الاحتلال وانتزاع حقه في العودة وتقرير المصير.

2. تصاعد السياسات الاحتلالية الساعية لفرض وقائع أحادية في الضفة الغربية بما فيها القدس، وتدمير أي إمكانية لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وضم الأرض وضرب كل مقومات الحياة بهدف اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وحصارهم في معازل أمنية وعرقية.

3. استمرار العدوان الشامل والحصار المفروض على قطاع غزة، بما يفاقم المعاناة الإنسانية ويقوّض صمود المواطنين وتفكيك مجتمعهم وفرض خيار الهجرة « الطوعية» أو التهجير القسري.

4. محاولات لفرض وصاية خارجية أو ترتيبات أمنية تنتقص من الحقوق والأرض والكيانية الوطنية والهوية ووحدانية التمثيل واستقلالية القرار الوطني الفلسطيني، وإقرار السياسات التي تؤدي إلى فرض وصاية على شعبنا، كما جاءت عليه وثيقة ما يسمى «مجلس السلام العالمي».

5. الهجمة المسعورة لتصفية قضية اللاجئين، والتي طالت في الفترة الأخيرة وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) ومؤسساتها كافة، وتدمير وإفراغ وتهجير المخيمات الفلسطينية في الضفة، بهدف تصفية قضية اللاجئين وحق العودة.

6. محاولات اختزال القضية الفلسطينية في أبعاد إنسانية ومعيشية برغم أهميتها، على حساب جوهرها كقضية تحرر وحقوق سياسية وطنية.

7. خطر الانقسامات الداخلية السياسية والمجتمعية، وما يشكّله ذلك من عائق أمام تحقيق الوحدة الوطنية ووحدة الأرض والشعب والقضية، الأمر الذي يوفر المزيد من الفرص لتمرير مشاريع الاحتلال التصفوية.

8. التحدي الاستراتيجي المتمثل في مدى قدرة الحالة الوطنية الفلسطينية على استثمار الوعي الشعبي الدولي المتنامي بعدالة القضية كقضية تحرر وطني، وتحويله إلى ضغط سياسي ملموس، مع التحذير من أضرار ضياع هذه الفرصة التاريخية في ظل التعقيدات الميدانية والسياسية.

إن مواجهة هذه التحديات، واستثمار الفرص المتاحة، يتطلبان انتقالاً فورياً من مربع الانتظار إلى مربع الفعل الوطني المنظّم. وانطلاقاً من ذلك، يتفق الطرفان على وجوب الانطلاق مع الكل الوطني في تنفيذ ما يلي:

أولاً: إعلان الاستراتيجية الوطنية:

إن هذه التحديات تستوجب مواجهتها باستراتيجية وطنية، توافقية، تخدم صمود شعبنا في كل مواقع وجوده، وتسمح لكل شرائحه بالانخراط الفعال في النضال، وهذا يتطلب اعتماد المقومات السياسية التالية:

1. برنامج سياسي يقوم على إنهاء الاحتلال وحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير، بما في ذلك إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس، وضمان حق عودة اللاجئين الفلسطينيين وفق القرار 194.

2. الحفاظ على وحدة مكونات الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات، باعتبارها ركيزة أساسية للمشروع الوطني، على قاعدة شمولية التمثيل السياسي، وصون الحقوق الوطنية غير القابلة للتصرف.

3. التحرك على الصعيد الدولي لعقد مؤتمر دولي بصلاحيات كاملة، يهدف إلى تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية، خاصة في ظل اعتراف (160) دولة بدولة فلسطين.

4. تفعيل العمق العربي والإسلامي كحاضنة حيوية تقف سداً منيعاً أمام محاولات التصفية، من خلال تعزيز الروابط مع الدول وكل القوى الحية والنقابات والمؤسسات الشعبية العربية.

5. استثمار التحول التاريخي في الرأي العام العالمي من أجل تعزيز الروابط مع الحراكات الشعبية في القارات الست، لترسيخ الرواية الفلسطينية ومحاصرة الاحتلال سياسياً وقانونياً وأخلاقياً في كافة المحافل الدولية.

6. مواجهة مخططات التهجير والاقتلاع والضم والتوسع الاستيطاني والتهويد، وحماية المدنيين في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، وتعزيز صمودهم وقدرتهم عبر تفعيل القيادة الوطنية الموحدة للمقاومة الشعبية.

7. صياغة خطاب وطني موحد يعزز صمود الجبهة الداخلية، ويقوّي الثقة بين المواطنين والمؤسسات والقوى السياسية.

8. التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وقائدة نضاله، وهذا يتطلب تفعيل مؤسساتها على أسسٍ وطنية وديمقراطية تشاركية، مع ضمان تمثيل شامل لكافة القوى والمكونات الوطنية، باعتبارها المرجعية السياسية العليا للشعب الفلسطيني.

ثانيًا: منظمة التحرير الفلسطينية وترتيب البيت الداخلي:

وفي إطار شمولية النظام السياسي الفلسطيني، يؤكد الطرفان على ما يلي:

-1 بعد استكمال الحوار الوطني الشامل يجتمع (الأمناء العامون) بشكل منتظم، لمتابعة تنفيذ مخرجات الحوار الوطني الشامل.

-2 إجراء انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني وفق قانون التمثيل النسبي الكامل في الداخل وحيثما أمكن في الخارج، وبالتوافق إذا تعذر ذلك.

-3 التأكيد على تفعيل النقابات والاتحادات الشعبية.

ثالثاً: الحكومة والمرحلة الانتقالية:

انطلاقاً من ضرورة توحيد المؤسسات وتعزيز وحدة النظام السياسي، يتفق الطرفان على:

1. اعتماد لغة الشراكة والحوار للوصول لمسار وطني ديمقراطي شامل لإدارة المرحلة الانتقالية في غزة، لحين تشكيل حكومة توافق وطني، بعيداً عن الوصاية أو التدخل الخارجي الذي يمس السيادة والقرار الوطني ووحدة الجغرافيا الفلسطينية.

2. تفعيل دور المجالس المحلية والبلديات عبر الانتخابات، بوصفها أدوات أساسية لتعزيز الصمود الشعبي وتقديم الخدمات الأساسية للمواطنين.

رابعاً: المعالجات الإجرائية والمجتمعية:

يؤكد الطرفان أن تهيئة البيئة الوطنية السليمة تتطلب اتخاذ إجراءات عاجلة، من بينها:

1. ضمان حرية العمل التنظيمي والنقابي والسياسي لكافة الفصائل والقوى السياسية في جميع الأراضي الفلسطينية.

2. إنشاء صندوق صمود وطني لدعم العائلات المتضررة من العدوان والاستيطان وتعزيز صمود المناطق المستهدفة، بعيدًا عن أي تجاذبات أو اقصاء وتهميش.

3. صون وحماية حقوق الشهداء والأسرى، وفاءً لتضحياتهم وتعزيزاً لدورهم ومكانتهم عبر التاريخ الوطني الفلسطيني.

4. تشكيل لجنة وطنية عليا لمتابعة تنفيذ هذه التفاهمات، ومعالجة أي إشكالات ميدانية أو سياسية قد تطرأ بشكل فوري ومسؤول.

5. بعد إنجاز الحوار الوطني الشامل يجري التوقيع على ميثاق شرف، يضمن التزام الكل الوطني بمخرجات الحوار.

إن حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إذ تضعان هذه الورقة أمام شعبنا الفلسطيني، تؤكدان أنها مبادرة وطنية مفتوحة للنقاش والتطوير مع جميع القوى والمكونات، وتهدف إلى تعزيز منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا وتعزيز الشراكة الوطنية، وصون الكيان والهوية والقرار الوطني المستقل، وصولًا إلى تحقيق الحرية والعودة وتقرير المصير، وتجسيد الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
«فتح»
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

القاهرة – الثلاثاء 2026/2/10

تصريح صحفي صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حول إطلاق أجهزة أمن السلطة النار على عائلة المطارد «سمارة» في طوباس

• تؤكد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن إقدام عناصر من أجهزة أمن السلطة على إطلاق النار على مركبة كان يستقلها المطارد سامر سمارة مع زوجته وأولاده في طوباس، مما أدى إلى استشهاد نجله علي، وإصابة طفلته (3 أعوام) في رأسها، هو حدث مؤلم وخطير يتجاوز الأعراف الوطنية والمجتمعية، ويُمّثل مساساً بالتضحيات التي يُقدمّها شعبنا يومياً في مواجهة الاحتلال.

• إن الدماء التي سُفكت اليوم تستوجب تحقيقاً جاداً ومساءلة واضحة لكل من ثبت تورطه في هذه الحادثة؛ إذ لا يمكن التعامل مع هذه الواقعة دون إجراءات قانونية ومسؤولة.

• نطالب السلطة وأجهزتها الأمنية بوقف كل أشكال الاعتقال السياسي، وبمراجعة هذه السياسة الأمنية التي تثير رفضاً وغضباً واسعاً، والتي تتسبب في إحداث توترات داخلية، وتدفع بساحتنا الفلسطينية نحو انقسام داخلي لا يخدم سوى الاحتلال.

• ندعو القوى الوطنية والإسلامية وفعاليات شعبنا في طوباس وكافة محافظات الضفة، لاتخاذ موقف مسؤول يساهم في معالجة هذا الوضع، وبما يحمي أبناءنا المناضلين وعائلاتهم من الملاحقات الأمنية المرفوضة.

• إن الجبهة الشعبية تؤكد أن بوصلة السلاح يجب أن تظل موجهة نحو العدو الصهيوني وحده، وأن أي انحراف عنها يُمّثل خطوة بالغة الخطورة على مسار قضيتنا ووحدتنا الوطنية.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دائرة الإعلام المركزي
16 شباط (فبراير) 2026

بيان سياسي صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الرفاق في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الماركسي الكيني
تحية رفاقية أممية

تتقدم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم أمينها العام الرفيق أحمد سعدات والرفيق جميل مزهر نائب الأمين العام للجبهة وكافة كوادرها في فلسطين المحتلة والشتات ببرقية التضامن الأممي مع الرفاق في الحزب الشيوعي الماركسي الكيني وجماهيره العمالية والكادحين في كينيا، في مواجهة حملة القمع الوحشي التي تقودها أجهزة الدولة الكينية التابعة والمرتبطة بالمركز الإمبريالي العالمي.

وإذ تدين الجبهة الشعبية عملية اختطاف وتعذيب واعتقال الرفيق بوكر نغيسا أومولي الأمين العام للحزب الشيوعي الماركسي الكيني، فهي تؤكد أن ذلك يشكل جريمة سياسية وتعكس حالة الذعر التي تعيشها الطبقة الحاكمة أمام تصاعد الوعي والمد الثوري في صفوف العمال والفلاحين والشباب، وترى في هذه الممارسات نهجاً للسلطة القمعية وامتداداً مباشراً للسياسات الإمبريالية من أجل فرض الهيمنة على الشعوب من خلال ضرب القوى التقدمية وتجريم النضال التحرري، وبالتالي تحويل العنف إلى أداة لإدارة وإخضاع الشعوب.

إن اختطاف الأمين العام للحزب الشيوعي الماركسي الكيني بعد وقوف الحزب بشكل واضح في وجه التغلغل الصهيوني في كينيا، وكشفه عن تأجير أراضي للكيان الصهيوني من أجل البدء بإنشاء مستوطنة صهيونية في كينيا قبل أسابيع قليلة يؤكد أنه لا يمكن فصل ما يجري في كينيا عن التغلغل الصهيوني المتسارع في أفريقيا، حيث يعمل الكيان الصهيوني على تصدير خبراته القمعية ونماذجه الأمنية التي راكمها عبر الاستعمار الاستيطاني في فلسطين مستهدفاً الحركات الشعبية والقوى التقدمية والثورية عبر التدريب الأمني والتكنولوجيا الرقابية وبناء الشراكات مع الأنظمة التابعة.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدين بأشد العبارات جريمة اختطاف وتعذيب واعتقال الرفيق بوكر نغيسا أومولي وتطالب بالإفراج الفوري عنه وعن جميع المعتقلين السياسيين. كما تحيي الجبهة صمود وكفاح الحزب الشيوعي الماركسي الكيني ضد الهيمنة الإمبريالية والتغلغل الصهيوني، وتدعو القوى التقدمية وحركات التحرر في العالم إلى تصعيد التضامن الأممي مع نضال الشعب الكيني وفضح الدور الإمبريالي الصهيوني في أفريقيا، والتأكيد على وحدة النضال في مواجهة عدو واحد هو الإمبريالية والصهيونية وشركاتهم في القمع والتحكم في إرادة الشعوب.

الحرية للرفيق بوكر نغيسا أومولي
المجد للنضال الأممي
يسقط الاستعمار، تسقط الإمبريالية تسقط الصهيونية

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب السياسي
27 شباط (فبراير) 2026

«إسرائيل» تسطو على الضفة الغربية في إطار النظرية الحصرية لـ «أرض إسرائيل»

الخلفيات الاستراتيجية والأيديولوجية للإجماع الصهيوني على تخليد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني

نواف الزرو ـ كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ الأردن

في ضوء قرارات حكومة الاحتلال الأخيرة بإلغاء العمل بالقوانين الأردنية التي تنظم المعاملات المتعلقة ببيع وشراء الأراضي والتي تسمح للاحتلال بالاستباحة الكاملة لأراضي الضفة، تفرض علينا تطورات الأحداث والهجمات الصهيونية الشرسة في كل الأماكن الفلسطينية أن نعود ونذكر: الأمر الذي يجب أن يكون واضحاً تماماً أن المواجهة الوجودية مع مشروع الاحتلال الصهيوني لن تنتهي عند «ما يجري في غزة»، فهذه جبهة من جبهات المواجهة الشاملة مع العدو، فالمعركة الجارية المحتدمة على مدار الساعة على امتداد مساحة القدس مثلاً: في الشيخ جراح وباب العامود والأقصى وسلوان والبستان وبطن الهوى، وكذلك في مخيمات الشمال وفي أنحاء الضفة الغربية هي معركة حياة أو موت على الأرض والتاريخ والوجود.

فوفق معطيات المشهد المتحركة في كل ساعة ولحظة، فإن ما يجري على أرض القدس والضفة الغربية هو سطو صهيوني مسلح على الأرض والتاريخ والتراث، وهو انتهاك صارخ متواصل لكافة المواثيق والقرارات الدولية، واستخفاف بالأمة والدول والأنظمة العربية واحتقار سافر لها وللقوانين الدولية.. وما يجري تغطيه دولة الاحتلال بالقوة الغاشمة..!، ويمكن أن نقول إن تلك الدولة ترتقي إلى مستوى أكبر مافيا على وجه الكرة الأرضية لسرقة الأوطان والأراضي والممتلكات بالبث الحي والمباشر وعلى مرأى من العالم كله... فما يفعله الصهاينة في هذه الأيام على امتداد مساحة الضفة الغربية، أنهم يشنون حروباً مفتوحة على الوطن والشعب العربي الفلسطيني، ويشنون حرباً من نوع خاص بهم على الأرض الفلسطينية تستهدف الاستيلاء الكامل عليها من بحرها إلى نهرها على أنقاض شعبها وحقوقه التاريخية فيها..

والمعركة الجارية المحتدمة على مدار الساعة على امتداد مساحة فلسطين وفي الضفة الغربية على نحو حصري هي معركة حياة أو موت على الأرض والتاريخ والوجود، والدعم والغطاء الأمريكي الرسمي الممنوح للكيان- منذ عام -1967 بأن «الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية لا يتعارض مع القانون الدولي- أي إنه شرعي»، يفترض أن يفتح ملف الاستيطان اليهودي على أوسع نطاق ممكن ومناقشته من أجل تسليط المزيد من الضوء عليه، باعتباره غير شرعي، وأنه عملية كولونيالية كاملة تتعارض مع كافة القرارات والمواثيق الأممية؛ فوفق معطيات المشهد المتحركة في كل ساعة ولحظة، فإن ما يجري على أرض القدس والضفة الغربية هو سطو صهيوني مسلح على الأرض والتاريخ والتراث، وهو انتهاك صارخ متواصل لكافة المواثيق والقرارات الدولية، واستخفاف بالأمة والدول والأنظمة العربية واحتقار سافر لها وللقوانين الدولية.. وما يجري تغطية دولة الاحتلال بالقوة الغاشمة..!

وليس ذلك فحسب، فهم يغطون عمليًا السلب والنهب والسطو المسلح والجرائم بالأيديولوجيا والأساطير الدينية؛ فالحاخام ياكوف سافير يعبر عن ذلك قائلًا: «إن الانتقادات الدولية للاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية سخيفة، لأن الله هو الذي وعد اليهود بهذه الأرض وعلى العرب أن يرحلوا إلى مكان آخر». ويضيف: «إن هذه الأرض هي أرض يهودية- إنها ديارنا».

لذلك، وبينما هناك قرارات أممية ترفض الاستيطان الصهيوني، إلا أن «إسرائيل» تستحضر دائمًا وتعمل وفقًا لتلك المعادلة في العلاقات الدولية التي كان وضعها بن غوريون كما يلي: «ليس المهم ما يقوله الغوييم- أي العرب والعالم- وإنما المهم ما يفعله اليهود...!». فالذي يجري هناك إذن، بات يتجاوز ما نراه في ضوء النهار على أنه احتلال، فهو وفق تحليل لأورن يفتاحئيل

أستاذ الجغرافيا السياسية والقانونية في جامعة «بن غوريون» في بئر السبع أبعد من ذلك، فـ «تقرير القاضي إدموند ليفي» الذي فاجأ الكثيرين حين ادعى أن منطقة «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية) ليست تحت احتلال، ولذلك يجب إعطاء شرعية قانونية لكل المواقع الاستيطانية والمستوطنات، سيكون هو الملهم للدولة والمستعمرين اليهود في الضفة الغربية»، ويضيف «قد يكون القاضي ليفي محقاً في أمر واحد... فربما أن مصطلح «احتلال» لم يعد يلائم النظام القائم في «يهودا والسامرة»؟ ويوضح: «ما أدعيه هو أن الاحتلال تحول منذ زمن إلى عملية كولونيالية أعمق بكثير، تشمل سيطرةً وسلبًا واستيطانًا وأسرلةً دائمةً للمنطقة ومواردها، وكل ذلك وسط إبقاء السكان الفلسطينيين في مكانة دونية، فالاحتلال هو احتلال عسكري ومؤقت، على غرار الاحتلال في جنوب لبنان، دون طرد أو سلب أو استيطان مدني دائم».

وكتب زئيف شترنهل في صحيفة «هآرتس» إن توجه الحكومة الإسرائيلية في الضفة ينبع أساسًا من نظرية الملكية الحصرية لـ «أرض إسرائيل»، وبحسب هذه النظرية، فإن الدولة ليست قائمة من أجل ضمان الديمقراطية والمساواة وحقوق الإنسان والحياة العادلة للجميع، وإنما قائمة من أجل ضمان السيطرة اليهودية على «أرض إسرائيل» وضمان عدم قيام أي كيان سياسي مستقل آخر، ويخلص إلى أنه لهذا السبب فكل شيء مسموح، ولا «يوجد ثمن أكبر من اللازم».

***إجماع إسرائيلي على تخليد الاحتلال وضم الضفة...!**

وفي سياق نظرية الملكية الحصرية لـ «أرض إسرائيل»، ترسخ في الوعي السياسي الإسرائيلي المتبلور «أن هناك إجماعاً في إسرائيل على تخليد الاحتلال للضفة» كما أكد الكاتب والمحلل الإسرائيلي ألوف بن في هآرتس ، مضيفاً: «قد أخذ يتبلور في إسرائيل إجماع على أن الانسحاب من الضفة الغربية لم يعد ممكناً، وقد يمكن إبعاد الفلسطينيين عن الأعين بجدار الفصل، لكن لا يمكن التحرر من السيطرة عليهم، وأن الجميع يشتركون في هذا الاستنتاج، في جميع المعسكرات وفي جميع الأطراف السياسية، وأن القدس عاصمة للشعب اليهودي وإسرائيل كما كانت منذ 3 آلاف عام».

نتنياهو لا بديل عن السيطرة الإسرائيلية الدائمة على الضفة الغربية.

ويذهب نتنياهو أوضح من ذلك ليؤكد «أن لا بديل عن استمرار السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية».

ونقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن نتنياهو قوله بعد اجتماعه مع وزيرة الخارجية الأميركية السابقة- كوندوليزا رايس في القدس قوله: «لا أحد ولا حتى أبو مازن يستطيع القيام بعملنا. إذا ما خرج جيشنا من المنطقة فإن «حماس» وإيران ستدخلان إليها».

وتحدى نتنياهو العالم العربي، قائلاً:» لن تستطيعوا هزيمتنا طالما بقينا فوق جبال الضفة الغربية، ونحن لا يجب علينا أن ننسحب من هضبة الجولان بل علينا البقاء فيها».

وقال نتنياهو «إن هناك حاجة إلى اتفاق سلام يصمد أمام إعادة فتح جبهة شرقية من جهة العراق، خاصة وأنه يوجد في الشرق الأوسط «رمال متحركة» والأوضاع تتغير، وأن هناك حاجة لاتفاق يصمد أمام هذه التغييرات»، كما نقل عنه قوله إنه في حال تم وضع ترتيبات أمنية مناسبة في إطار المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، فإنه سيكون على استعداد للتوصل إلى حل دائم بشأن كافة القضايا الجوهرية.

نتنياهو للفلسطينيين: لا تحلموا بالقدس ولا بعودة اللاجئين

وليس ذلك فحسب، فقد كان نتنياهو أعلن: «أريد أن أقول من هنا من على منصة الكنيست لكل شعب إسرائيل أن الليكود يسعي لتحقيق السلام ولكن التاريخ أثبت أن السلام يتحقق انطلاقاً من القوة وليس من الضعف ووفقاً لقراءة صحيحه للواقع»، ويذهب نتنياهو أوضح من ذلك ليؤكد «أن لا بديل عن استمرار السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية»، ونقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن نتنياهو قوله: «لا أحد ولا حتى أبو مازن يستطيع القيام بعملنا. إذا ما خرج جيشنا من المنطقة فإن «حماس» وإيران ستدخلان إليها».

وتحدى نتنياهو العالم العربي، قائلاً:» لن تستطيعوا هزيمتنا طالما بقينا فوق جبال الضفة الغربية، ونحن لا يجب علينا أن ننسحب من هضبة الجولان بل علينا البقاء فيها».

فالأصل في الوعي السياسي الإسرائيلي المتبلور «أن هناك إجماعاً في إسرائيل على تخليد الاحتلال للضفة» كما أكد الكاتب والمحلل الإسرائيلي ألوف بن في هآرتس ، مضيفاً: «قد أخذ يتبلور في إسرائيل إجماع على أن الانسحاب من الضفة الغربية لم يعد ممكناً، وقد يمكن إبعاد الفلسطينيين عن الأعين بجدار الفصل، لكن لا يمكن التحرر من السيطرة عليهم، وأن الجميع يشتركون في هذا الاستنتاج، في جميع المعسكرات وفي جميع الأطراف السياسية، وأن المشترك لهذه المواقف من اليسار واليمين هو أنها تُخلد الوضع القائم، مع عشرات المستوطنات، ومئات الحواجز وآلاف الجنود وراء الجدار».

وزير الخارجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان يعترف أنه «يريد محو القضية الفلسطينية من قاموس وزارته»، وكرر تصريحات سابقة قائلاً «يهمنا إزالة الموضوع الفلسطيني عن جدول الأعمال بقدر ما نستطيع، وهذه أجندة سياسية بالأساس»، وأضاف «مرّ 16 عاماً منذ أوسلو لكن لا يوجد احتمال للتوصل إلى أي اتفاق شامل بإمكانه حل المشاكل بعد 16 عاماً آخر أيضاً- يديعوت أحرونوت/ الجمعة 4 / 09 / 2009 ».

« السلام المستحيل» في الاستراتيجية الإسرائيلية...؟

الاستراتيجية الإسرائيلية تقوم منذ بدايات الدولة الصهيونية على كسب الوقت وبناء وتكريس حقائق الأمر الواقع الاستيطاني التهويدي وإحكام القبضة الأمنية العسكرية استراتيجياً على فلسطين والمنطقة، كما تسعى تلك الاستراتيجية تفاوضياً منذ بدايات عملية المفاوضات إلى «خفض سقف الطموحات الفلسطينية».

وترفض «الجداول الزمنية والمواعيد المقدسة- أي الملزمة- في المفاوضات، وهناك إجماع سياسي إسرائيلي بين كافة الأحزاب المؤتلفة في الحكومة أو الخارجة عنها على رفض الجداول والمواعيد، بينما تصر السياسة الإسرائيلية دائماً على مواصلة المفاوضات...هكذا من أجل المفاوضات..

إلى كل ذلك ، وفي أحدث تطورات المشهد الفلسطيني، طالبت قيادة المستوطنين الحكومة الإسرائيلية بضم الضفة الغربية، وقال موطي يوجاف، نائب رئيس مجلس المستوطنات، إن «اتفاقيات أوسلو أصلًا هي مجرد وهم أوقعنا فيه قادة ذلك العصر من الفلسطينيين والإسرائيليين، لكن الواقع يشير إلى أن العداء يستفحل بين الطرفين، وأن الفلسطينيين لم يقبلوا إسرائيل بشكل حقيقي، وقد حذرنا يومها، نحن المستوطنين، بشدة من هذا الوهم لكن أحدًا لم يسمعنا، لذلك، فإنه ينبغي على كل عاقل في إسرائيل أن يرحب بإلغاء أوسلو من الطرف الفلسطيني، ويضع حدًا لكذبة السلام الموهوم، ويؤيد مطلب المستوطنين بأن تضم الضفة الغربية كلها إلى السيادة الإسرائيلية»، وأضاف لمطلبه مسحة دينية، إذ قال «لقد وهبنا الله كل أرض إسرائيل، ونحن ملزمون بالوفاء بهذا الوعد وعدم التخلي عن هذه الأرض المقدسة لأعدائنا».

***عملية الاستيطان الجارية الاشرس تاريخياً..!.**

وحسب المعطيات الماثلة، فإن عملية الاستيطان الجارية هي الأشد والأشرس والأقسى تاريخيًا؛ فـ «إسرائيل» تقيم في الضفة نظامًا كولونياليًا استعماريًا عسكريًا إسبارطيًا، يحوّل المستوطنين إلى دويلة أو إلى «إسرائيل2-»، يجعل من المستوطنين أسياد الأرض الحقيقيين، وتقول ورقة عمل لمركز الدراسات والسياسات «إن موجة التمدد الاستيطاني جزء من إستراتيجية شاملة لسلخ أكثر من 60% من أراضي الضفة عن الفلسطينيين»، ويرى الفريق الذي أعد الورقة «أن موجة التمدد- التي هي جزء من إستراتيجية إسرائيلية شاملة تجاه الضفة- هدفها حشر الفلسطينيين في حدود مدنهم وقراهم في منطقتيْ «أ» و «ب» وفق اتفاقيّة أوسلو، وسلخ أكثر من 60% من أراضي الضفة عنهم (وهي المشمولة في المنطقة «ج») وأن إسرائيل- وبمحاكمها- تتصرف كأنها تقوم بعملية ضمّ للمناطق «ج» دون سكانه».

إلى كل ذلك، تتعامل دولة الاحتلال الكولونيالي في الضفة الغربية وكأن هذه الأرض جزء لا يتجزأ إذًا من «أرض إسرائيل»، وعلى أنها تخضع للسيادة الإسرائيلية، لذلك ترخي العنان لمستعمريها وبلدوزراتها ليعيثوا فسادًا وتخريبًا وهدمًا وتدميرًا واستيطانًا في كل بقعة على امتداد مساحة الضفة؛ فهناك حرب حقيقية تستعر على الأرض في الضفة كان وصفها أوري أفنيري رئيس تحرير مجلة «هعولام هزيه» سابقًا رئيس كتلة «السلام الآن» في معاريف قائلًا: «إن الحرب الحقيقية تدور رحاها على الأرض في أنحاء الضفة الغربية والقدس، وأسلحتها تتكون من: الخرائط والقرارات، والأوامر العسكرية، وهي حرب مصيرية يتعلق بها مصير ومستقبل ملايين الفلسطينيين، فإما الحياة أو الموت»، وفي مقالة أخرى له نشرتها صحيفة معاريف يوم أكد أفنيري مرة أخرى: «أن مفاوضات التسوية الدائمة ستار من الدخان يتواصل خلفه النزاع الإسرائيلي _ الفلسطيني بكل عنفوانه، وتشن إسرائيل معركة حثيثة لترسيخ السيطرة الإسرائيلية في كل أرجاء الضفة الغربية، فما يجري على الأرض يفوق بكثير كل ما ينعكس في وسائل الإعلام، إذ تتواصل في كل أرجاء المناطق المحتلة، معركة ترمي إلى تحويل كل قرية أو مدينة فلسطينية إلى جيب منقطع محوط بمناطق سيطرة إسرائيلية، هذه ليست من عمل متعصبين مجانين، بل معركة مخططة جيدًا تتواصل في عهد الليكود والمعراخ على حد سواء، والهدف منع كل إمكانية لإقامة دولة فلسطينية حقيقية مستقلة». ويجمعون في الكيان الإسرائيلي على استعمار الضفة الغربية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وجنرالاتهم يقولون: «إن الاستيطان بمثابة جزء لا يتجزأ من الأمن الكلي لإسرائيل، فمساهمة المستوطنات في أمن إسرائيل لا تقل أهمية عن القواعد العسكرية»، وهنا يتكامل الاستيطان مع الأمن في الرؤية الإسرائيلية.

أما عميرة هاس مراسلة هآرتس للشؤون الفلسطينية والمناهضة لسياسات الاستيطان والتهويد، ففصلت في هذه الحرب أكثر وكتبت في هآرتس 2022/9/30 موثقة: «لاستيعاب التدمير الموجود في التخطيط الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية ومهنة التدمير المضنية، يجب أن نربط الحقائق التي وضعتها حكومات إسرائيل طوال السنين بآلاف النقاط، بل الملايين: بدءًا بالأمر العسكري من العام 1971 الذي ألغى صلاحيات التخطيط للمجالس المحلية الفلسطينية، الذي هو ساري المفعول حتى الآن في 60 في المئة تقريباً من أراضي الضفة؛ ومصادرة الأراضي للاحتياجات الأمنية التي تم تحويلها للمستوطنات التي تنتهك القانون الدولي؛ وحظر البناء والتطوير الذي فرض على الفلسطينيين؛ والشوارع التي تبتلع البيئة والأراضي الزراعية التي صودرت لاحتياجات عامة لصالح كل مستوطنة معزولة؛ بعد ذلك جاء الطريق السريع "أ لا كاليفورنيا" الذي يربطها مباشرة مع إسرائيل، وشارع معبد جديد ولامع يربط قلب المستوطنات بأحيائها والبؤر الاستيطانية التابعة لها، التي أقيمت على بعد بضعة كيلومترات منها، وطريق يبتلع المزيد من احتياطي الأراضي ومناطق رعي؛ وبعد ذلك منع الفلسطينيين من البناء قرب الشارع؛ ويجب عدم نسيان الشارع الأمني الذي يطوق كل مستوطنة، مروراً بمنع الفلسطينيين من الوصول إلى أراضيهم بذرائع ووسائل مختلفة؛ وتقييد كمية المياه للفلسطينيين وتقييد الحفريات الجديدة والإعلان عن مئات آلاف الدونمات

من الأراضي الفلسطينية كـ "أراضي دولة" وتخصيص هذه الأراضي فقط لليهود؛ والإعلان عن مناطق تدريب لوقف تطوير قروي طبيعي فلسطيني؛ وتزوير وثائق ملكية الأراضي؛ والبؤر الاستيطانية الكرفانية التي تتحول إلى فيلّات، ومن أجل الأمن يجب منع الخروج من القرى المجاورة؛ والبؤر الاستيطانية الزراعية التي تغرس الكروم في الأراضي الفلسطينية وكأنها مهجورة؛ والبؤر الاستيطانية للرعاة الذين هم "الموضة الجديدة" والأكثر صغراً مقارنة بمساحة الأراضي الفلسطينية؛ وانتهاء بقرارات حكومية لتبييض كل ذلك؛ وجدار الفصل الذي يحتجز مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية الخصبة غربه: أصحاب هذه الأراضي يحصلون بصعوبة على تصاريح من أجل الوصول إليها في أوقات محددة، ولكن كل إسرائيلي يمكنه التنزه والتجول فيها كما يشاء، وأحياناً ينسبها لنفسه».

وتؤكد هاس ثانية: «يجب أن نربط كل نقطة كهذه بالنقاط الأخرى، وإلا فلا يمكن فهمها وفهم تداعياتها، ولن نرى الوحش كله. يمكن حساب عدد الدونمات التي سيطرت عليها بؤر الرعاة الاستيطانية، ويمكن حساب كم هو عدد الدونمات التي تمت مصادرتها، رسمياً أو فعلياً، من المناطق الفلسطينية ووصف أسنان الجرافات التي تقتلع أشجار الزيتون القديمة والجديدة. ويمكن قياس المنطقة الزراعية الفلسطينية المتميزة بدقة تقريباً مع الآبار القديمة وينابيع المياه التي أصبحت ذخرًا عقاريًا لليهود ورئة خضراء خالية من العرب (باستثناء العمال) أو في الطريق إلى أن تصبح خالية من العرب. لكن يجب أن نربط جميع النقاط كي نفهم كيف امتلأت الأرض بكتل "غوش شيلو" و"غوش عصيون" شرقاً، و"غوش عصيون" غرباً، و"غوش عصيون" شمالاً، و"غوش ريحان" وجيب اللطرون، و"غوش تلمونيم"، و"غوش اريئيل"، و"غوش ريمونيم"، و"غوش حبرون" القديمة و"كريات أربع"، وبعد قليل سيكون هناك "غوش شمال الغور" و"غوش شمعة" في جنوب غرب جبل الخليل، و"غوش سوسيا" في جنوب شرق الضفة، وهكذا دواليك. لا شك أن آمال/ مخططات إسحق رابين من العام 1995 قد تحققت. قبل قتله بشهر، قال في الكنيست بأن أحداً أسس الاتفاق الدائم وهو "إقامة كتل استيطانية، يا ليت توجد كتل استيطانية في الضفة الغربية مثلما في غوش قطيف". "غوش قطيف" في الواقع تم تفكيكها، لكن قام مكانها ويقام المزيد من التوابع الاستيطانية الكثيرة مثل الرمال على شاطئ البحر.

***سحق المنطقة...!**

وتختتم قائلة: «إن سحق المنطقة هو أكثر بكثير من "إحباط إقامة دولة فلسطينية"، هو تنكيل ممأسس وموجه لكل واحد من الخمسة ملايين فلسطيني الموجودين في الضفة، بما في ذلك شرقي القدس وقطاع غزة (فصل سكان القطاع جزء من تقسيم المنطقة). هذا تنكيل بالممتلكات ووسائل العيش والتراث وحياة العائلة وإمكانية الدراسة والعلاقات الاجتماعية وحرية الحركة والمستقبل. سرقة الفضاء المنهجية تهاجم حاضر وتاريخ المكان والمدينة والقرية والعائلة، وتمس بالصحة الجسدية والنفسية لكل إنسان. المشكلة في السحق ليست في إضعاف السلطة الفلسطينية، بل بالتخريب الذي لا يمكن منعه والموجه للجمهور الذي يعيش في قطاع غزة والضفة الغربية، الذي وعده العالم في مرحلة معينة، أنه سيطبق حقه في الاستقلال والحرية. العالم وعد وغدر. فقط جذرية وقدرة الفلسطينيين على الصمود الرائع هي التي تشوش ولو قليلاً خطة إسرائيل الأساسية. إن التقسيم والطرد ليسا اختراعًا جديدًا؛ فإسرائيل صاحبة تجربة وخبرة في هذا المجال، هي تنفذ في الضفة الغربية ما نفذته وتنفذه منذ العام 1948 داخل حدود الخط الأخضر. في بداية التسعينيات، عندما تم إطلاق العملية السياسية بين إسرائيل و م. ت. ف، فإن التوقعات المنطقية للفلسطينيين ومعسكر السلام في إسرائيل الذي كان موجوداً ولم يعد قائماً، وللدول التي أعطت رعايتها لأوسلو – كانت أن إسرائيل ستوقف عملية السحق وسرقة الأراضي في 22 في المئة من أراضي فلسطين التاريخية. ولكن في ظل المفاوضات السلمية، سرعت إسرائيل العملية وزادت شهوتها للعقارات. بهذا أثبتت صدق ادعاءات وتحليلات الفلسطينيين منذ أكثر من مئة سنة: هدف الصهيونية وجوهرها هو طردهم من أراضيهم وتهجيرهم من وطنهم».

إذًا، هي حروب شاملة على الأرض والشعب الفلسطيني تتقدمها حروب الاستيطان والضم والتهويد، وتهدف إلى تقطيع أوصال الجسم الفلسطيني لإجهاض الإمكانية الحقيقية لإقامة الدولة الفلسطينية الحقيقية، وعمليًا على امتداد مساحة الأرض في الضفة الغربية لم يتوقف بلدوزر التجريف والاستيطان عن العمل في جسم الضفة، إذ تكشف لنا أحدث عناوين مشهد الاستيطان ونهب الأراضي العربية النقاب عن معطيات مذهلة حول مناطق نفوذ المستوطنات وامتداداتها وتداعياتها على مستقبل الوحدة الجيوديموغرافية الفلسطينية، وعلى مستقبل الدولة الفلسطينية التي ما تزال تراوح في دائرة الحلم التاريخي..!

لكل ما سبق وغيره، تحتاج فلسطين وتحتاج عملية التحرير والخلاص من براثن الاحتلال والتهويد إلى وقفة عربية حقيقية- من قبل القوى الحية النابضة بالعروبة والعداء للمشروع الصهيوني- تعيد صياغة الخطاب السياسي والإعلامي وتعيد ترتيب الأوراق والأجندات السياسية الوطنية.

التحرر الوطني والديمقراطي والاجتماعي في متن المشروع الفلسطيني

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

من نتائج اتفاقية أوسلو عام 1993 ومشتقاتها، هزال الجسم الفلسطيني ووصول ضعف حقله السياسي لمستويات خطيرة ساعدت المستعمر الصهيوني للانقضاض والسيطرة عليه، من هنا تأتي ضرورة إعادة تجديد وبناء المشروع الوطني عبر خطوات ملموسة وعينية تمكن الشعب الفلسطيني من المضي قدماً بمقاومة الاحتلال وانتزاع الحرية وحق العودة وتقرير المصير فوق ترابه الوطني.. هذا ليس ترفاً زائداً، بل خطوة استباقية وجوهرية من أجل إعادة بناء مواطن القوة الفلسطينية والتصدي لتغوّل اليمين القومي الديني الصهيوني .

لا يمكن فصل قرار حكومة الاحتلال الأخير بفرض «السيادة الإسرائيلية على كامل أراضي الضفة الغربية» عن الممارسات العنصرية والاستيطانية تمهيداً لضمّها رسمياً.. حيث لا يكاد يمر موسم زراعي إلا ويستيقظ المزارعون على كروم محروقة، أو آبار مسمومة، أو آلاف أشجار الزيتون – بعضها عمره مئات السنين – مقطّعة أو محروقة.. ورغم توثيق وتصوير هذه الاعتداءات التي يرتكبها مستوطنون متطرفون، فهي تحدث وتُمارَس بحماية حكومة نتياهو وأجهزتها.. ليس إحراق كرم زيتون أو هدم منزل فعلاً عشوائياً، بل هو تدمير لمصدر الرزق وذاكرة المكان، وهو رسالة واضحة: «يهودا والسامرة أرض إسرائيل فارحلوا أيها الفلسطينيون «!..

حين يصل الفلسطيني إلى حافة طاقته- بسبب البطالة أو الجوع أو الخوف اليومي- تصبح الهجرة هي المخرج، فيسارع المحتل لتقديم المسوّغ بالقول: «هجرة طوعية» هذا ما رأيناه في حالة « 150 « مواطن فلسطيني ممن وصلوا إلى جنوب أفريقيا من دون وثائق، فجرى تأطير القصة كما لو أنها «بحث عن فرصة أفضل» بينما الحقيقة أن القهر سبق الرحلة !..

هكذا يعمل نظام الإبادة والتهجير الصهيوني الممنهج من خلال آليتين: تصنيع الظروف اللامعيشية القاهرة من جهة، وإعادة توصيف المخرج الذي ينتجه هذا القهر بوصفه خياراً شخصياً من جهة أخرى.. هذا التضليل والتلاعب الإعلامي يعفي «إسرائيل» من المسؤولية.. ويسهّل على حلفائها تبني رواية مخففة لما يحدث.. فعندما يصبح الفلسطيني «مهاجراً» وليس «لاجئاً» تختفي البنية المتغوّلة التي دفعت به إلى الهجرة !..

• هندسة الاقتلاع والتهجير :

في فلسطين، لا تعدّ الأرض مجرد مكان وذاكرة متوارثة عبر قرون، بل هي وعاءً للهوية والانتماء المحمّل بمعرفة الأسلاف وتمسّكهم بها.. وعندما تستهدفها قوات الاحتلال الصهيوني فهي لا تصادر ملكية فحسب، بل تفكك البنية التي ينسج الفلسطينيون من خلالها حضارتهم وسبل عيشهم واقتصادهم واستقلاليتهم.. وهذا ينسجم مع ما وصفه الباحث باتريك وولف بـ «نهج الاقتلاع والتهجير» الذي يوجّه كل مشروع استيطاني يسعى إلى جعل وجود السكان الأصليين أمراً غير قابل للاستمرار.

الاقتلاع والتهجير الذي يواجهه الشعب الفلسطيني اليوم لا يقتصر على الطرد المباشر– رغم حضوره الدائم– بل يتجسد أيضاً في تفكيك مختلف أشكال «رأس المال المعيشي»: الاقتصادي والاجتماعي والمعرفي والبيئي.. فعندما تدنّس المقدسات وتقتحم المنازل وتهدم على رؤوس ساكنيها، وتُحرق أشجار الزيتون على يد المستوطنين، وتُصادر المراعي وتُجفف الآبار والينابيع، يصبح المكان أقل قابلية للحياة.. وتتآكل القدرة على البقاء، بينما يعاد تأطير أي مغادرة لاحقة بوصفها «قراراً فردياً» وليست نتيجة قسر ممنهج.. لم يكن استهداف الحقول والبساتين والأشجار والبيوت والمراعي عرضياً، فالقطاع الزراعي من ركائز الصمود الفلسطيني، وهو ما يشد المواطنين إلى أرضهم عبر اقتصاد قائم على التوارث والمعرفة القومية والوطنية، كما أنه قطاع لم يتمكن الاحتلال الصهيوني من السيطرة عليه، لذلك بقي مساحة تتقاطع فيها السيادة والكرامة والمقاومة.. من هنا تصيب سرقة الأرض ومصادرتها هدفاً بغاية الحساسية يجمع بين الاستدامة الاقتصادية والامتداد

التاريخي والثقافي، وهي ليست ضربة لمؤسسة فحسب، بل قطيعة مع تاريخ طويل من العلاقة العضوية بين الشعب والأرض !..

ليست هذه الممارسات العنصرية والكولونيالية معزولة فهي جزء من «اقتصاد سياسي» للاقتلاع والتهجير يمتد من غزة إلى الضفة الغربية.. ففي غزة أصبحت المجاعة وسيلة للهيمنة والسيطرة، إذ تحول التشبّث بالأرض إلى صراع يومي وسط حصار يمنع الغذاء والماء والدواء ومواد البناء.. وفي الضفة الغربية، تشمل مصادرة الأراضي وسياسات الإغلاق، وإرهاب المستوطنين، وتقطيع أوصال الجغرافيا، أي إمكانية لبناء حياة مستقرة، وفي الحالتين يصبح قرار البقاء أقل تكلفة لمن يملكون خيار الصمود والمقاومة !..

• مجلس السلام الترامبي :

تحت غطاء ما يسمى بـ «مجلس السلام» تستمر «إسرائيل» وداعموها بفرض منطق القوة وعدم الاكتراث بكل الأعراف والقوانين بل بالإمعان بمخططاتها الاستعمارية.. والأشد مرارة أن العديد من الفاعلين الدوليين والإقليميين يتعاملون معها «شريكاً مسيطراً وضابطاً لعملية إعادة الإعمار» في غزة بدلاً من معاقبة ذلك المجرم على ما اقترفه خلال العامين ويزيد.. بل منذ نشأته عام 1948، وبذلك لن يجلب «تطبيع» الجريمة والإبادة والدمار تحت غطاء «مجلس السلام» السلام أو العدالة لأحد، بل سيوفر المسوّغ لـ «إسرائيل» وكأنها «دولة طبيعية» وهذا لن يأتي بتداعياته على الشعب الفلسطيني فحسب، بل سيمتد لما هو أبعد من ذلك، كما شهدنا مراراً وتكراراً خلال الأعوام والعقود الماضية !..

في هذا السياق تأتي مركزية الإنسان والسياسة التي توائم بين الحاجة السياسية والحاجة الإنسانية، بوصفها قضية جوهرية، إذ تسعى «خطة ترامب» إلى طمسها وإنكارها.. فمركزية هذه الثنائية، أي الإنسان والسياسة، تمثل مفصلاً مغايراً لما هو مفروض على الشعب الفلسطيني في غزة والضفة.. وتبني مقاربة كهذه تمزج بين الحاجة الإنسانية والحاجة السياسية، وبالتالي تخرج الشعب من المربعات والأطر المفروضة عليه، نحو مواطن القوة وإعادة بنائها بوصفها أحد متطلبات إعادة الإعمار والبناء الأشمل لرفع درجة الندّية السياسية، مع إدراك درجة الحاجة الإنسانية، غير أن التركيز الحصري على الحاجة الإنسانية، سيحرم الشعب الفلسطيني من فعاليته السياسية، ويخضعه للمحتل بوصفه متلقيا ثانوياً في عملية يتوجب عليه الامتثال لها.. لا يقتصر هذا على الضفة وغزة فحسب، بل يستهدف الكل الفلسطيني وفي مختلف أماكن تواجده.. إذ إن جلّ «الخطة الترامبية» تسعى إلى محاصرة الفعل الفلسطيني الأوسع وشرذمة الهوية والانتماء الأشمل، وهو ما ينبغي صدّه وإحباطه عبر كل أشكال المقاومة !..

وعليه.. يتوجب على الشعب الفلسطيني بكل أطيافه وانتماءاته وتياراته وقواه الانخراط بعملية مضادة لما يفرض عليه، وعدم التساوق والانصياع لشروط استعمار كولونيالي جديد !..

وفيما يلي بعض الاقتراحات المطروحة للحوار والتوافق على الحد الأدنى لما هو مشترك :

• أولاً: لم يعد مقبولاً أن يقتصر الحوار الفلسطيني الداخلي على أطراف لا تتمتع بالشرعية أو التمثيل، أو على فصائل استمرأت إدامة الانقسام. فالحوار الوطني الفلسطيني الشامل والجاد لم يعد اختيارياً، وإنما هو واجب إجباري من أجل صياغة مستقبل مغاير ويقتضي هذا تغيير أدوات وأطر وقنوات وأهداف الحوار، فالفشل المصاحب لهذه الحوارات على مدار العقدين الماضيين ما هو إلا مؤشر على أن النموذج السائد لهذه الحوارات لايزال بعيداً عن توحيد الفلسطينيين ولم شمل رؤيتهم وتنسيق فعلهم ومقاوماتهم !..

• ثانياً: تشكّل عملية إعادة إعمار غزة قضية مفصلية في عملية ترميم بنية القيادات السياسية والنضالية والتشريعية والتنفيذية.. إن لم يكن ذلك الآن.. فمتى؟!

• ثالثاً: إعادة إعمار غزة واستشراف مستقبلها، يمثلان «فرصة» مناسبة لإعادة بناء السياسة والحوكمة الفلسطينية، وهذا لا يشمل قطاع غزة فحسب، وإنما يمتد إلى الجغرافيا الفلسطينية «غزة والضفة، وأراضي عام 48، و مخيمات اللجوء والشتات»، ويستدعي بلْورة «خريطة طريق» جمعية لطبيعة النظام السياسي الفلسطيني ومؤسساته التمثيلية وبرنامجه ومشروعه، فإعادة البناء السياسي تشكّل المقدمة الأولى لإنقاذ المشروع الوطني التحرري الديمقراطي والاجتماعي !..

• رابعاً: القرار والمشروع الوطني المستقل، غير خاضع لرؤية ومصالح بعض الفاعلين الإقليميين والدوليين وهو مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى فالمنطقة بأسرها تتغير وتتحول باضطراد، والحسابات الإقليمية تتباين، والمعطيات تتفاوت والنتائج تتبدل، لذلك يتوجب على الشعب الفلسطيني وقواه الحية قراءة متفحصة ومتأنية للتطورات في المنطقة والإقليم، بالرغم من أن الوزن الاستراتيجي لهذه المساهمة محدود نسبياً ضمن المعادلة الأكبر، غير أنه يعكس إرادة سياسية صلبة لرسم المستقبل بدل العيش ضمن هامشه الذي يرسمه آخرون، بما في ذلك القوة الاستعمارية المسيطرة عليهم..

• خامساً: إن أي تهميش لدور مؤسسات المجتمع المدني والنقابات والاتحادات الشعبية والبلديات في رسم المستقبل الفلسطيني، لن يجلب إلا المزيد من الضعف والتشظي والتشرذم.. ليس على الصعيد المجتمعي فحسب، وإنما على الصعيد السياسي والكفاحي أيضاً.. ويجدر التذكير في هذا السياق بدعوة منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في آذار 2025، بما يخص خطط إعمار غزة ورسم مستقبلها، والتي دعت- من جملة ما دعت- إلى ضرورة دعم الصمود الفلسطيني بوصفه أولوية و آلية قوية لمقاومة وإحباط التهجير سواء القسري أم الطوعي، وإلى تشكيل جبهة فلسطينية موحدة من أجل إنهاء الانقسام وإعادة بناء مؤسسات «م. ت. ف» وفق قانون انتخاب عصري يعتمد مبدأ التمثيل النسبي، وتشكيل آلية وطنية لإدارة عمليات التعافي والإغاثة العاجلة في غزة والضفة، وفتح الآفاق أمام قيادة فلسطينية منتخبة من الشعب في مختلف أماكن تواجده، وحيث كان ذلك متاحاً.. وبلورة آلية دولية بالتنسيق مع حركة التضامن الأممية.. والضغط باتجاه الانسحاب الإسرائيلي الشامل من قطاع غزة والضفة الغربية، وفرض العقوبات والعزلة على الكيان الصهيوني الاستيطاني، ومحاسبة مجرمي الحرب وضمان حق تقرير المصير والعودة والاستقلال الناجز للشعب الفلسطيني فوق ترابه الوطني !..

غضب شعبي فلسطيني

من التعديلات التي تنال من المنهاج التعليمي الفلسطيني

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

مقدمة:

أثارت التعديلات التي تم الاتفاق على إجرائها على المناهج الفلسطينية في الوطن المحتل؛ الكثير من النقاشات والجدل حول الهوية الوطنية الفلسطينية والتعليم الأساسي للمراحل الابتدائية والإعدادية لأبناء وبنات الشعب الفلسطيني الذين ما يزالون يتشبثون بأرضهم وهويتهم الوطنية الفلسطينية وتاريخهم وإرثهم.

وقد أثارت قضية إدخال تعديلات جوهرية على المناهج الفلسطينية، (قيل إنها شملت حذف مضامين وطنية وتغيير مفاهيم تاريخية وثقافية) موجة غضب وجدلاً واسعاً داخل الأوساط الشعبية الفلسطينية والمنظمات والمؤسسات الأهلية التي تتضامن مع فلسطين ومع القضية الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني.

فوسط حديث عن ارتباط تلك التعديلات بضغوط أوروبية داعمة للاحتلال الصهيوني لفلسطين؛ وكذلك احتجاجات مرتبطة بالحكم العسكري للاحتلال الإسرائيلي. وبحسب وثائق وتداولات نشرت في وسائل إعلام فلسطينية محلية مؤخراً، فإن التعديلات- وفق ما جرى تداوله- لم تقتصر على نصوص محدودة، بل امتدت إلى عشرات الكتب المدرسية من الصف الأول حتى العاشر، وطالت موضوعات حساسة مثل الأسرى والمقاومة وهوية المدن والقرى الفلسطينية المحتلة والقدس واللاجئين والذاكرة الوطنية، إضافة إلى تغيير مصطلحات وطنية راسخة والقيام باستبدالها بمضامين أخرى تروّج لرواية الاحتلال البغيض والمطبعين مع هذا الاحتلال.

في المقابل، أصدرت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية؛ بياناً توضيحياً أكدت فيه أن ما يجري تداوله حول تغيير المناهج الوطنية الفلسطينية؛ يتعلق في غالبيته بأمثلة وشواهد قام الاحتلال بتغييرها في مناهج مدارس مدينة القدس المحتلة، في إطار ما وصفته بسياسة أسرلة المدينة المقدسة.

وأشار المسؤولون في وزارة التعليم الفلسطينية، إلى أن هناك سوء فهم بين تعهدات وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بمواءمة المنظومة التعليمية مع معايير اليونسكو، ومع ما تجريه سلطات الاحتلال الإسرائيلية في مناهج مدارس مدينة القدس؛ والتي قام الاحتلال بتعديلها قسراً.

إلا أن المنظمات والمؤسسات الشعبية الوطنية الفلسطينية تتخوف من عملية تغيير المناهج إذا كان في القدس المحتلة أو في باقي مدن وقرى وبلدات فلسطين المحتلة، من منطلق المخاوف على الهوية الوطنية الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني والموروث الشعبي الفلسطيني.

ورغم التوضيحات الرسمية التي صدرت عن وزارة التربية والتعليم، إلا أن هناك موجة من التساؤلات والنقاشات بين الفلسطينيين حول طبيعة معايير اليونسكو المتعلقة بالمناهج التعليمية وحدود تأثيرها المحتمل على المضامين الوطنية والثقافية الفلسطينية.

ولغياب الشفافية؛ عند المسؤولين في السلطة الفلسطينية؛ فقد تباينت ردود الفعل بين منتقدين ومطالبين بمزيد من التوضيح الرسمي، إذ عبرت الناس عن مخاوفهم مما وصفوه بـ «فرض مفاهيم جديدة» ضمن معايير اليونسكو، مثل المساواة الجندرية وإزالة الصور النمطية، معتبرين أن ذلك قد يفضي إلى تغيير أدوار الرجل والمرأة وإعادة تشكيل مفهوم العائلة خاصة وأن العائلة الفلسطينية وهي لب المجتمع الفلسطيني هي العمود الفقري للمجتمع الفلسطيني وهي الأساس في التربية والتعليم والحفاظ على العادات والتقاليد

والموروث الشعبي الوطني الفلسطيني، مما رآه بعضهم بأن اليونسكو تسعى لفصل التربية داخل العائلة الفلسطينية عن منظومة القيم الإسلامية التي تربى عليها الآباء والأمهات والأولاد، متسائلين إن كان ذلك يمثل تطويراً تعليمياً أم إعادة صياغة للمناهج وفق معايير غربية مقصودة.

وفي السياق ذاته، رأى آخرون أن الجدل يطرح تساؤلات حادة حول مستقبل الهوية الوطنية داخل الصفوف المدرسية وحدود التدخل السياسي أو الخارجي في صياغة وعي الطلبة ومضامين التعليم.

والحقيقة أن الحديث عن مواءمة المناهج مع معايير منظمة اليونسكو يؤكد حدوث تغييرات فعلية مرتبطة بسياسات خارجية ودعم مشروط، لا بد أن يؤثر في الهوية الدينية والعادات والتقاليد والرواية التاريخية الفلسطينية. وهنا لا بد من ضرورة مراعاة خصوصية المجتمع الفلسطيني بوصفه شعباً واقعاً تحت الاحتلال ومحافظا على قيمه وعاداته وتقاليده وإرثه الشعبي التاريخي، فالمناهج يجب أن تعكس واقعه وهويته الوطنية والثقافية، علماً بأن اليونسكو تقرّ بحق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال في تعليم يعكس تاريخها وحقوقها، إلى جانب الالتزام بالقيم الإنسانية العامة.

كما انتقد الآباء والأمهات والمعلمون؛ ما وصفوه بمحاولات «تلميع» التعديلات، متسائلين عن طبيعة التغييرات في مناهج مدارس القدس وعلاقتها بالمنهاج الفلسطيني الرسمي، فيما طالب آخرون وزارة التربية والتعليم بتقديم شرح واضح ومفصل لمعايير اليونسكو مع أمثلة محددة على ما جرى مواءمته في المناهج، تجنباً لانتشار المعلومات غير الدقيقة.

في حين رأى بعضهم أن معايير اليونسكو قد لا تختلف من حيث النتائج عما يطالب به الاتحاد الأوروبي الذي يضغط على الفلسطينيين من جانب التمويل، داعين إلى الشفافية الكاملة ومراجعة شاملة للمناهج من منظور وطني يوازن بين التطوير التعليمي والحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية والإرث التاريخي لفلسطين وللشعب الفلسطيني.

فيما يرى بعض المراقبين، أن مخاوفهم العميقة مما وصفوه بتغييرات قد تمس الهوية الوطنية الفلسطينية وتؤثر في ذاكرة الطلبة التاريخية، محذرين من تزييف الرواية الوطنية والتلاعب بالتاريخ الوطني الفلسطيني.

التربية والتعليم في السلطة تستجيب لإملاءات الاحتلال:

حسب المراقبين والمؤسسات والمنظمات الشعبية الفلسطينية؛ قامت وزارة التربية والتعليم في السلطة بسحب كميات من الكتب المدرسية من المدارس ومن مستودعات الوزارة؛ وقامت باستبدالها بكتب جديدة بضغوط أوروبية؛ تحت تهديد أوروبي بوقف المساعدات والدعم الأوروبي للسلطة. والاتحاد الأوروبي ينفذ سياسة الاحتلال الإسرائيلي الذي يريد أن تتضمن تلك المناهج «خريطة إسرائيل» رغم أن الإسرائيليين لم يرسموا حدودهم حتى الآن، كذلك لا يريد الاحتلال الإشارة التاريخية إلى مدن يافا وعكا واللد والرملة وباقي المدن الفلسطينية في الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1948 كأرض فلسطينية.

وتقول بعض الأوساط الفلسطينية: إنه وبعد أعوام على اتباع السلطة الفلسطينية مناهج تعليمية محددة رأت أنها تراعي الحفاظ على الرواية الفلسطينية بعيداً من التحريض، بدأت اليوم بحملة لمراجعة تلك المناهج بما يتماشى وسياسة الاحتلال البغيض نتيجة ضغوط أميركية – أوروبية.

فمثلاً، سحبت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بعض الكتب الدراسية، واستبدلتها بأخرى مؤقتة تخلو من الإشارة إلى الأسرى مثلاً، أو النضال والمقاومة والثورة والشهداء والاستبسال فداء للوطن وفداء للأرض، مما يعد استجابة لإملاءات غربية والذي يعتبر جريمة بحق الهوية الوطنية؛ مما يشكل خطوة خطيرة حول خضوع وزارة التربية والتعليم لإملاءات أمريكية وأوروبية تقضي بتعديل المناهج الدراسية الفلسطينية وفق متطلبات ورغبة سلطات الاحتلال، وهذا يعتبر اعتداءً مباشراً على الهوية الوطنية الفلسطينية ومحاولة لقطع الصلة مع تاريخ الشعب الفلسطيني وتضحياته.

والشعب الفلسطيني بكافة أطيافه يؤكد أن الهوية الوطنية الفلسطينية وُلدت من تضحيات جسيمة امتدت لأكثر من قرن، مشدداً على أن المناهج التعليمية يجب أن تُجسّد هذه التضحيات وتُبقيها حيّة في وعي وذاكرة الأجيال الفلسطينية، لا أن تُفرّغ من مضمونها استجابة لما يريده الاحتلال.

وأن أي تغيير في المناهج يهدف إلى تشويه الرواية الفلسطينية أو تغييب الذاكرة الوطنية الذي لا يخدم سوى أهداف الاحتلال الساعي لإعادة تشكيل الوعي الفلسطيني، والذي يعد جريمة بحق الشعب الفلسطيني وتاريخه ونضاله.

القوى الوطنية الفلسطينية تتحرك لمنع هذا التغول على الهوية الوطنية الفلسطينية

تدعو القوى الحيّة والمؤسسات الأهلية والشعبية إلى التحرك العاجل والضغط لإجبار وزارة التربية والتعليم في السلطة؛ على الحفاظ على الروح الوطنية في المناهج ورفض الخضوع لإملاءات الاحتلال أو لأي إملاءات غربية تمسّ الثوابت الوطنية والهوية الوطنية الفلسطينية.

رغم تحرك القوى الوطنية والمنظمات والمؤسسات الشعبية الوطنية الفلسطينية واعتراضات الآباء وكبار التربويين الوطنيين الفلسطينيين؛ ما تزال تربية السلطة تقوم بتعديلات جوهرية على المناهج الفلسطينية من المقرر تنفيذها ابتداءً من العام الدراسي 2026–2027، وتشمل تغييرات واسعة بمضامين الكتب المدرسية. ومن هذه التعديلات ما يشمل حذف النشيد الوطني الفلسطيني، وتغييرات بأسماء المدن الفلسطينية واستبدال مصطلحات وطنية بأخرى تزعم أنها "محايدة" وإلغاء ذكر اسماء رموز وشهداء وقيادات وطنية استشهدت من اجل تحرير فلسطين وعودة اللاجئين، وما تزال جارية بتنفيذ فعلي لذلك.

وحكومة السلطة الحالية «تعمل منذ أشهر بصورة جدية على مراجعة المناهج الدراسية، وبأنها قطعت شوطاً لا بأس فيه في ذلك». وأن العمل جار «وفق آلية جديدة»، وأن ذلك «يأتي بضغوط أوروبية، ويذكر أن الحكومة الفلسطينية السابقة رفضت التجاوب مع الضغوط الأوروبية لتغيير المناهج».

الرواية الفلسطينية للصراع

الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني البغيض يتهم السلطة الفلسطينية بـ «التحريض على العنف في مناهجها التعليمية» في ظل رفض فلسطيني لذلك، وتأكيد أن المناهج

تتطرق إلى الرواية الفلسطينية للصراع العربي - الإسرائيلي والتاريخ الفلسطيني ونضال شعبه. وهي الرواية الحقيقية لمبادئ القضية الفلسطينية إلا أن الاحتلال تحت حجج واهية مدعومة من الولايات المتحدة الأميركية ودول الغرب الرأسمالي، وتحت مسمى « اليونسكو « يريدون فرض منهاج تربوي وتعليمي «ينسجم مع مبادئ اليونيسكو والقانون الدولي وحقوق الإنسان»(!!!؟؟). فهم من خلال التشدق بحقوق الإنسان وهم أبعد ما يكونون عن حقوق الانسان؛ (فقط عندما تستحضر ما حصل ويحصل في غزة، ترى أميركا والغرب والاحتلال الصهيوني كم هم يحترمون حقوق الإنسان)؛ فمن خلال طرح التسامح وعدم الحض على المقاومة يريد الاحتلال ومحركته الرئيسية أميركا وداعموها الغربيون من الفلسطينيين الاستسلام».

فإن الاحتلال الإسرائيلي يعد «ذكر الصهيونية والرواية الفلسطينية للصراع والتطرق إلى نضال الشعب الفلسطيني وقادته التاريخيين تحريضاً على العنف والكراهية». وهذا الاحتلال مدعوم من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي؛ وكلهم «يريدون تسييس التعليم»، وإملاء المفاهيم والأسماء والرواية الإسرائيلية على المناهج التعليمية الفلسطينية. وهذا كله يتم بتحريض الاحتلال الإسرائيلي. وكنا نتوقع أن ترفض السلطة الفلسطينية هذه الإملاءات على الشعب الفلسطيني؛ فالمنهاج الفلسطيني يشكل مرآة لروح المجتمع تحت الاحتلال، ويعيد إنتاج السردية الوطنية في مواجهة الرواية الصهيونية الساعية إلى طمس الذاكرة».

فالتحريض الذي تتشدق به اميركا وربيبتها «إسرائيل» يكمن في تجاوز القانون الدولي وحقوق الإنسان، وليس في ما لا ينسجم مع الإرادة الإسرائيلية والأميركية.

وكثير من المراقبين والمؤسسات والمنظمات الدولية تعتبر أن المناهج التعليمية الفلسطينية «لا تحرض على القتل إنما تتضمن الرواية الفلسطينية للصراع، والوطن فلسطين وتعريف النكبة، قبل الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي لأرض فلسطين. فإن الاحتلال يريد دفع السلطة الفلسطينية إلى تبديل المناهج الفلسطينية لتغيير رؤية الفلسطينيين لتاريخهم ومستقبلهم، وتغيير عقليتهم وتدجينهم سياسياً.

خاتمة

في الستينيات والسبعينيات: كانت فلسطين تعتبر في المرتبة الثانية في العالم بالتعلم والتعليم؛ ومنذ النكبة وأوائل الخمسينيات وإلى الآن؛ أي طيلة 78 عاماً والمهندسون والأطباء والمعلمون والحرفيون وغيرهم من الكفاءات العلمية والمهنية ينتشرون في العالم ويشهد لهم العالم كله، بأنهم مهرة في مجالات عملهم، أي أن مناهجهم كانت قوية وعالية الجودة وهذا بشهادة الدول والحكومات التي عملوا من خلالها؛ حتى في أميركا وفي أوروبا هناك كثير من الكفاءات الطبية والهندسية والفنية ويشهد لهم بالكفاءة العالية.

وللأسف يأتي اليوم من يريد وضع خطة جديدة للتعلم والتعليم الفلسطيني «ستسعى إلى إصلاح النظام التعليمي القائم»؛ «وتحاول الوزارة دراسة وتطبيق آليات لتخريج أساتذة ومديرين قادرين على قيادة العملية التعليمية، وإدارة واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة نظراً لأهميتها في التعليم، والعمل على صقل شخصية التلاميذ وتعليمهم كيفية استخدام المعلومات».

في الهدف

من يكتب التاريخ الفلسطيني الجديد

لعل هذا السؤال- القديم الجديد- لا ينطوي على مساءلة الماضي والسياقات التي كُتب بها التاريخ الفلسطيني، سواء بالكتابة المباشرة (التأريخية)، أو من خلال الآداب والفنون، ليكون السؤال تالياً: كيف نكتب تاريخنا؟ على الأرجح أننا لن نتجاوز تلك المدونات الضخمة الروائية والشعرية والمسرحية وغيرها، التي سعى كتّابها إلى النزوع لكتابة التاريخ الفلسطيني المعاصر وبمستوياته كافة، لكننا الآن وفي لحظة فارقة ومركبة بآن، سيبدو أن هاجس كتابة التاريخ الفلسطيني، انطلاقاً مما حدث ويحدث وسيحدث، سيبقى هاجساً أصيلاً وبانتظار ما تفرزه التجربة الفردية والجمعية على حدٍّ سواء، وهي تجربة تاريخية بامتياز يمكن لها أن تكتمل في غمار الهاجس الأعلى، أي كتابة السردية الفلسطينية.

وليس المأزق هنا في هوية من سيكتب بقدر ما يعول على تعدد الرواة، لتكتمل الحقيقة، فمثلاً سيمثل الأدب كما سائر الأنواع الأدبية والأجناس الأدبية، مجالاً خصباً لأسئلة تحريضية جديدة من شأنها أن تؤرخ عبر الوثيقة وعبر الاستلهام وبما يبقي في الذاكرة ما من شأنه أن يمثل علامات فارقة يحيل إليها الواقع الفلسطيني، دون الحاجة لتعليل مضاعف لما يستهدف المنظومة الثقافية والتربوية والاجتماعية للشعب الفلسطيني، فالحفاظ على الذاكرة الوطنية الفلسطينية هو في جوهره تمكين لسردية الوعي أولاً، وهي السردية التي تتجاوز مطلق محاولة لتغيير الذهنية الفلسطينية وكسر الثوابت بذريعة المتغيرات، فذلك ما يتطلب وعياً مضاعفاً بدور الكلمة في البناء والارتقاء، ليظل المعنى متأبياً على قسره لاستجابات طارئة ومتعالية.

فلسطين هي حارسة سرديتنا قال ذلك الشهداء والشهود في الأزمنة كلها.

غروب شمس العرب:
هل من الممكن إعادة إنتاج نهضة عربية؟

أبوعلي حسن
عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

قضية فلسطين من أعدل قضايا التاريخ، وما زالت عدالتها حاضرة في وعي شعوب العالم. على الرغم من نكران الحكومات الاستعمارية لهذه العدالة، وبالرغم من وجود الكيان الاستعماري الاستيطاني على جغرافيتها منذ سبعة عقود ونصف، فإن بقاءه كان ولا زال محصلة رؤى استعمارية متجددة ولم تتوقف مفاعيلها بدءًا من ظهورها في عصر الاستعمار الأوروبي في القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا، ولا زال الاستعمار يجدد رؤاه وأفكاره ومخططاته حتى اللحظة.

وقد استطاع الاستعمار في لحظة تاريخية فارقة، وفي ظل غفوة استدامت طويلًا واستحالت إلى سبات طويل غاب فيه الوعي العربي عن فطنته وقوميته، أن يزرع الكيان في قلب الأمة العربية. ولم يكن هدفه محصورًا في جغرافيا فلسطين بقدر ما كانت فلسطين المرحلة الأولى من استراتيجية التحكم في مسار ومستقبل المنطقة العربية كلها، بادئًا بخطوته الأولى الاستراتيجية نحو فلسطين وما تمثل، وبما يلبي مصالح الغرب الإمبريالي لأمد طويل، ارتباطًا بما استخلصه من أهمية هذه المنطقة استراتيجيًا على المستوى الأمني والسياسي والاقتصادي، وارتباطًا برؤيته ويقينيته بأن خطر العرب يكمن في وحدتهم كأمة واحدة أو مملكة واحدة ويشكلون الخطر التاريخي على أوروبا المستقبل بما يملكون من عقيدة عربية وإسلامية — جيو-ثقافية — وجغرافيا ممتدة من الخليج العربي إلى المحيط، يختزن في باطنها كنوز البترول والغاز والمعادن المختلفة.

فكان المخطط مبكرًا يستهدف المنطقة في وحدتها وضرورة تفتيتها وتقسيمها إلى دويلات ومشايخ أولًا، وثانيًا خلق وعي انقسامي دولي بين نخبها وزعماء قبائلها وشعوبها بديلاً عن وعيها العربي الغريزي وأحلامها في الوحدة العربية والإسلامية التي عبر عنها مفكرو النهضة العربية مع نهايات «الرجل المريض» الدولة العثمانية. فوضع الغرب استراتيجيته الجيوسياسية التي تقوم على تمرحل التحكم في مسار المنطقة عبر تقسيمها أولًا دولتياً وصناعة الوعي التقسيمي، وثانيًا خلق الهويات الفرعية على حساب الهوية العربية المتشكلة تاريخيًّا ليصبح كل إقليم حاملًا هويته المناطقية معتزًا بها ومدافعًا شرسًا عنها ومالكًا حصريًّا لثروة البلاد المسيطر عليها. وأوجد وثبّت زعاماتها ومشايخها على رأس دول مصنعة، ليكونوا أمناء على هذه البلاد دون غيرهم وموروثةً لمن جاء بعدهم من أبناء وأحفاد صاروا أمناء على تراث آبائهم وأجدادهم ومتمسكين بهذه الهويات التفتيتية نابذين أي فكر وحدوي عربي.

وكان الغرب الاستعماري يدرك أن هذا التغيير في الوعي ومنظومات التراث والمناقبية البدويّة وأخلاقياتها يحتاج إلى زمن طويل من التكيف والتطويع والتغيير، فاستثمر الزمن وراهن على تبنّي السلف من الشيوخ والقيادات وصاياه، فأورثها ثقافته وحداثته في جامعاته ومدارسه وكلياته العسكرية العريقة ليبني أجيالًا متغرِّبة حاملةً ثقافة الغرب الاستهلاكية ومبهورةً بحضارته، ولم تعد تملك هذه الأجيال من بداوتها وتراثها إلا تلك الحطة والعقال والجلابية والعباءة التي يتخفى في داخلها كل نوازع الابتعاد عن الأصالة والعروبة والإسلام. وكلما طالت مرحلة التدجين الثقافي تتسارع عملية التحول السياسي والاجتماعي والاقتصادي والانطواء الهوياتي، فيضعف الانتماء العربي والثقافي رويدًا رويدًا، ويكبر الانعزال عن الهم العربي وقضاياه الوطنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ويلجأ الاستعمار مرة أخرى إلى الخداع الحداثوي المظهري لدى بعض الدول العربية لا سيما الدول الخليجية التي تملك الثروات البترولية، فيدفع بالتحديث العمراني باعتباره حضارة عمرانية تضاهي صور الغرب الحداثوية، من فتح الأسواق الحرة وحرية الاقتصاد وإقامة الأبراج وناطحات السحاب تأسياً مع ثقافة الأبراج والمولات لدى الغرب التي تعبر عن الاحتكارات الرأسمالية باعتبارها ممرًا حداثويًّا تضاهي الغرب وأكثر في حجمها وتوسعها وتركيز نشاطها الرأسمالي. ويرسم الاستعمار أنظمة ومؤسسات تقود هذا التحول التدريجي عبر خبرائه ومهندسيه ورأسمالييه.

ولا يقف الأمر عند هذه الحدود، بل تقوم هذه المشيخات والدويلات باستدعاء ملايين العمال ورجال الأعمال. وتشير أكثر المصادر تحفظًا إلى أن أعداد الجاليات الهندية في الخليج العربي تصل إلى تسعة ملايين، عدا الآسيويين؛ لتصبح جزءًا فاعلًا في النسيج المجتمعي وعاملًا أساسيًّا في مؤسساتها الاجتماعية والأمنية من جيش واستخبارات وأمن واقتصاد، بما يشكل تهديدًا ديموغرافيًا وثقافيًا وسياسيًا في السنوات أو العقود القادمة. ويتم تضليل أو إقناع قادتها بأن كياناتهم المشيخية هي دول مركزية أو عظمى يمكنها أن تمد نفوذها إلى دول وقارات عبر أموالها المتدفقة من البترول، وفي الواقع هم وكلاء للقوى الاستعمارية في هذه البلدان.

وكذلك الحال، فقد مكّن الانفتاح الاقتصادي المبرمج والمخطط بمنهجية عالية وبتأنٍ وصبر كبيرين أن يتوغل النفوذ الغربي والأجنبي عمومًا إلى عمق الحياة الاقتصادية داخل البلد الواحد، وتستوطن الثقافة الغربية الاستهلاكية رويدًا رويدًا على كل المستويات، ولا توجد شاردة أو واردة إلا واليد الأجنبية حاضرة فيها. وذلك ضمن رؤية هادئة في سياق محو الهويات الوطنية واستبدالها بهويات تغريبية وهجينة. ولا يرى الغرب غضاضة في أن يسمع من هؤلاء الحكام بأنهم عرب أقحاح أو الظهور بزيهم العشائري التراثي أو البدوي أو التوشح بسيوف الزينة أو التمسك برموز المناسبات الوطنية.

فلا يهم الغرب الاستعماري الحفاظ على الشكل التراثي ما دام كل شيء في المضمون والسلوك قد تغير، بما فيها اللغة العربية التي لم تعد هي اللغة الأهم المستخدمة في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات التعليمية وغيرها. فلا يهم الغرب أن تسمي دولتك كما تريد، وإنما يهمه أن هذه الدولة أو تلك ذاهبة نحو محو الهوية الوطنية والعربية والدخول في عملية تغريبية تاريخية بعيدة عن عراقة الانتماء وأصالته.

وبرغم أن الاستعمار الغربي قد قسم البلاد العربية إلى دويلات، وكل دولة لها عيدها الوطني وعلمها ورموزها ونشيدها، إلا أن هذا الاستعمار لم يتوقف عند حدود هذا التقسيم؛ فالمرحلة التي نحن الآن نعيش صعوباتها هي مرحلة التفتيت مجددًا لتصبح كل دولة سايكس- بيكو مقسمة إلى دويلات جديدة، وهذه تسير على قدم وساق ولا يخفيها عباقرة الغرب أمثال برنارد لويس وغيره.

فالسودان مرشح للتفتيت، وليبيا والعراق واليمن وسوريا، ولكل دولة أوانها وزمنها التفتيتي القادم بعد أن تنضج الظروف المواتية والتي يعمل الغرب على إنضاجها من خلال خلق الهويات المناطقية والطائفية وإبقاء الدولة الأم تعاني من الإعياء الداخلي عقودًا كي يبدأ الانهيار الكبير ويصبح التفتيت هو الحل لمرض الدولة وأزماتها، بدءًا بخيار اللامركزية أو الانفصال أو الحكم الذاتي وغيرها من خيارات التفتيت المبرمج.

وعلى امتداد أكثر من عقود طويلة لم تستطع البلدان العربية أن تبني اقتصادًا مستقلاً يؤهلها أن تتحول إلى دول مستقلة وذات سيادة، ولم تستطع أن تبني جيوشًا لحماية استقلالها وحدودها، بقدر ما بنت اتفاقات ومعاهدات مع دول استعماريّة أخرى للدفاع عن كياناتها. وباتت على يقين بأن الغرب والولايات المتحدة هم من يحمون كياناتهم.

والأخطر من ذلك أن هذه الكيانات لا تخشى الاستعمار بقدر ما تخشى ما يسمى بالشقيقات العربيات، أي من جيرانهم العرب، فتلجأ إلى طلب الحماية الدولية وفتح القواعد الأمريكية في عموم بلدانها خشية من الأشقاء. ولما اكتمل غياب الوعي العربي لديهم وانهارت يقينيات وأخلاقيات وطموحات عربية، انضمت والتحقت بعض هذه الكيانات إلى أحلاف معادية للعرب والعروبة والإسلام، وتجسّد هذا الالتحاق في حلف ما يسمى بالسلام الإبراهيمي كآخر طبعة من التحولات الاستراتيجية في العقل العربي واستقالته من التفكير في المصير والمستقبل العربي أو القطري.

ثمة عقود أو قرون قد يحتاجها العرب لصحوة تعيد مفهوم الأمة إلى مكانه الطبيعي في العقل العربي، أو قد نحتاج إلى مزيد من الخراب والحروب حتى تبدأ عملية الاستفاقة. ولا بد لنا من درس في التخريب برؤى مظفر النواب كي نعيد إنتاج نهضة عربية.

استنزاف أو توازن

د. علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

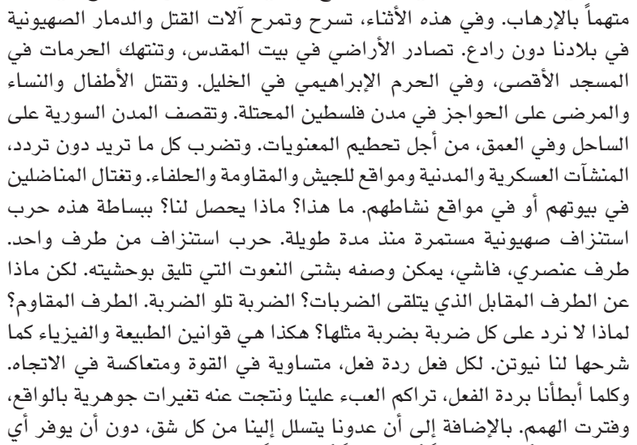

الحالة التي تمر بها بلادنا، هذه الأيام، من ضعف وتراجع، وتمزق لا تسر الخاطر ولا تُفرّج الهم. وما تحمله وكالات الأنباء ونشرات الأخبار كل يوم عن واقعنا وعن بلادنا، من طرفها إلى طرفها الآخر، ربما يُصيبنا بالإحباط واليأس، دون أن نستغرب أو أن نستهجن. العدو الصهيوني يتمادى في عدوانه على بعض بلادنا، ينشر الخراب والقتل والتدمير؛ بينما في المقابل يعقد معاهدات أمنية واتفاقيات سلام مع بعض بلادنا الأخرى، إن صحت التسميات وصح الكلام. أقل ما يُقال في هذا المقام، أن المسؤولين في هذه البلاد باتوا لا يُبالون بمقولة العربي للعربي كالبنيان المرصوص. بل صارت لدينا صيحات جديدة تحت مسمى الإبراهيمية، ودعوات إلى توحيد الثقافة والدين تحت ذات المسمى. وصار هنالك باحثون في التراث الإبراهيمي، يتحدثون عن إصلاح ذات البين مع أبناء عمومة وهميين. ويعيدون صياغة بعض الأمثلة فتصبح أنا وابن عمي على أخي. بينما ثالثة الأثافي، تبرير التنسيق الأمني بين السلطة الوهمية وسلطة الاحتلال، والإصرار عليه، وما يتبعه من ملاحقة المناضلين، حيث يُصبح كل من يطالب بحقوقه ويُدافع عن أرضه متهماً بالإرهاب. وفي هذه الأثناء، تسرح وتمرح آلات القتل والدمار الصهيونية في بلادنا دون رادع. تصادر الأراضي في بيت المقدس، وتنتهك الحرمات في المسجد الأقصى، وفي الحرم الإبراهيمي في الخليل. وتقتل الأطفال والنساء والمرضى على الحواجز في مدن فلسطين المحتلة. وتقصف المدن السورية على الساحل وفي العمق، من أجل تحطيم المعنويات. وتضرب كل ما تريد دون تردد، المنشآت العسكرية والمدنية ومواقع للجيش والمقاومة والحلفاء. وتغتال المناضلين في بيوتهم أو في مواقع نشاطهم. ما هذا؟ ماذا يحصل لنا؟ ببساطة هذه حرب استنزاف صهيونية مستمرة منذ مدة طويلة. حرب استنزاف من طرف واحد. طرف عنصري، فاشي، يمكن وصفه بشتى النعوت التي تليق بوحشيته. لكن ماذا عن الطرف المقابل الذي يتلقى الضربات؟ الضربة تلو الضربة. الطرف المقاوم؟ لماذا لا نرد على كل ضربة بضربة مثلها؟ هكذا هي قوانين الطبيعة والفيزياء كما شرحها لنا نيوتن. لكل فعل ردة فعل، متساوية في القوة ومتعاكسة في الاتجاه. وكلما أبطأنا بردة الفعل، تراكم العبء علينا ونتجت عنه تغيرات جوهرية بالواقع، وفترت الهمم. بالإضافة إلى أن عدونا يتسلل إلينا من كل شق، دون أن يوفر أي جهد، سواء أكان عسكرياً أو إعلامياً أو دعائياً. لذلك، فإن هذا الصمت العميق طالت مدته. لا شك أن هنالك طرقاً ووسائل متعددة يمكن سلوكها دائماً واعتمادها

من أجل مقاومة العدوان، ومقارعة العدو، وتنظيم الأوضاع الداخلية، وتطوير أدوات المواجهة، وتحقيق التوازن مع العدو. وفي هذا المجال يمكن ذكر الشواهد الكثيرة من التاريخ العربي القريب، دون اللجوء إلى ذكر أمثلة من كوبا، أو كوريا، أو فيتنام، أو جنوب أفريقيا، أو غير ذلك من الدول والشعوب التي قاومت العدوان وانتصرت عليه.

لعل وقع الهزيمة في العام 1967، أو ما يسمى بالنكسة، كان له بالغ الأثر على معنويات الشعوب العربية كما كان أثر النكبة عام 1948. إلا أن الشعوب لم تستسلم. فانطلقت الثورة الفلسطينية مستندة إلى حرب العصابات التي أربكت العدو الصهيوني واستنزفت طاقاته، رغم بساطة تسليح الفدائيين، وكانت معركة الكرامة عام 1968 نموذجاً لقدرة العمل الفدائي في مواجهة العدوان الصهيوني. وهنالك تجارب ملهمة أخرى في تاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة، مثل جيفارا غزة (استشهد في عام 1973) الذي قال عنه قادة العدو أنه يحكم غزة في الليل وجيش الاحتلال يحكمها في النهار. استمر العمل الفدائي في تصاعده حتى اليوم، حيث يقوم الشباب الفلسطينيون بعمليات الطعن والدهس التي تجعل المستوطنين في حالة ذعر مستمر، بالرغم من الهجمات المضادة، والمؤامرات، والأخطاء القاتلة، التي كان آخرها اتفاق أوسلو سيئ الصيت والنتائج. أيضاً، شهدت أعوام الستينات الأخيرة في أعقاب النكسة، هجمات مصرية قوية ضد أهداف عسكرية صهيونية تكبد فيها العدو خسائر كبيرة، وقف خلفها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وفريق من كبار الضباط والقادة العسكريين في الجيش المصري، على رأسهم الفريق أول محمد فوزي. وقد قامت قوات الصاعقة المصرية بدور العمل الفدائي في هذه المعارك، التي أطلق عليها تسمية حرب الاستنزاف لما لها من دلالات عملانية واستراتيجية. استمرت هذه الحرب نحو 3 سنوات (1968 – 1970)، إلى أن تدخلت الولايات المتحدة ووافقت مصر على مبادرة روجرز. بالرغم من مرارة الهزيمة والخسائر الفادحة التي مُني بها الجيش المصري، إلا أن هذه الحرب كان لها أهداف استراتيجية هامة جداً، من أهمها كسب الوقت من أجل إعادة تنظيم القوات وبناء القدرات العسكرية، ورفع معنويات الجيش، وتعويض الخسائر الجسيمة في العتاد. وفي هذه الأثناء تم بناء جدار الصواريخ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي آنذاك، لحماية الأجواء المصرية أمام التفوق الجوي الصهيوني. اعتمدت حرب الاستنزاف على مواجهات ومعارك خلف خطوط العدو تستهدف ضرب منشآته ومواقعه في أماكن مختلفة وغير متوقعة، وذلك بهدف إرباكه وإضعافه. وعلى هذا الأساس، قامت القوات المصرية بعدد كبير من العمليات النوعية الناجحة التي أربكت العدو، وأصابته بالعمق، مثل عملية تفجير وتدمير ميناء إيلات (أم الرشراش) بالكامل، وإغراق المدمرة إيلات شمال شرق بورسعيد، وتدمير حفار البترول الإسرائيلي في المحيط الأطلسي، وكان ذلك تطبيقاً عملياً لشعار القائد الراحل وديع حداد وراء العدو في كل مكان. بالمقابل قام العدو أيضاً باستخدام سلاح الجو بقصف أهداف عسكرية ومدنية في العمق المصري من أجل الضغط على القيادة المصرية بهدف وقف هذه الحرب. لقد بيّنت هذه الحرب قدرة الجندي المصري على المواجهة حينما تتوفر له القيادة الوطنية الكفوءة، كما أظهرت زيف أسطورة جيش العدو الذي لا يُهزم. لقد استعادت مصر خلال فترة الاستنزاف قدراتها العسكرية، وحققت حالة من توازن القوى أدى في النهاية إلى نجاح الجيش المصري بعبور قناة السويس وتحقيق نصر إستراتيجي في حرب أكتوبر، غير أن التسويات السياسية الرخيصة ذهبت برياح الانتصار في أدراج الرياح.

وهكذا، فان حرب الاستنزاف، وفقاً للقواميس الرقمية تعني حَرْباً تَهْدِفُ إلى القَضاءِ على قُدُراتِ العَدُوِّ وَإِمْكانَاتِهِ بِالتَّدْرِيجِ إلى أن يَتِمَّ اسْتِنْفادُها. وضمن هذا المفهوم اندرجت الحرب الفدائية، الذي انطلقت على أساسه الثورة الفلسطينية، وأيضاً النهج الذي سارت عليه المقاومة اللبنانية الوطنية والإسلامية ونتج عنها تحرير جنوب لبنان ودحر العدو الصهيوني في عام 2000. وينبغي القول إن مفعول العمليات الفدائية كان قوياً، وما زالت ذكراها ماثلة في الأذهان حتى يومنا هذا. لقد كانت العمليات خلف خطوط العدو والكمائن المتنوعة تؤدي ضربات موجعة للعدو في أماكن لا يتوقعها، وتكبده خسائر كبيرة في صفوفه، بشرية ومادية، وتستنزف قدراته وطاقته، وتصيبه بحالة هستيريا دائمة. ربما لا يمكن أن تستقيم الأمور إلا بإعادة إحياء هذا النهج، داخل الأراضي المحتلة، والذي تمت تجربته بنجاح وقد أتى أُكله، وأثبت فعاليته.

من المفيد هنا التكرار بأن الكيان الصهيوني هو كيان استيطاني، إحلالي، وتوسعي، ومفهومه للسلام يتناقض مع تطلعات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية. هذا الكيان لا يُريد السلام مع محيطه، بل يُريد الاستسلام. يُريد الأرض والمياه والاقتصاد. لقد ساهمت الظروف السياسية والتاريخية بأن يكون هذا العدو متفوقاً بالسلاح والتكنلوجيا، لكن حتى الآن لم يُكتب له الاستقرار، ولن يستقر. لذلك لا بد أن يدفع الثمن الغالي الذي لا يتناسب مع إمكانية بقائه في المنطقة. وهذه المعادلة لا يمكن أن تتحقق من خلال فرضيات إحلال التوازن الإستراتيجي، أو أي نوع من أنواع التوازن. تحقيق التوازن يعني الإبقاء على وجوده، والتعايش معه كما يحصل بين الدول الطبيعية المتجاورة. وقد ورد في القواميس، أمام معنى توازن القوى، أي تساوي القوى بين الدول بحيث لا تقدر دولة واحدة على السَّيطرة أو التَّدخُّل في شؤون غيرها. بينما الصراع الأساس منذ البداية كان صراع وجود وليس صراع على حدود أو بعض الموارد. وكان الهدف الإستراتيجي رد الحقوق إلى أصحابها. لذلك فإن الحرب المناسبة، هي حرب الاستنزاف التي تقضي على مقدرات العدو، وتستنزف طاقته، وتجعله يدفع الثمن الفادح في حال استمراره احتلال هذه البقعة من الأرض. وليس الاعتراف به والتعايش معه ومع جرائمه. وهكذا، نجد أن هنالك تبايناً واضحاً في مفهومي الاستنزاف والتوازن، وأيضاً في الأهداف والطرق التي تؤدي إلى كل حالة. لقد ساهمت الدعاية الصهيونية والتفوق التكنلوجي والضعف العربي بجذب المستوطنين اليهود من بُلدانهم الأصلية ليستوطنوا في الأراضي المحتلة والتمادي في العدوان. وحرب الاستنزاف، أو الحرب الفدائية، هي الكفيلة بدفعهم إلى العودة من حيث أتوا. لا ينبغي أن يشعروا بالاستقرار، ولا ينبغي أن يشعروا بأن هنالك شيئاً قادراً على حمايتهم.

ما بعد الوجود الأمريكي في سوريا..
اختبار السيادة وإدارة الفراغ الأمني

د.عزيز موسى ـ كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية - سورية

الأمريكي إلى عبء سياسي وعسكري منخفض الجدوى، خصوصًا في ظل انشغال الولايات المتحدة بأولويات أكثر إلحاحًا على الساحة الدولية. من هنا يبدو الانسحاب أقرب إلى انتقال من إدارة ميدانية مباشرة للصراع، إلى نمط نفوذ غير مباشر يعتمد على الشركاء المحليين، والأدوات الاستخبارية، والردع عن بُعد.

تحوّل الجغرافيا الأمنية

انسحاب واشنطن من قواعد (خراب الجير، التنف، الشدادي، قسرك) ينقل طبيعة هذه المنطقة من مساحة مراقبة دولية إلى نطاق سيادة مباشرة للحكومة السورية، لكن التحول لا يعني تلقائياً استقراراً فورياً، فالبادية السورية التي تتمركز فيها قاعدة التنف العسكرية والتي كانت تضم مايقارب 1200 جندي أميركي، تعكس جغرافيا مفتوحة ولطالما شكّلت بيئة مثالية لنشاط الخلايا المتحركة، ومع انتقال المسؤولية الأمنية إلى دمشق، يصبح التحدي في ملء الفراغ بسرعة قبل أن تستثمره أطراف أخرى، سواء كانت شبكات تهريب أو خلايا إرهابية.

عند مثلث الحدود السورية–العراقية–الأردنية شكّلت قاعدة التنف أكثر من نقطة عسكرية، إذ كانت أشبه بنقطة ارتكاز جغرافي تثبّت معادلة توازن في منطقة مفتوحة على احتمالات متعددة إذ أن وجودها كان يحدّ من حرية الحركة في البادية السورية للعناصر الإرهابية، ويراقب طرق الإمداد العابرة للحدود، ويرسم خطاً غير معلن يفصل بين مناطق النفوذ.

في الشمال الشرقي، حيث تداخلت خطوط السيطرة لسنوات بين قوات سوريا الديمقرطية «قسد» المدعومة أمريكياً والدولة السورية، شكّل وجود واشنطن دعامة أساسية لعمل قوات «قسد» ضمن إطار التحالف الدولي ضد تنظيم «داعش»، إلاّ أن الإعلان عن بدء مسار عملية اندماج «قسد» في هياكل الحكومة السورية العسكرية والأمنية أعاد ترتيب الواقع، ضمن ضوابط جديدة من قبل واشنطن تقوم على مبدأ تكريس

السيطرة الأمنية والعسكرية المباشرة لدمشق بعد انتفاء الحاجة الاستراتيجية لوجود القواعد وتقليل التكلفة والانخراط المباشر للقوات الأمريكية.

من الردع الخارجي إلى عبء الأمن الذاتي

تبرز تأثيرات الانسحاب على المؤسسة الأمنية والعسكرية السورية بتصاعد حجم التحديات من خلال اختبار القدرة على ضبط مساحات الفراغ، ترتيب السيطرة الأمنية، وتحجيم مساحات العمل التي يتخذ منها تنظيم «داعش» بشكل خاص بيئة يتم استغلالها للتحرك والذي بات يمتلك قدرات جديدة على التكيّف، إذ تحوّل إلى مبدأ الخلايا الصغيرة وهذا ماتجسّد من خلال تكثيف هجماته في مناطق متفرقة في أرياف دير الزور والرقة والتي استهدف خلالها نقاط متعددة لقوات الامن الداخلي و وزارة الدفاع خلال أيام قليلة.

هذا يعكس قدرة التنظيم على التكيف دون أن يكون مؤشراً لاستعادة قدراته العسكرية الكلية والبقاء ضمن إطار الهجمات الأمنية واستهداف البيئات الهشة، التحدي هنا ليس في خوض معارك مفتوحة، بل في منع عودة «الحرب الرمادية» تلك التي تُدار عبر كمائن متفرقة، واغتيالات، وضربات محدودة، بدورها وزارة الداخلية تدخل مرحلة اختبار حقيقي، فالمناطق التي باتت تخضع لسيطرة الحكومة السورية تحتاج إلى ضبط مدني-أمني متوازن من خلال احتواء التوترات العشائرية، مكافحة الجريمة المنظمة، منع تسلل السلاح، وإعادة بناء الثقة مع مجتمعات عاشت سنوات في ظل ترتيبات أمنية مختلفة، وبشكل أساسي تحجيم تنظيم «داعش» من القيام بهجماته.

غير أن التأثيرات الأمنية للانسحاب لا تتوقف عند حدود الانتشار الجغرافي، بل تمتد إلى طبيعة العقيدة القتالية ذاتها، فالوجود الأمريكي كان يشكّل عنصر ردع غير مباشر، ليس فقط عبر القوة النارية، بل عبر شبكة الاستطلاع الجوي والمراقبة التقنية وقدرات الاستجابة السريعة، مع تراجع هذا الغطاء، يصبح الإنذار المبكر مسؤولية محلية كاملة، هذا التحول يفرض انتقالاً من نموذج «الاعتماد على الشريك الدولي» إلى نموذج «الاستقلال العملياتي»، وهو انتقال يتطلب إعادة توزيع للموارد، وتكثيف العمل الاستخباري البشري، وتعزيز القدرة على التحرك السريع في مساحات مفتوحة.

أما على مستوى القيادة والسيطرة، فإن تسلّم قواعد كانت تعمل ضمن منظومة عملياتية أمريكية يعني وراثة بنية لوجستية تحتاج إلى تكييف سريع، القواعد ليست مباني فحسب، بل عقد اتصال، ومستودعات، وخطوط إمداد تمتد عشرات الكيلومترات، تشغيلها بكفاءة يتطلب حماية محيطها، وتأمين الطرق المؤدية إليها، ومنع تحوّلها إلى أهداف رمزية، كما أن أي اختلال أمني في الشرق السوري قد ينعكس مباشرة على الحدود مع العراق، حيث ما تزال بقايا تنظيم داعش تتحرك ضمن نمط عابر للحدود.

من زاوية أخرى، قد تدفع إعادة التموضع الأمريكي بعض الفاعلين الإقليميين إلى اختبار حدود النفوذ الجديدة. تركيا قد تراقب بدقة أي فراغ في الشمال الشرقي، فيما ستسعى روسيا إلى تثبيت نفسها كمرجعية ضامنة لإدارة التوازنات.

مستقبل معلّق على إدارة الفراغ

تشير هذه المعطيات إلى جملة من السيناريوهات المحتملة في المرحلة المقبلة، يتمثل أبرزها في إمكانية تحقيق استقرار تدريجي منضبط، تُسدّ فيه الفراغات الأمنية بوتيرة سريعة، ويُحصر النشاط المسلح ضمن نطاقات ضيقة وخاضعة للرقابة، بالتوازي مع استمرار قنوات التنسيق المباشر مع الولايات المتحدة وقوات التحالف الدولي، بما يضمن إدارة المخاطر ومنع عودة بؤر التهديد.

أما المشهد الثاني، فيمكن أن يتجلى بفوضى منخفضة الشدة تستنزف الموارد دون أن تنفجر إلى مواجهة واسعة، من خلال تصاعد حدة الهجمات لا سيما من قبل تنظيم «داعش» في استمرار عملياته واستهدافه للبنى الأمنية والعسكرية والتركيز أيضاً على البيئات المحلية والمدنية.

بالنسبة للمشهد الثالث يكمن بإعادة إنتاج الصراع بصيغة مختلفة من خلال تداخل بين عناصر تتبع لتنظيمات متعددة تحاول استغلال الفوضى واستثمارها واستقطاب عناصر ضمن المؤسسات الأمنية والعسكرية قد تنتهج إيديولوجية متطرفة، وبالتالي الذهاب نحو انفجار أمني متعدد ينعكس في مختلف المناطق.

في هذا السياق، لا ينبغي النظر إلى الانسحاب باعتباره نهاية تأثير، بل تحولاً في آلياته، فالتأثير الأمريكي قد يتراجع ميدانياً، لكنه لا يغيب استخبارياً أو ردعياً، في المقابل تواجه الدولة السورية اختباراً مركزياً يتمثل في قدرتها على تحويل السيطرة الجغرافية إلى استقرار أمني مستدام، ومنع عودة أنماط من التحديات الأمنية التي تؤدي إلى تداعيات خطيرة في المرحلة الانتقالية.

أوكرانيا 2026:
تحولات الحرب غير المتكافئة وإعادة هندسة الأمن القومي الأوروبي في المختبر الأوكراني

د. سعيد سلّام ـ مدير مركز فيجن للدراسات الاستراتيجية

تدخل الحرب الروسية على أوكرانيا عامها الخامس وهي تتجاوز بمرونة دموية كافة التوقعات الكلاسيكية ومصفوفات التقدير التي رُسمت في فبراير 2022؛ حيث لم يعد المشهد الميداني والجيوسياسي مجرد حرب حدودية أو مواجهة إقليمية محصورة، بل تطور في انتقال نوعي حاسم من مفهوم الحرب الخاطفة التي راهن عليها الكرملين لقطع رأس الدولة الاوكرانية، إلى حرب وجودية مفتوحة لا تقبل القسمة على اثنين. إن هذا التحول يمثل الزلزال الجيوسياسي الأكبر في القارة الأوروبية منذ ثمانية عقود، حيث أصبحت الحرب هي الحالة الطبيعية الجديدة التي تعيد هندسة النظم السياسية والاجتماعية في ضفتي المواجهة، مما فرض مأسسة شاملة للمواجهة على كافة المستويات، وتحويلها من صدام عسكري عابر إلى نظام استنزاف استراتيجي بعيد المدى يستهدف المرتكزات العميقة للدولة والمجتمع والقدرة الإنتاجية. إن هذا المآل يعكس تحولاً استراتيجياً كبيراً نحو «استراتيجية الطحن الممنهجة» التي تتجاوز في أهدافها السيطرة على الجغرافيا لتستهدف تقويض الكيان السيادي؛ فلم تعد المعركة تُقاس بمساحة الأرض المكتسبة فحسب، بل بالقدرة على شل القدرة الإنتاجية للخصم، وتحطيم تماسك جبهته الداخلية، واستنزاف احتياطاته المادية والبشرية بمرور الزمن. إنها حرب نفس طويل بامتياز، حيث استُبدلت عمليات المناورة الكبرى بحرب النقاط الحيوية، لتتحول المصانع، ومحطات الطاقة، وسلاسل الإمداد، وحتى التركيبة الديموغرافية، إلى أهداف عسكرية حيوية في استراتيجية ترمي إلى جعل كلفة استمرار الدولة بالنسبة للطرف الآخر غير قابلة للتحمل تاريخياً. وفي خضم هذا الاستنزاف، تساقطت الأوهام الاستراتيجية التي سيطرت على بدايات الحرب؛ فقد تحطمت فرضية الحسم الروسي السريع وانهيار المقاومة الأوكرانية تحت وطأة التفوق النيراني الكلاسيكي، وبرزت في المقابل حقيقة الصمود التقني والسيادي لكييف الذي تحول إلى عقيدة بقاء وطني مدعومة بثورة في المسيرات والصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى. غير أن سقوط الأوهام لم يكن أحادي الجانب، إذ سقطت معه أيضاً رهانات الغرب الأولية على الانهيار الاقتصادي الفوري لروسيا؛ حيث أثبتت موسكو قدرة على التكيف عبر فرضية التحمل الاقتصادي وإعادة توجيه بوصلتها نحو دلهي وبكين، متبنيةً اقتصاد حرب استطاع امتصاص الصدمات الأولية للعقوبات. ومع ذلك، تكشف المعطيات الاقتصادية أن هذا الصمود الروسي يعاني من تآكل بنيوي عميق، حيث تلتهم الميزانية العسكرية العصب المدني للدولة، وتواجه موسكو نزيفاً بشرياً هائلاً ونقصاً حاداً في القوى العاملة الماهرة، مما يجعل من عام 2026 شاهداً على نظام عالمي هجين، لا يملك فيه أي طرف ترف الحسم المطلق أو الرغبة في التراجع المنكسر، مما يؤسس لصراع ممتد سيعيد تعريف مفهوم القوة القومية والسيادة المؤسساتية، حيث لن يتحدد المنتصر بمساحة الخنادق، بل بالقدرة على امتصاص الصدمات الاقتصادية والاجتماعية في أطول صراع استنزاف تشهده القارة منذ قرن.

تتجلى المعضلة الميدانية الروسية في مطلع عام 2026 من خلال الانغماس الكامل فيما يُعرف بـ «عقيدة الطحن»، وهي الخيار الاضطراري الذي تبناه الكرملين بعد اصطدام مناوراته العملياتية الخاطفة بجدار الصمود الأوكراني؛ إن هذه العقيدة لا تعكس تفوقاً ميدانياً، بل تعبر عن عجز تكتيكي في تحقيق اختراقات حاسمة، حيث استُبدلت المناورة بالضغط البشري الهائل والموجات الانتحارية التي تفتقر للمرونة القتالية. وتشير البيانات العسكرية في فبراير 2026 إلى انحسار سرعة التقدم الروسي في المحاور الأكثر استعاراً؛ حيث يمتد قوس المواجهة من العمليات الهادفة

لكسر القوس الدفاعي لمدينة كراماتورسك عبر جبهتي بوكروفسك وتشاسيف يار في دونيتسك، وصولاً إلى استعصاء جبهات كوبيانسك في خاركيف وخطوط التماس في زابوريجيا، وحتى محاولات الضغط الروسية المجهدة باتجاه التخوم اللوجستية لدنيبروبيتروفسك. وفي هذه المحاور كافة، انكفأت وتيرة الاختراقات العملياتية الكبرى لتتحول إلى مراوحة دامية لا يتجاوز معدل التقدم فيها ما بين 15 إلى 70 متراً يومياً، مما يؤكد عجز الكتلة النيرانية الروسية عن تحقيق أي انزياح استراتيجي في الخارطة، رغم الكلفة البشرية الهائلة التي تضعف بنية الجيش الروسي وتستنزف احتياطاته النخبوية. وتظهر القراءة التحليلية للمكاسب الأرضية التراكمية، منذ مطلع عام 2024 وحتى منتصف فبراير 2026، أن موسكو استطاعت احتلال قرابة 8,500 كيلومتر مربع؛ وهي مساحة لا تمثل سوى 1.4% من إجمالي السيادة الترابية الأوكرانية. إن هذا المشهد يكرس مفهوم «النصر البيروسي» بأبشع صوره، وهو النصر الذي تكون كلفته باهظة لدرجة تماثل الهزيمة في آثارها التدميرية على المنتصر؛ حيث قوبلت هذه المكاسب الأرضية المحدودة بفاتورة بشرية مرعبة ناهزت 1.25 مليون إصابة إجمالية، مما جعل كل كيلومتر مربع مكتسب يلتهم النواة الصلبة للقوة البشرية الروسية ويقوض قدرة الدولة على استدامة وجودها كقوة عظمى في المستقبل. ويظهر التحليل المعمق أن موسكو تستهلك ما بين 76 إلى 170 جندياً لكل كيلومتر مربع مكتسب؛ مما يعني أن كل تقدم بسيط يحققه الكرملين يؤدي فعلياً إلى تآكل القوة القومية الروسية وتفريغ المؤسسة العسكرية من نخبويتها وكفاءتها النوعية. إنها عملية تدمير ذاتي مُقنّعة بالتقدم الميداني، حيث يتحول الجيش الروسي تدريجياً إلى كتلة بشرية ضخمة تفتقر لروح المبادرة والقدرة على الحسم، مما يجعل هذه المكاسب الأرضية عبئاً استراتيجياً يستنزف موارد الدولة بدلاً من أن يكون أصلاً سياسياً يمكن استثماره. ويتجلى المأزق الروسي في عام 2026 أيضاً في معضلة الاستنزاف الديموغرافي الذي تحول من مجرد خسائر عسكرية إلى تهديد لبنية الدولة الاجتماعية، إلا أن المتغير الحاسم في قدرة الكرملين على الاستمرار لا يكمن فقط في الأرقام المطلقة للقتلى، بل في إدارة جغرافيا النزيف البشري؛ إذ يعتمد الكرملين استراتيجية التعبئة الصامتة التي تستهدف بشكل حصري الأقليات العرقية، وسكان الأقاليم النائية، والفئات المهمشة اقتصادياً، لتجنب المساس بالكتلة البشرية والاجتماعية في المدن الكبرى كموسكو وسانت بطرسبرغ. إن هذا التمييز الديموغرافي يهدف إلى الحفاظ على حالة اللا حرب داخل المراكز الحضرية والسياسية التي تصنع الرأي العام الروسي، وهو ما يفسر غياب القلاقل الشعبية حتى الآن. ومع ذلك، فإن عام 2026 يمثل عنق الزجاجة لهذا التكتيك؛ إذ بدأت خزانات التعبئة في الأقاليم تنضب، مما يضع الكرملين أمام خيارين أحلاهما مر: إما القبول بتباطؤ العمليات العسكرية نتيجة نقص القوة البشرية، أو الانتقال إلى تعبئة شاملة تكسر العقد الاجتماعي مع الطبقة الوسطى في المدن الكبرى. إن الاضطرار لنشر أوامر الاستدعاء في شوارع موسكو يمثل الخط الأحمر الذي قد يحول الاستنزاف الميداني إلى انفجار سياسي داخلي، مما يجعل القدرة على إدارة هذا النزيف دون المساس بالمركز هي المحدد الفعلي لسقف الطموحات الإمبراطورية ومدى صمود النظام الروسي أمام الضغط المتصاعد.

وفي مواجهة الكثافة العمياء للآلة العسكرية الروسية، نجحت أوكرانيا في هندسة ردع سيادي مستقل، نقل المواجهة من صراع كمي إلى حرب نوعية غير متكافئة تقنياً؛ وقد مثّل دخول منظومات صواريخ «نبتون الطويل» و«فلامينغو» البالیستية محلية الصنع مرحلة الاستقلال الاستراتيجي عن القيود السياسية الغربية؛ حيث باتت كييف تمتلك القدرة على توجيه ضربات دقيقة في العمق الروسي تتجاوز الـ 1500 كيلومتر. هذه الترسانة السيادية مكنت القوات الأوكرانية من استهداف المطارات العسكرية، ومراكز القيادة التكتيكية، وعقد اللوجستيات الحيوية داخل الأراضي الروسية، فارضةً معادلة الألم المتبادل ونقل كلفة الحرب المباشرة إلى داخل المجتمع والجيش الروسي. هذه الثورة التقنية بلغت ذروتها مع بزوغ سلاح الجو البديل؛ فبحلول مطلع عام 2026، تجاوز الإنتاج الأوكراني من المسيرات الثقيلة بعيدة المدى حاجز 200 ألف وحدة شهرياً، ليصل الإجمالي السنوي المخطط له إلى عتبة 7 ملايين وحدة من مختلف الفئات. هذه المسيرات، التي يصل مدى بعض طرازاتها إلى 2000 كيلومتر، لم تعد مجرد سلاح تكتيكي، بل تحولت أداةً لتقويض الأمن القومي الروسي في أبعد نقاطه الحيوية؛ حيث طالت الضربات المجمع الصناعي العسكري في جبال الأورال، ومصافي تكرير النفط الاستراتيجية وموانئ تصديره. غير أن هذا التفوق التقني ليس ثابتاً، بل يواجه استجابة روسية حثيثة عبر تطوير منظومات الحرب الإلكترونية والتشويش التكتيكي، مما خلق سباقاً محموماً بين الخوارزميات الهجومية الأوكرانية والستائر الكهرومغناطيسية الروسية. إن هذا الصراع الإلكتروني المستمر هو الذي دفع كييف لاعتماد الذكاء الاصطناعي في توجيه المسيرات لتجاوز مناطق الحجب الإشاري، وهو ما أجبر موسكو في المقابل على استنزاف وتبعثر منظومات دفاعها الجوي والطبقي لحماية الأهداف الحيوية في عمقها، مما خلق ثغرات عملياتية على خطوط الجبهة استغلتها أوكرانيا بكفاءة عالية. علاوة على ذلك، تكرست السيادة الرقمية الأوكرانية عبر تحويل الجبهات إلى خطوط نار ذكية؛ حيث تندمج آلاف المسيرات الانتحارية المدعومة بالذكاء الاصطناعي مع شبكات اتصال مشفرة عبر ستارلينك، مما جعل أي تحرك للمدرعات أو تجمعات المشاة الروسية مكشوفاً ومستهدفاً في غضون ثوانٍ من ظهوره. إن هذا المزيج بين الصمود البشري والابتكار التسليحي السيادي قد أعاد تعريف مفهوم القوة؛ فلم تعد السيادة تقتصر على عدد الدبابات، بل على القدرة على الرؤية والضرب أولاً، وهذا هو الجوهر الذي يفسر فشل كافة محاولات الحسم الروسية في 2025 وبداية 2026، محولاً استراتيجية الطحن إلى انتحار مؤسساتي بطيء للكرملين أمام قوة تقنية لم تعد رهينة الإمدادات الخارجية بالكامل، بل باتت تصنع قدرتها على الردع والاستهداف بشكل مستقل ومستدام.

وعلى جبهة النزيف الاقتصادي وحرب شرايين الطاقة، دخلت أوكرانيا عام 2026 وهي تواجه أعقد أزمة طاقية في تاريخها المعاصر، نتيجة إصرار الكرملين على «استراتيجية الظلام» التي انتقلت من العشوائية إلى الاستهداف الممنهج لمحطات التحويل الرئيسية، وعقد الربط القارية، والقدرات الإنتاجية المتبقية من الطاقة النووية والحرارية. لقد قفز عجز الطاقة البنيوي إلى مستويات عالية من إجمالي الاحتياجات الوطنية، حيث تراجعت القدرة التوليدية المتاحة إلى مستويات حرجة تتطلب إدارة دقيقة للأحمال. لم يعد هذا العجز يمثل مجرد تحدٍ خدمي، بل تحول إلى كابح استراتيجي يهدد السيادة الإنتاجية لأوكرانيا؛ حيث أدى فرض نظام التقنين الصناعي القاسي إلى خفض الإنتاجية في المعامل الحربية المتوسطة والصغيرة غير المرتبطة بالخطوط السيادية المحمية. وقد تسبب هذا الضغط في زيادة كلفة التشغيل والإنتاج العسكري بنسبة 25%، نتيجة الاعتماد القسري على اقتصاد المولدات والحلول البديلة المستوردة بأسعار تفوق معدلات السوق القارية. ومع ذلك، نجحت أوكرانيا في بناء «صلابة مأزومة» عبر لامركزية الطاقة والاعتماد المتزايد على منظومات الدفاع الجوي المدفعية مثل «جيبارد» و «سكاينكس» لحماية النقاط الحيوية، مدعومة بضخ مالي أوروبي استراتيجي تمثل في حزمة قروض بقيمة 90 مليار يورو لعامي 2026 و2027. «إن استراتيجية «حرب الشرايين» التي تنتهجها موسكو تستهدف، في عمقها الجيوسياسي، تجريف المرتكزات الصناعية الأوكرانية لقطع الطريق أمام تحول أوكرانيا إلى «ترسانة دفاعية» لمنطقة أوروبا الشرقية؛ وهذا الواقع يفرض معادلة أمنية جديدة، يصبح فيها تأمين مظلة الطاقة وإعادة الإعمار السريع لمحطات التوليد ضرورة استراتيجية توازي في أهميتها نشر الدفاعات الجوية في الجبهات الأمامية، إذ يمثل استقرار الطاقة الضامن الوحيد لبقاء الدولة كياناً سياسياً واقتصادياً فاعلاً، وقادراً على تمويل صموده الذاتي وحماية سيادته من التحلل تحت وطأة الاستنزاف. وفي المقابل، وبالتوازي مع الصمود الدفاعي، تبنت كييف منذ منتصف عام 2025 استراتيجية هجومية شاملة تُعرف بـ «نقل التكلفة الاستراتيجية»؛ حيث انتقلت من استهداف المواقع العسكرية المباشرة إلى ضرب العصب الحيوي الذي يغذي آلة الحرب الروسية، متمثلاً في قطاع الطاقة والخدمات اللوجستية الكبرى. وبفضل امتلاكها لجيل جديد من المسيرات الانتحارية بعيدة المدى، لم تعد الجغرافيا الروسية الشاسعة توفر الحماية لمجمعاتها النفطية، فقد ركزت كييف ببراعة عملياتية على عقد الاختناق في مصافي التكرير الاستراتيجية، ومنشآت التخزين، وموانئ التصدير الحيوية في حوضي بحر البلطيق والبحر الأسود. وبحلول فبراير 2026، نجحت هذه الحملة الجوية المنظمة في تعطيل نحو 18% من قدرات التكرير الروسية الإجمالية، مما أخرج منشآت كبرى عن الخدمة لفترات طويلة نتيجة صعوبة استيراد قطع الغيار والتقنيات الغربية اللازمة للإصلاح تحت وطأة العقوبات. وقد أحدث هذا النزيف تداعيات هيكلية في اقتصاد الحرب الروسي، حيث أدى تعطل المصافي إلى نقص حاد في المشتقات النفطية والوقود المخصص للاستهلاك المحلي، مما وضع الكرملين أمام معضلة المفاضلة القصوى بين تأمين احتياجات الجبهة العسكرية المشتعلة أو حماية الجبهة الداخلية من سخط شعبي ناتج عن ارتفاع جنوني في أسعار الوقود ونقص الإمدادات. هذا التحدي أجبر موسكو على فرض حظر قسري على صادرات المشتقات النفطية، مما تسبب في نزيف مزدوج تمثل في فقدان تدفقات العملة الصعبة الحيوية من جهة، وارتفاع كلفة التأمين والخدمات اللوجستية العسكرية للجبهات من جهة أخرى، محولاً قطاع الطاقة الروسي من درع مالي إلى خاصرة رخوة تستنزف الموارد الدفاعية والأمنية لحمايتها.

ورغم محاولات الماكينة الإعلامية للكرملين تصدير صورة المنعة الاقتصادية، إلا أن المؤشرات الهيكلية المسجلة تكشف عن تصدعات بنيوية تضرب أسس الاستقرار المالي الروسي، وتضع الدولة أمام معضلة الاستدامة؛ حيث قفز عجز الميزانية الروسي إلى 3.5% من الناتج المحلي الإجمالي، وهو رقم يعكس ضغطاً هائلاً ناتجاً عن تحول الدولة إلى ثكنة إنتاج عسكري؛ حيث يلتهم الإنفاق الدفاعي والأمني نحو 40% من الميزانية العامة. هذا الإنفاق العسكري الانفجاري، متزامنًا مع نقص المعروض السلعي المدني ونقص العمالة، دفع بمعدلات التضخم إلى تجاوز حاجز 15%، مما يهدد الرفاهية الاجتماعية ويزيد من عبء خدمة الديون السيادية. كما تجاوز الارتهان الروسي للصين في عام 2026 حدود التبادل التجاري التقليدي ليصل إلى مرحلة التبعية الوجودية؛ حيث بلغت التجارة البينية رقماً قياسياً ناهز 240 مليار دولار، مما جعل الصين عملياً هي المقرض والمشتري والنافذة التكنولوجية الوحيدة لموسكو. غير أن التحليل المعمق يفرض علينا التمييز الدقيق بين مستويين من الدعم الصيني: مستوى الدعم لضمان بقاء النظام، وهو المسار الذي تنتهجه بكين حالياً لمنع سقوط روسيا، ومستوى الدعم من أجل حسم الحرب، وهو الخط الأحمر الذي لم تتجاوزه بكين بعد لتجنب القطيعة مع الأسواق الغربية. إن بقاء الصين ضمن حدود دعم الاستمرارية يعني استنزاف روسيا والغرب في صراع طويل يخدم طموحاتها في إعادة صياغة النظام العالمي، مع إبقاء موسكو في حالة ضعف مسيطر عليه يضمن ارتهانها الكامل لليوان. هذا التوازن الصيني الدقيق يحول الاقتصاد الروسي إلى ملحق يفقد استقلاليته السيادية تدريجياً؛ إذ أصبحت قدرة الكرملين على المناورة الاستراتيجية رهينة لسياسات بكين المالية ومصالحها الجيوسياسية، مما يجعل اقتصاد الحرب الروسي مجرد ترس في ماكينة صينية أوسع. إن تداخل النزيف الطاقي الذي تديره أوكرانيا بذكاء، مع شلل الرئة النفطية الروسية، يؤكد أن الجبهة الاقتصادية في عام 2026 قد غدت المحرك الفعلي ومحدد الأفق الزمني للحرب، حيث لم يعد السؤال من يملك دبابات أكثر؟ بل من يستطيع الحفاظ على كيان الدولة من التحلل المالي تحت وطأة الاستنزاف المفتوح؟

ومع دخول الحرب عامها الخامس في فبراير 2026، تجاوزت أوكرانيا مرحلة الأمل العاطفي بالنصر لتستقر في مرحلة الاستعداد الوجودي للصمود المفتوح، حيث تتبلور كتلة وطنية صلبة ترفض بشكل قاطع أي مقايضة للأرض مقابل وعود الأمن، إذ تستقر نسبة الرافضين للتنازل عن الأراضي المحتلة، بما فيها شبه جزيرة القرم، عند حاجز 52% إلى 54%. وهذا الرقم يمثل خطاً أحمر سيادياً يمنع أي قيادة سياسية في كييف من الانزلاق نحو صفقات الأرض مقابل السلام؛ إذ ترسخ في الوعي الجمعي أن التنازل عن الأراضي هو تفكيك رمزي للشرعية التاريخية للدولة. ورغم القصف الروسي

الممنهج، أعرب 65% من الأوكرانيين عن استعدادهم المطلق لتحمل تبعات الحرب وأزمات الطاقة، مما يحول المجتمع إلى شريك في الردع المعنوي، مع رفض قاطع بنسبة تتجاوز 80% لأي صيغة تضمن بقاء القوات الروسية دون جدول زمني ملزم للانسحاب. وتتبلور الرؤية الاستراتيجية الأوكرانية حول معيارين جوهريين: المظلة الأمنية فوق السيادية المتمثلة في «تحالف الطمأنة الأوروبي» الفعال، ورفض النموذج الكوري باعتباره مقارنة مضللة لا تتناسب مع عقيدة الإلغاء الوجودي التي تتبناها روسيا. إن هذا التلاحم العضوي قد أعاد صياغة مفهوم السيادة لتصبح غريزة بقاء جماعية، مما يجعل من استقلال أوكرانيا الركيزة الأساسية لأي هيكل أمني مستدام في القارة.

وفي المقابل، يتبنى الرئيس الروسي عقيدة الحسم الوجودي، التي ترى في السيطرة الاستراتيجية الكاملة على أوكرانيا شرطاً ضرورياً لعظمة روسيا في عالم متعدد الأقطاب، مستخدماً المفاوضات كأداة لانتزاع صك استسلام قانوني ينهي الشخصية الدولية المستقلة لأوكرانيا. ويراهن بوتين على عامل الزمن وتصدع وحدة الصف الأطلسي، مستفيداً من عودة دونالد ترامب للبيت الأبيض لإحداث شرخ بين واشنطن وحلفائها الأوروبيين عبر طرح «صفقة دميتريف» التي تعد باستثمارات وهمية بقيمة 12 تريليون دولار في قطاعات الطاقة والمعادن، وهي مناورة تفتقر للسيادة الفعلية نظراً للارتهان الروسي الكامل للصين.

من ناحية أخرى، أدى الانفصال الاستراتيجي الأمريكي الصادم، المتمثل في وثيقة الامن القومي الأمريكي التي نشرت في ديسمبر 2025، التي تبنت الواقعية القومية المتطرفة، إلى تسريع ولادة أوروبا كقطب جيوسياسي خشن ومستقل؛ حيث أدركت العواصم الأوروبية أن أمن القارة بات مسؤولية قارية بحتة. ورداً على حالة التراجع في الموقف الأمريكي، أقر الاتحاد الأوروبي حزمة تمويل استثنائية بقيمة 90 مليار يورو مخصصة لدعم أوكرانيا على مدار عامين، في خطوة تهدف إلى تأمين استدامة الدعم العسكري والاقتصادي لكييف بعيداً عن تقلبات واشنطن السياسية؛ وبالتوازي مع هذا الدعم المالي، عززت العواصم الأوروبية من وجودها العسكري المكثف على الجبهة الشرقية لحلف الناتو وفي مراكز التدريب واللوجستيات المتاخمة للحدود الأوكرانية، لتشكل هذه التحركات في مجموعها «شبكة أمان استراتيجية» تهدف لتعويض أي تراجع في الزخم الأمريكي، وضمان بقاء المظلة الدفاعية الأوروبية فاعلة وحاضرة في مواجهة التهديدات الروسية، دون الانزلاق إلى صدام عسكري مباشر يتجاوز حدود الدعم اللوجستي والمادي المقر دولياً. إن هذا التحول الجذري يعكس الطلاق الاستراتيجي الفعلي بين ضفتي الأطلسي، حيث تحولت أوكرانيا إلى «المختبر الأول» وصمام الأمان لسياسة «أوروبا القلعة»، وأصبحت الشراكة العسكرية بين بروكسل وكييف هي العمود الفقري الجديد للاستقرار القاري.

وبناءً على موازين القوى الحالي تبرز ثلاثة سيناريوهات متباينة: السيناريو الأول، وهو الأكثر ترجيحاً، يتمثل في مأسسة الاستنزاف وتحول الحرب إلى صراع وظيفي دائم، وفي هذا المسار، تفشل كافة المقاربات التبسيطية التي تتبناها إدارة ترامب، لأنها تنطلق من فرضية خاطئة مفادها أن النزاع مجرد خلاف حدودي يمكن حله بصفقة عقارية، بينما هو في الحقيقة تصادم وجودي بين عقيدة الحسم الإمبراطوري الروسية وعقيدة الردع السيادي الأوكرانية، مما يؤدي إلى نشوء نظام عالمي هجين تبقى فيه الجبهات مشتعلة دون حسم، وتتحول أوكرانيا إلى «إسبرطة» أوروبية مدعومة تقنياً ومادياً. السيناريو الثاني، يبرز مسار الانكسار البنيوي المفاجئ نتيجة تراكم الضغوط الاقتصادية والديموغرافية، حيث قد يؤدي نزيف القوى العاملة الماهرة في روسيا أو الشلل الطاقي الشامل في أوكرانيا إلى انهيار أحد الطرفين. السيناريو الثالث، وهو الأقل ترجيحاً، يتمثل في التسوية القسرية الهشة التي تفرضها الضغوط الأمريكية، وهي هدنة مسلحة تفتقر للركائز السياسية وتحول خط التماس إلى جدار برلين جديد. إن مآلات هذه السيناريوهات تؤكد أن عام 2026 هو عام النهايات المفتوحة بامتياز، حيث سقطت رهانات الحسم العسكري المباشر وتحولت موازين القوى إلى معادلات معقدة مرتهنة بالابتكار التقني والصمود الهيكلي. إننا نشهد اليوم مشهداً تاريخياً فريداً تعيد فيه أوكرانيا صياغة مفهوم السيادة المستقلة من خلال ثورة المسيرات وخوارزميات الذكاء الاصطناعي، في مواجهة محاولات روسيا استعادة الزمن الإمبراطوري بالاعتماد على الكتلة البشرية والنيرانية الكلاسيكية. وفي هذا التصادم الوجودي، تبقى الاحتمالية الأكبر هي بقاء الجرح الأوكراني مفتوحاً كمحرك أساسي لإعادة هيكلة النظام العالمي الجديد، حيث لن تضع هذه الحرب أوزارها إلا بانهيار أحد المفاهيم الوجودية المتصادمة.

في المحصلة النهائية، يبرز عام 2026 بوصفه المختبر التاريخي الكبير الذي يُعيد هندسة المفهوم البنيوي للسيادة في النظام الدولي الجديد؛ فلم تعد الحرب مجرد صدام حدودي عابر، بل أصبحت صراعاً مصيرياً حول هوية الأمن القاري ومستقبل استقلالية القرار الأوروبي، في ظل انزياح استراتيجي أمريكي نحو الانكفاء، وتمدد جامح للطموحات الإمبراطورية الروسية. إن الصمود الأوكراني، الذي بات يتكئ اليوم على العمود الفقري الأوروبي الناشئ، يمثل حجر الزاوية في تحديد المسار القيمي والسياسي للقرن الحادي والعشرين؛ حيث يوضع العالم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما السقوط في أتون القوة الغاشمة ومنطق الصفقات الكبرى التي تُبرم فوق رؤوس الشعوب، أو الانتصار للغة السيادة الوطنية والتحالفات الدفاعية المستقلة التي تُبنى على أنقاض التبعية الأمنية التقليدية. إن ملامح النصر في مطلع هذا العام لم تعد تُقاس بالاستحواذ المادي على بعض الأمتار في خنادق دونيتسك، بل باتت تُرتَهن بمدى القدرة على حماية الصلابة البنيوية للدولة وهندسة «ردع سيادي» صلب ومستدام، يحوّل كلفة العدوان من مجرد استنزاف عسكري إلى عبء انتحاري يهدد بتقويض أركان أي نظام إمبراطوري يحاول العبث بالجغرافيا السياسية للقارة، معلناً بذلك الوفاة النهائية لنظام يالطا 1945 الذي سقطت موازينه تحت نيران المسيرات وخوارزميات المواجهة، ليفسح المجال لولادة فجر جيوسياسي جديد لا مكان فيه لأنصاف الحلول أو السيادات المنقوصة، بل للبقاء لمن يمتلك الرؤية والصلابة وابتكار أدوات الاستدامة في قلب العاصفة.

مغزى ودلالات تصريحات السفير مايك هاكابي

د. محمد عياش – كاتب وباحث سياسي ـ سورية

أعتقد أن تصريحات السفير الأمريكي لدى ما يسمى دولة الكيان الصهيوني مايك هاكابي، والتي تُعتبر بالمحرّضة والسّاعية لقلب الحقائق والتلاعب بالنصوص الدينية، والاعتماد على الخرافات والأراجيف والأسمار، ما هي إلا استثمار حالة من الضعف والهوان العربي عمومًا ومن ولي الدم الفلسطينيين خصوصاً، الذين احترفوا الخلافات والاختلافات حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

إذ يخرج السفير المتصهين، ليعلن للعالم، حق الكيان الصهيوني السيطرة على الشرق الأوسط، في حالة ربما استباقية للأهداف والمرامي التي تسعى الولايات المتحدة تحقيقها من الحرب على إيران، وكأن هاكابي يبشر الصهاينة أن بعد انهيار نظام الحكم في إيران، الاستعداد لابتلاع المنطقة، وذلك من خلال القوة العسكرية الأمريكية التي ستتموضع في المنطقة، وبالتالي فإن الأهداف التي كانت في الظل وتتداولها العقول الصهيونية الإحلالية، أصبحت في العلن وحان وقتها وزمانها .

إن ما صرّح به هاكابي لم يكن مفاجئًا، لأن الكيان الصهيوني منذ نشأته وقيامه على أرض فلسطين لم يخف الأهداف بالسيطرة الكاملة على الشرق العربي، وتشييد مشروعه الذي يمتد من الفرات إلى النيل، طبعاً هنا لا يمكن أن يتصور المرء أن الكيان وما يعانيه من نقص بشري يصارع الديمغرافية الفلسطينية الزاحفة، القدرة على احتلال أراضي شاسعة وواسعة احتلالًا مباشرًا، وبالتالي فإن مفهوم الاحتلال والسيطرة تعدى مفاهيمَ أخرى ويكفي السيطرة على القرار والسيادة وتنفيذ كل الأهداف وتبديد المخاوف والهواجس بتفعيل ما يسمى المراقبة الدائمة عبر الأرض والفضاء.

كشف هاكابي النقاب عن العقلية الصهيو- أمريكية والتحالف الإنجيلي الذي يرى في الأرض غنيمة وفي الشعوب مجرد تفاصيل وسقط متاع قابلة للتصرف، والمشروع المزمع قيامه هو مجرد تحقيق لأقوال المؤسسين لهذا الكيان من تيودور هرتزل إلى بن غوريون ونتنياهو الحالم بقيام «إسرائيل» الكبرى على جماجم الفلسطينيين والعرب، وأن المشروع قابل للتنفيذ وسيمر بسهولة وسلاسة.

تصريحات خطيرة بما تحمله الكلمة من معنى، وتؤسس لرؤية جديدة في ظل غياب المؤسسات الدولية لجهة الحساب والمساءلة عن جرائم الاحتلال من إبادة جماعية بحق أهلنا في غزة وسُعار المستوطنين في الضفة الغربية، وفي بيئة فاسدة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية عبر المزاج والمحاباة وضرب الكؤوس الممتلئة بالخمر وعلى وقع الموسيقا الصاخبة، أو من خلال باب الطائرة ترسم الخطط والمؤامرات.

تأتي خطورة التصريحات ليس من إعلانها في هذا الظرف العصيب، بل من صمت أمريكي، وغياب المساءلة، وكأن واشنطن ترسم سياسة صهيونية بامتياز لجس نبض الشارع العربي العاجز تمامًا، والحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها أن الولايات المتحدة شريكة بالأهداف ورسم المخططات والمؤامرات وبالتالي فإن على الدول العربية على الأقل تغيير لهجتها الخطابية وتسمية الأمور بمسمياتها، وواشنطن لم تكن ولن تكون وسيطًا نزيهاً ولا يمكن التعويل عليها

باسترداد الحقوق العربية المشروعة.

إن المنظور الاستراتيجي الصهيو-أمريكي، يهدف إلى ابتلاع متدرج للمنطقة العربية، ولكن ما كان يستبطئ هذا المشروع هو النظام الإيراني الذي له مشروع أيضاً ويتقاطع مع المشروع الصهيو-أمريكي للأسف، أما ما شجع هاكابي هو المتغير بإعلان الحرب على إيران، وعدم القبول بالمبررات الإيرانية مهما كانت فالحل أصبح في متناول وزارة الحرب الأمريكية والطائرات الإسرائيلية المتأهبة أصلاً.

فالتاريخ دائماً يعيد نفسه، في المرة الأولى مأساة والأخرى ملهاة (مهزلة)، وبالتالي فإن التاريخ يعلمنا أن السياسة لا تدار بالبيانات أو العاطفة والخطابات العقائدية العنترية، بل بالمصالح والاستراتيجيات، وأن التحالفات غالبًا ما تعاد حساباتها عند لحظة الكلفة الحقيقية، وأقصد أن إيران وما صرفته وخسرته في دعم وكلائها في الدول العربية، خالف التنسيق والتحالف العضوي تحت الطاولة، وتجلّى ذلك تخلي طهران عن وكلائها وقت الشدة والمحنة.

الكيان الصهيوني منذ تأسيسه، اعتمد استراتيجية تقوم على النفاذ إلى مناطق الهشاشة السياسية، واستثمار الفراغات في الجوار، التي تتركها الدول الضعيفة أو المنقسمة. هو لا يصنع الشقوق، لكنه بارع في توسيعها والنفاذ منها في الوقت المناسب لها، سواء كانت شقوقاً طائفية أو إثنية أو مناطقية أو ناتجة عن انهيار فكرة الدولة نفسها. هذه السياسة ليست سراً، بل نمط متكرر في سلوكه في الشرق الأوسط وأفريقيا.

لذلك تستعد «إسرائيل» عبر ضرب قيادات حزب الله في لبنان، ورفع حالة الاستعداد والتيقظ الداخلي، بما يوحي بأن الضربة القادمة ليست مجرد خطة أمريكية فحسب، بل مشروع مشترك لإعادة رسم خرائط النفوذ في الشرق الأوسط، هذا التحرك يتزامن مع انسحاب الولايات المتحدة من قواعد لها في المنطقة، وتحشيد جوي وبحري غير مسبوق عبر نشر أربع منظومات «ثاد» في المنطقة، وتحصين الجبهة الداخلية للكيان الصهيوني في دلالة لا تخطئها العين.

الملك الأردني الراحل حسين بن طلال في حديث له مع الرئيس الأمريكي الأسبق، ليندون جونسون 1967، قال له:» إن القانون الدولي لا يجيز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة»، ليرد عليه جونسون، «لم يكن ممكناً أن تأخذ «إسرائيل» الضفة الغربية بغير القوة»! ينسحب هذا على هاكابي بقوله «إن إسرائيل إذا وصلت في حرب جديدة، إلى النيل، وضمت الأردن وسورية والعراق وبعض السعودية، فليكن، ولا مانع من هذا»!. وبالتالي فإن ما بوسع وبحسبان القس السابق هاكابي، دلالة الصوت الصريح لدولة الكيان التي لم تعقب باي توضيح بشأن السفاهات والإجابات على أسئلة زميله السابق في «فوكس نيوز» الصحافي تاكر كارلسون، كما أننا لم نصادف نأياً من الخارجية الامريكية وهو يتطاول باستخفاف معلن على دول عربية حليفة للولايات المتحدة؟

انتقادات وتعليقاتٌ غير قليلة التفتت إلى يهوديّة السفير هاكابي، المعمّدة بإنجيليّة صهيونية، يعبّر عنها تيارٌ واسعٌ في الولايات المتحدة، يردّ وجوب دعم «إسرائيل» في كل شيء إلى ارتباطٍ روحاني، فإن لنا أن نتذكّر أن الرئيس بيل كلينتون كان الوحيد غير اليهودي في الفريق الأميركي في أثناء مفاوضات كامب ديفيد عام 2000 بين الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والمجرم إيهود باراك. ولأن المسألة ليست في يهوديّة هذا أو ذاك، ولأن شجعاناً من أصحاب هذه الديانة تستحقّ مواقفهم الأخلاقية كل تثمين، فإن هذه السطور إنما تكترثُ بتلك اليهوديّة المغالية في الصهينة، والتي «تستثمر» في نُتفٍ توراتية تؤولها كما تشاء، ومن أساطينها هاكابي الذي ينطق باسم كتلٍ صلبةٍ تقيم في الإدارة الأميركية الراهنة، في البيت الأبيض والخارجية والاستخبارات. أما الكونغرس الذي يقف أعضاؤه مصفّقين في أثناء كلمةٍ يلقيها فيهم نتنياهو، وقد كانت أرطالُ التدليس فيها باهظة، فيتحدّث عن نفسه. وهذا السيناتور ليندسي غراهام، مثلاً، لم يتلعثم عندما نصح بتزويد «إسرائيل» بسلاح نووي للإجهاز على غزّة ومن فيها.

إن تلك الصهيونية الإنجيلية، وذلك الكلام عن الشعب اليهودي الذي اختار له الرب «هذه الأرض»، على ما استرسل هاكابي، يأخُذانا إلى أن أعلام الحركة الصهيونية ومؤسّسي دولة الاحتلال الصهيوني لم يكونوا متديّنين، بل يُحسب تيودور هرتزل مُلحداً. أمّا المؤسس الأول لدولة الكيان ديفيد بن غوريون الذي أعلن عدم تديّنه، وقال: «إن بناة «إسرائيل» الأوائل لم يكونوا مؤمنين». فهو الذي عزّز عدم فصل الدين عن الدولة في الكيان الذي أعلن قيامه، ولكن «إسرائيل» التي مشى مشروعُها ووصل إلى ما نرى غيرها التي كانت في تلك الأيام. كما أننا في لحظة، يتهاوى فيها المشرق العربي إلى ما يُشبه الكُساح أمام التوحش الإسرائيلي الذي لا تتعيّن له سقوف، ونرى في الغضون ترامب يختار مايك هاكابي سفيراً، وهو الذي يعرف هواه وفضاءه، بل تعمّد أن يكون شخصٌ بهذه الرثاثة في هذا الموقع، الثقيل القيمة من بين مواقع ممثلي الدولة العظمى في العالم. لا يرى هذا السفير المتحرّر من أي أعراف دبلوماسية وجوداً لفلسطين وشعبها، ويتحمّس لضمّ الضفة الغربية، نتذكر مثلاً دعوتُه الرئيس الفرنسي ماكرون بأن يقيم الدولة الفلسطينية التي اعترف بها في الريفيرا الفرنسية. وهو لا يجد أي حرج في الحديث عن حياة أطفال غزّة باستهتارٍ مريع ومقزز، ويقيم في حواشيه ازدراءً ظاهرٌ للعرب الذين في وسع حكوماتهم أن تطالب باعتذار أميركي رسمي عما يتفوّه به، وكل الشكر إلى الخارجية السعودية أنها طلبت من نظيرتها الأميركية توضيحاً بشأن ما تجرّأ به بوقاحةٍ لم يشهر أي سياسي أميركي مثلها سابقاً... ولكن، هل يُنتظر أن يزاول العرب نشاطاً آخر غير بيانات التنديد والشجب والاستنكار التي قرأنا، أم أن ليندون جونسون اختصرها، منذ ستة عقود، الحال والمآل والاستقبال؟

تصريحات السفير الأمريكي هاكابي الإنجيلي البيرويتاني «التطهيري»، لا يمكن أن تكون تصريحات فردية أو مجرد أفكار يطرحها فحسب، بل هي استراتيجية ظهرت معالمها وملامحها؟

فخّ «مجلس السلام».. بين ادعاءات السلمية واستمرار العدوان

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

في واحدة من المفارقات ذات الدلالات العميقة إزاء مسألة السلم والحرب، ما يشاهده العالم من إصرار الإدارة الامريكية المضي قدما في تفكيك العالم تحت يافطات «أمريكا أولا» وجعل «أمريكا عظيمة» وشعارات شعبوية أخرى رفعها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لحملاته وتحركاته قبل وصوله للبيت الأبيض وجسدها بعد فوزه بمضاعفة الشراكة في العدوان على غزة، والعدوان على فنزويلا واختطاف رئيسها ومصادرة نفطها، وفرض المزيد من الرسوم والتعريفات الجمركية على دول العالم وإشعاله حروبا تجارية مع الصين على وجه الخصوص، ضاربا عرض الحائط وعوده للناخبين الأمريكيين بالنأي بأمريكا عن الحروب الخارجية وإعادة أساطيله إلى البلاد. هذا النهج بقدر ما يعبر عن قوة أمريكا المخيفة وقدرتها على البطش، فإنه يعبر أيضا عن الخوف من المستقبل وإنهاء حقبة القطب الواحد الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة في دول العالم إلى عالم متعدد الأقطاب تكون فيه الكتل الكبرى شريكة في صناعة القرار العالمي، وهذا الذي يسبب صداعا مزمنا لصناع القرار في واشنطن.

عندما كان ترامب يلقي خطابه في افتتاح أعمال ما يعرف بـ»مجلس السلام العالمي» في التاسع عشر من فبراير الماضي بواشنطن، كانت البوارج الحربية الأمريكية وأسراب الطائرات المقاتلة من مختلف الطرازات والفرق العسكرية تنتقل من الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا إلى منطقة الشرق الأوسط وفي مقدمتها حاملتي الطائرات لينكولن وجيرارد فورد التي تعتبر أكبر قطعة عسكرية بحرية في العالم. جاء تحرُك الأسطول الأمريكي بأوامر من إدارة البيت الأبيض للقيام بعدوان جديد على إيران والعمل على تدمير البرنامج النووي السلمي وبرنامج الصواريخ الباليستية، وإسقاط النظام السياسي في طهران، وذلك بالتعاون والتنسيق مع الكيان الصهيوني، بهدف جلب أيتام المقبور شاه إيران وتنصيب نظام تابع للولايات المتحدة الأمريكية على غرار ما حدث في إيران نفسها حين دبرت المخابرات الامريكية والبريطانية عملية الإنقلاب على محمد مصدق في 1953 واعادت الشاه محمد رضا بهلوي الى العرش ليواصل دوره شرطيا على الخليج العربي.

في تباهٍ قلّ نظيره من ترامب ونتنياهو وتفاخرهما بتحقيق نصر في غزة ولبنان وتقويض البرنامج النووي الإيراني، جاء اجتماع «مجلس السلام العالمي» حول غزة، الذي غابت عنه فلسطين الضحية التي قدمت خلال أكثر من سنتين عشرات آلاف الشهداء والمفقودين والأسرى والذين طُمِروا تحت ركام المباني، وأضعاف هؤلاء من الجرحى وأكثر من مليوني نازح ومشرد، فضلا عن تدمير كامل البنى التحتية من مبان ومنازل وطرقات ومدارس ومستشفيات وشبكات الكهرباء والماء والصرف الصحي. غابت فلسطين في ذلك الإجتماع وحضر الصهاينة القتلة الذين اجتاحوا القطاع ودمروا كل شيء قابل للحياة تمهيدا لتنفيذ الخطوة التالية في التهجير والتطهير العرقي. وهو الأمر الذي تماهى فيه الكيان وتوسع في الضفة الغربية والقدس، ما يعبر عن جوهر أهداف مجرمي الحرب الصهاينة وشركائهم والمتواطئين معهم في العدوان.

في خطابه أمام «مجلس السلام» أمام قادة ومسؤولي 47 دولة حضرت الاجتماع، أغلبها من الشرق الأوسط، افتخر ترامب بأنه حصد أول الغيث، 17 مليار دولار لإعادة إعمار غزة، منها 10 مليارات من الولايات المتحدة، وبقية المبلغ جاء أغلبه من دول الخليج التي شاركت في الاجتماع، فيما أعلنت دول عربية وإسلامية وأجنبية تعهداتها للقيام بأعمال إعادة الاعمار في قطاعات مختلفة، حيث تقدر كلفة إعادة الإعمار أكثر من 60 مليار دولار. لم يتحدث ترامب عن الإبادة الجماعية التي تعرض له الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والتطهير العرقي والتهجير. فكيف له أن يفعل ذلك وهو شريك وممول رئيسي للإبادة الجماعية ويمارس الضغوط على «مجلس السلام» لتبني موقف البيت الأبيض المعادي للشعب الفلسطيني؟!

قبضة ترامب

اشتهر الرئيس الأمريكي ترامب بولعه الشديد بجائزة نوبل للسلام، واستمات من أجل الحصول عليها بينما كان يوقع أوامر إرسال أسلحة القتل والدمار لجيش الاحتلال الصهيوني، في تناقض فاضح للإزدواجية الغارق فيها. قاده الخيال الجامح للسيطرة وتخطيط الدولة العميقة والمستشارين، الذين أغلبهم أكثر صهيونية من قادة الكيان نفسه، لتأسيس «مجلس السلام» الذي يتكون

مجلسه التنفيذي بما يشبه هيئة أركان حرب.

فقد كشفت ديباجة «ميثاق مجلس السلام» عن طبيعة وماهية هذا الميثاق الذي أعلن عنه ترامب يوم 22 يناير 2026، على هامش مؤتمر دافوس الاقتصادي. تعتبر الديباجة وكأن المجلس بديلا عن مجلس الأمن الدولي الذي يتمتع خمسة من أعضائه بالعضوية الدائمة وبحق النقض (الفيتو). كما جاء «الميثاق» ليزيح منظمة الأمم المتحدة التي انسحبت الولايات المتحدة الامريكية من 60 منظمة رديفة وتابعة لها. يتمتع ترامب بصلاحيات مطلقة في «مجلس السلام». وجاءت الفقرة الثانية من الديباجة لتُبيّن التناقض الصارخ بين ما تضمنته وبين العديد من نصوص مواد الميثاق. تنص الفقرة الثانية على «إن السلام الدائم يترسخ عندما يتم تمكين الشعوب من تولي زمام مستقبلها وتحمل مسؤوليته»، بينما يخلو مجلس السلام من الفلسطينيين المعنيين بشؤون بلدهم، حيث يتم تنفيذ القرارات الأممية على أرضهم. كما أن الديباجة وفصول الميثاق جميعها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى غزة، التي صدر القرار الأممي بشأنها وحيث الإبادة التي ترتكب فيها.

ولأن مؤسسات ومنظمات الأمم المتحدة، بما فيها مجلس الأمن، مستهدفة أيضا من تشكيل هذا المجلس، كما هي مناطق النزاع، فقد كانت (أول آية كفر) في الميثاق الذي بدأ بالطعن في الأمم المتحدة، فجاءت أول فقرة من الديباجة لتضرب في عصب المنظمة الدولية، فنصت على «أن السلام الدائم يتطلب حكمة عملية، وحلولا منطقية، وشجاعة للتخلي عن المناهج والمؤسسات التي فشلت مرارا وتكرارا»، في إشارة إلى عجز الأمم المتحدة عن حل النزاعات والصراعات التي تعصف بالعالم. ومع أن هذا كلام حق لكنه يراد به باطل لتقويض ما تبقى من دور للمنظمة الأممية خارج قبضة الإدارة الامريكية.

يتكون ميثاق «مجلس السلام» من مجموعة مواد موزعة على 13 فصل. وقد فُصِلَت كل النصوص على مقاس ترامب، الذي منح نفسه صلاحيات إمبراطورية مطلقة. فالفصل الثاني ينص في المادة (2.1) على: «تقتصر العضوية في مجلس السلام على الدول التي يدعوها الرئيس للمشاركة، وتبدأ عند إخطار الدولة بموافقتها على الالتزام بهذا الميثاق»، بينما تفيد الفقرة (ج) من نفس الفصل بـ« تكون مدة عضوية كل دولة عضو ثلاث سنوات كحد أقصى من تاريخ نفاذ هذا الميثاق، قابلة للتجديد من قبل الرئيس. ولا تسري مدة العضوية البالغة ثلاث سنوات على الدول الأعضاء التي تُساهم بأكثر من مليار دولار أمريكي نقدًا في مجلس السلام خلال السنة الأولى من نفاذ الميثاق».

وتتأكد الصلاحيات المطلقة للرئيس، في نصوص الميثاق: «يعقد مجلس السلام اجتماعات تصويتية مرة واحدة على الأقل سنويًا، وفي أوقات وأماكن إضافية يراها الرئيس مناسبة. ويضع المجلس التنفيذي جدول أعمال هذه الاجتماعات، مع مراعاة إخطار الدول الأعضاء وتعليقاتها وموافقة الرئيس». و« تُتخذ القرارات بأغلبية أصوات الدول الأعضاء الحاضرة والمصوتة، مع مراعاة موافقة الرئيس، الذي يجوز له أيضًا التصويت بصفته رئيسًا في حال تعادل الأصوات». وتتعاظم صلاحيات الرئيس (ترامب): «يجوز للدول الأعضاء اختيار تمثيلها بمسؤول رفيع المستوى بديل في جميع الاجتماعات، شريطة موافقة الرئيس». تتزاحم النصوص لتؤكد مسألة التسمية والصلاحيات المطلقة لترامب: «يتولى دونالد ج. ترامب منصب الرئيس الأول لمجلس السلام، كما يتولى منصب الممثل الأول للولايات المتحدة الأمريكية (..) يتمتع الرئيس بسلطة حصرية لإنشاء أو تعديل أو حلّ الكيانات التابعة حسبما تقتضيه الحاجة أو ما يناسبها لتحقيق مهمة مجلس السلام».

هكذا تتالى حصرية الصلاحيات في يدي ترامب بقوة نصوص الميثاق ومنها أن تجديد عضوية المجلس التنفيذي وعزل الأعضاء محصورة في يد الرئيس «وفقا لتقديره»، وأن القرارات التي يتخذها المجلس التنفيذي الذي يأتي في المرتبة الثانية تحت «مجلس السلام»، تكون بأغلبية أصوات أعضائه الحاضرين والمصوتين، بمن فيهم الرئيس التنفيذي، مع حق الرئيس (ترامب) نقضها في أي وقت لاحق. كما يكون الرئيس «هو المرجع النهائي فيما يتعلق بمعنى هذا الميثاق وتفسيره وتطبيقه»، وفق الفصل السابع. أما حل مجلس السلام فهو مرهون «بالوقت الذي يراه الرئيس ضروريا أو مناسبا»، وإن نفاذ هذا الميثاق مرهونة بمجرد «موافقة ثلاث دول على الالتزام به». ويحكم ترامب سيطرته على المجلس بصلاحيات مطلقة منحها لنفسه فمنع إبداء الرأي في الميثاق بالنص على: «لا يجوز إبداء أي تحفظات على هذا الميثاق»!!.

ولأن الصلاحيات محصورة في يد ترامب، فقد جاء تشكيله واضح التوجه والميول والانتماء، حيث أن أغلب أعضاءه هم من عتاة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ومن إدارة البيت الأبيض والكيان الصهيوني، من طراز وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو، ستيف ويتكوف، المبعوث الأمريكي الخاص بالشرق الأوسط، جاريد كوشنر مهندس الاتفاقات الإبراهيمية، توني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، مارك روان الرئيس التنفيذي لشركة «ابولو» والمهندس المالي للمجلس، اجاي بانغا رئيس البنك الدولي، وروبرت غابرييل نائب كبير موظفي البيت الأبيض، بالإضافة الى المندوب السامي لغزة نيكولاي ميلادينوف، وقائد القوة الدولية في غزة الجنرال غاسبر جيفيرز ومستشارين اثنين للإدارة الإستراتيجية والعمليات اليومية وهما آريه لايتستون الذي ساهم في تأسيس مؤسسة غزة الإنسانية المتهمة بارتكاب مجازر بحق النساء والأطفال الفلسطينيين بينما كانوا يحاولون الحصول على طعام يسد رمقهم وسط الإبادة والحصار، وجوش غروينباوم وهو احد المشاركين في الخطة التي وضعت لغزة لتحويلها الى ريفيرا الشرق الأوسط وطرحها ترامب في شكل مبادرة ترسخ الاحتلال وتدافع عنه.

لم يشكل ترامب مجلس السلام لحل معضلة انسحاب جيش الاحتلال من غزة، ولا لإعادة إعمارها، بل لإبقاء الاحتلال وتنفيذ المخطط وفق ما يسعى له الكيان الصهيوني. فهذا مجلس يقوده الرئيس الأمريكي بصلاحيات مطلقة، يقف الى جانب الاحتلال في كل المفاصل، فلم يطالب بالانسحاب الصهيوني من قطاع غزة حسب ما تنص عليه خطة ترامب ذات العشرين بندا، إنما أيد وشجع السياسة الصهيونية في توسيع رقعة الأراضي التي تحتلها الدولة العبرية لما تبقى من جغرافية فلسطين وزاد سفير واشنطن في الكيان بتبني حلم الكيان في إقامة «إسرائيل الكبرى» التي تمتد من الفرات الى النيل، وهو حلم توراتي صهيوني قديم جديد. وهذه سياسة لا تقود إلى السلام وإعمار الأرض وعودة أصحابها بقدر ما تلبي حلم سيطرة تل أبيب على الشرق الأوسط برمته.

ثمانية وجوه للنظر في وثائق «إبستين»

وسيم السلطي ـ صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

أثارت عملية الكشف عن الوثائق القضائية المرتبطة برجل الأعمال «المنتحر» والمدان بجرائم جنسية وغيرها، جيفري إبستين، زلزالاً أخلاقياً وسياسياً لم تتوقف ارتداداته عند حدود الولايات المتحدة، بل امتدت لتشمل النظام العالمي بأسره. هذه الوثائق لم تكن مجرد سرد لجرائم فردية، بل كانت مرآة عكست تشابك النفوذ، المال، والسلطة في أعلى مستوياتها.

أولاً: التناول الإعلامي.. تباين الأجندات بين الشرق والغرب

شكلت التغطية الإعلامية لوثائق إبستين دراسة حالة جاذبة للاهتمام في كيفية صياغة الرأي العام:

الإعلام الغربي (المؤسساتي): اتسمت تغطية الصحف الكبرى مثل «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» بالحذر الشديد في البداية، مع التركيز على الجوانب القانونية والإجرائية. ومع تصاعد الضغط الشعبي، انتقلت للتغطية الاستقصائية، لكنها واجهت اتهامات بـ «الانتقائية»، حيث ركزت بعض المنصات على أسماء معينة (مثل ترامب أو كلينتون) بناءً على التوجه السياسي للقناة أو الصحيفة، مما حول القضية أحياناً من فضيحة أخلاقية عالمية إلى أداة في الصراع الحزبي الداخلي.

أما الإعلام العربي: فتراوحت تغطيته ما بين الصدمة والتحليل السياسي. ركزت الكثير من المنصات العربية على فكرة «سقوط النموذج القيمي الغربي»، واستخدمت القضية للاستدلال على ازدواجية المعايير لدى النخب التي تنادي بحقوق الإنسان في العلن، بينما تتورط في استغلال البشر في الخفاء. كما برز اهتمام خاص بذكر أي صلات (حقيقية أو مزعومة) لشخصيات من المنطقة العربية بهذه الشبكة، مما أضفى طابعاً محلياً على الفضيحة.

ثانياً: الإعلام البديل.. منصات الحقيقة أم مصانع المؤامرة؟

)لعب الإعلام البديل بودكاست، يوتيوب، منصة (X الدور الأبرز في إبقاء القضية حية.

الإيجابيات: كسر الإعلام البديل حاجز الصمت الذي فرضته المؤسسات التقليدية، وقام نشطاء ومحققون مستقلون بربط الخيوط التي تجاهلها الإعلام الرسمي.

السلبيات: في المقابل، انزلق جزء كبير من هذا الإعلام إلى «نظريات المؤامرة» غير المستندة إلى دليل، مما خلط الحقائق بالأكاذيب وجعل من الصعب على الجمهور العادي تمييز الواقع، وأحياناً ساهم ذلك في تمييع القضية الأساسية (الاستغلال الجنسي) لصالح قصص خيالية عن طقوس سرية.

ثالثاً: مواقف الدول.. صمت الدبلوماسية وضجيج القضاء

على الصعيد الرسمي، فضلت معظم الدول الصمت أو الاكتفاء بالتصريحات المقتضبة التي تؤكد على سيادة القانون. ففي الولايات المتحدة، وجدت المؤسسة السياسية نفسها في موقف محرج، إذ ظهرت أسماء رؤساء سابقين ونخب فكرية وعلمية. كان الموقف الرسمي هو ترك الأمر للقضاء، لكن تحت السطح، كانت هناك محاولات لاحتواء الضرر السياسي.

وفي المملكة المتحدة، تركزت الأنظار على العائلة المالكة، وتحديداً الأمير أندرو، مما وضع المؤسسة الملكية في اختبار قاسٍ حول الشفافية والمحاسبة، وانتهى الأمر بتجريده من مهامه الرسمية، واعتقاله، لتجنب تآكل شرعية

هذه المؤسسة.

فيما الدول الأخرى (خاصة المنافسة للغرب)، اعتبرت أن هذه التسريبات دليل على «العفن الهيكلي» في الأنظمة الليبرالية، واستخدمتها كأداة في «حرب القوة الناعمة» ضد الولايات المتحدة.

رابعاً: دور الرأسمالية.. حين يصبح البشر سلعاً

لا يمكن قراءة قضية إبستين بمعزل عن النظام الرأسمالي في صورته الأكثر توحشاً. لقد كشفت الوثائق كيف تتحول الثروة الفاحشة إلى حصانة قانونية وأخلاقية.

في هذا النظام، امتلك إبستين القدرة على «شراء» الصمت، وتوظيف شبكة من المحامين والوكلاء، واستخدام طائرته الخاصة وجزيرته المنعزلة لخلق عالم موازٍ لا تطبق فيه القوانين البشرية العادية. الرأسمالية هنا لم تكن مجرد نظام اقتصادي، بل كانت البنية التحتية التي سمحت بتحويل الضحايا إلى أرقام وسلع في سوق المتعة المحرمة للنخبة.

خامساً: اليسار السياسي ونقد الرأسمالية.. «النظام هو المشكلة»

استغل اليسار السياسي، وبخاصة التيار الراديكالي والاشتراكي، هذه التسريبات لتعزيز روايته حول «صراع الطبقات». تلخصت رؤيتهم في النقاط التالية:

تمركز الثروة: اعتبروا أن وجود شخص مثل إبستين هو نتيجة طبيعية لتراكم الثروة في يد 1% من البشر، مما يمنحهم سلطة تتجاوز سلطة الدولة والقانون.

النخبوية الفاسدة: يرى اليسار أن هذه القضية ليست «تفاحة فاسدة» بل هي «الغابة بأكملها»؛ حيث تتبادل النخبة السياسية والاقتصادية المصالح والخدمات (بما فيها الخدمات غير الأخلاقية) لضمان استمرار سيطرتها.

المطالبة بالهدم وإعادة البناء: دعا بعض المنظرين اليساريين إلى ضرورة تفكيك هذه الشبكات عبر فرض ضرائب تصاعدية وضبط حركة الأموال العابرة للحدود التي تسمح بإنشاء «جزر معزولة» فوق القانون.

سادساً: ما وراء العدالة

إن وثائق إبستين ليست مجرد قائمة بأسماء المشاهير، بل هي وثيقة إدانة لنظام عالمي يسمح للمال بالهيمنة على الحقيقة. وتكمن الخطورة ليس في انحراف إبستين الأخلاقي، بل في النظام الذي احتضنه.

ستبقى قضية إبستين وصمة عار تذكرنا بأن العدالة غالباً ما تكون عرجاء عندما تواجه أصحاب المليارات، وأن التغيير الحقيقي يتطلب أكثر من مجرد كشف وثائق؛ إنه يتطلب إعادة تعريف العلاقة بين السلطة والمال والمسؤولية الأخلاقية.

سابعاً:

الجانب الآخر، السابع، للنظر في هذه الوثائق هي أنه في حين تُركز التحليلات على الجوانب السياسية والاقتصادية وفساد المؤسسات، يظل الجانب النفسي هو المحرك الخفي والأكثر تعقيداً في قضية إبستين، سواء فيما يتعلق بشخصية «الجاني السيكوباتي»، أو «سيكولوجية الحاشية»، أو حتى الصدمة الجماعية.

1. سيكولوجية الجاني: النرجسية والسيطرة

لم يكن إبستين مجرد مجرم تقليدي، بل كان يجسد نموذج «النرجسي السيكوباتي» الذي يرى الآخرين كأدوات وأشياء لا كبشر. بالنسبة له، لم يكن الاستغلال الجنسي مجرد رغبة، بل كان أداة لفرض السيطرة المطلقة. إن بناء إمبراطورية من الابتزاز يعكس حاجة نفسية عميقة للشعور بالألوهية والقدرة على تحريك خيوط اللعبة من خلف الستار، حيث يصبح «امتلاك الأسرار» هو المصدر الحقيقي للنشوة والقوة.

2. سيكولوجية الحاشية: «تطبيع الانحرافات»

السؤال النفسي الأكثر إلحاحاً هو: كيف استطاع إبستين جذب نخب فكرية وسياسية (رؤساء، علماء، فنانين) إلى محيطه؟

يفسّر علم النفس الاجتماعي هذه الظاهرة من خلال «الانحياز للسلطة والمال». عندما يتواجد الفرد في بيئة يملؤها الثراء الفاحش والوعود بالتمويل أو النفوذ، يبدأ العقل في ممارسة آلية «التبرير الأخلاقي». يتم تعطيل البوصلة الأخلاقية تدريجياً؛ فالمكان الذي يرتاده «العظماء» لا يمكن أن يكون مكاناً للشر. هذا ما يسمى «تطبيع الانحراف»، حيث يعتاد المحيطون على سلوكيات مريبة لأنها مغلفة بإطار من الرفاهية والتميز الطبقي.

3. سيكولوجية الضحايا: «الاستمالة»

كشفت الوثائق عن نظام معقد من الاستمالة النفسية، من حيث اعتماد إبستين على سحق تقدير الذات لدى الضحايا. من خلال استغلال الفقر أو التفكك الأسري، خلق «تبعية نفسية» تجعل الضحية تشعر أنها مدينة له، أو أنها جزء من عالم سري لا يمكنها الخروج منه، وهو ما يفسر صمت الكثيرات لسنوات طويلة نتيجة الشعور بالذنب أو «الخزي المكتسب».

ثامناً وأخيراً: سقوط «القدوة» في عصر السيولة الأخلاقية

على مستوى الشعوب، تسببت هذه التسريبات في حالة من «الارتياب العام». ما أدى إلى زيادة مشاعر القلق الوجودي واللجوء إلى نظريات المؤامرة كآلية دفاعية لمحاولة فهم عالم يبدو فيه «الأشرار» هم المسيرون لكل شيء.

لقد أدت وثائق إبستين إلى هزة في سيكولوجية الجماهير تجاه مفهوم «القدوة». في السابق، كانت النخبة (من علماء، رؤساء، ومفكرين) تُمثل المرجعية الأخلاقية والمعرفية للمجتمع. لكن الكشف عن تورط أسماء رنانة في محيط إبستين أدى إلى ما يسميه علماء الاجتماع «تآكل الرأسمال الرمزي».

لم يعد الفرد ينظر إلى «النجاح» أو «العبقرية» كقرين للفضيلة أو النزاهة. هذا السقوط المريع لمن كان قدوة في مجاله، خلق حالة من السيولة الأخلاقية؛ فأصبح المجتمع يتبنى نظرة تشكيكية تجاه كل صاحب نفوذ. بدلاً من الاقتداء بالناجحين، بات الجمهور يبحث عن «سقطاتهم»، مما عزز من ثقافة «الإلغاء» (Cancel Culture) والارتياب الدائم.

إن انهيار صورة القدوة في قضية إبستين ليس مجرد فضيحة شخصية، بل هو هدم للمثال الأعلى الذي كان يربط المجتمع بمنظومة قيمية موحدة، مما ترك فراغاً نفسياً ملأته العدمية أو التطرف في نقد المؤسسات.

مجلس السلام...
بورصة ترامب للاستثمار

أحمد عويدات ـ كاتب فلسطيني السويد

لمّا تنقشع غبار حرب غزة بعد، ولم تهدأ رحاها، ولم تكف طائرات الاحتلال عن تنفيذ غاراتها الوحشية على خيام النازحين المتهاوية، ولا زال حصار التجويع قائماً وسط إدخالٍ شحيحٍ للمساعدات عبر معابر مغلقة يتحكم بها جيش الاحتلال. ولم تبخل الطبيعة بقسوتها وبردها القارص لتزيد من معاناة الغزاويين. ولا زال خروج المرضى للعلاج مقنناً إلى حدٍ كبير. ولم تتوقف المدافع والدبابات عن صبِّ حمم قذائفها على ما تبقى من أبنيةٍ متهالكة؛ برغم استمرار تنديد المجتمع الدولي بها، ومطالبته بتنفيذ بنود خطة ترامب الهشة؛ والتي باتت وكأنها غطاء الحرب المحدودة التي تم الاتفاق عليها مع نتنياهو وأركان حكومته الفاشية؛ بهدف التستّر على جرائم الإبادة الجماعية، التي شهدتها هذه الحرب خلال العامين المنصرمين على يد جيشه، والتخفيف من العزلة الدولية التي مُنيَ بها الكيان.

ويتفاقم الوضع من جديد في القدس والضفة الغربية، التي تشهد مواجهات عنيفة بين قطعان المستوطنين والأهالي العزّل، وتصدر حكومة الاحتلال قراراتها الجائرة بمنح ملكية الأراضي للمستوطنين على حساب مالكيها الأصليين الفلسطينيين. وتأخذ اقتحامات ومهاجمة المخيمات والبلدات والقرى الفلسطينية منحىً خطيراً لدفع السكان إلى التهجير القسري وانهاء المشروع الوطني الفلسطيني، ولخنق أي احتجاج على السياسة العنصرية التوسعية الإسرائيلية.

انه التوسع التدريجي الاستيطاني، الذي يتجه نحو الضم النهائي لأراضي الضفة الغربية لدولة الكيان. كل ذلك يتم على مرأى ومسمع بما يسمى «مجلس السلام»، لصاحبه والمتحكم بأمره الرئيس رونالد ترامب، الذي انعقد مؤخراً دون مخرجاتٍ حقيقيةٍ تنعكس على الواقع الميداني، سوى ربطٍ إعادة الإعمار لقطاع غزة بنزع سلاح المقاومة وتدمير أنفاقها، ونزع الحاضنة الشعبية عنها؛ الهدف الذي فشل جيش الاحتلال في تحقيقه خلال ما يزيد على عامين من حربه النازية. ونتج عن هذا الاجتماع أيضاً تجديد الولاء والتبعية لسياسة ترامب وكيل المزيد من المديح له، والاتفاق على تشكيل «قوة الاستقرار الدولية» من قرابة 20 ألف جندي من إندونيسيا وكوسوفو وألبانيا والمغرب وكازاخستان، بقيادة الجنرال الأميركي جاسبر جيفرز.

إن كل ما صدر أو تردد عن مسؤولي الإدارة الأميركية والأعضاء في مجلس ترامب حول ضرورة الالتزام بتنفيذ بنود خطة ترامب في مرحلتها الثانية ، والحفاظ على وقف إطلاق النار ، الذي لم يتوقف للحظة، إلا غطاء على السلوك العدواني الإسرائيلي ، ومحاولة لكسب الوقت لتحقيق المزيد من الأهداف الميدانية على الأرض ، وذر الرماد في الأعين أمام المجتمع الدولي ، وإظهار «مجلس السلام» بأنه فعلاً، يسعى لتحقيق السلام في المنطقة، في الوقت الذي يتم فيه حشد الأساطيل، وحاملات الطائرات، واستعراض كل أنواع القوة العسكرية ، مترافقةً بالوعيد والتهديد لكل من يخرج عن مسار السياسة والمصالح الأمريكية. كذلك يسعى مسؤولو البيت الأبيض من خلال تلك التصريحات إلى تجميل الوجه القبيح للسياسة الأميركية التي لا ترى الأشياء إلا من بوابة مصالح «إسرائيل». إن هذه هي التوأمة الحقيقية بين المصالح الاحتلالية التوسعية الإسرائيلية،

والمصالح الاستثمارية الإقتصادية الترامبية.

وكذلك الأمر، إن كل ما قيل عن رصد 10 مليارات دولار لإعادة إعمار قطاع غزة، ربما يكون رصيدا للمشروع الاستثماري الترامبي، وإقامة ما حلم به ترامب وهو تحويل غزة إلى «ريفيرا الشرق» بإنشاء المنتجعات السياحية على حساب التراب الغزاوي، ومن جيوب الدول الأعضاء، وليس من حساب الخزينة الأمريكية. إن هذا يعبر عن سعي الإمبريالي الجديد لنهب ثروات الشعوب وتحويلها إلى أرصدة لاستثمارها بمصالح الولايات المتحدة الاقتصادية في بورصة تسمى «مجلس السلام».

من الواضح تماما لأي متابع ومحلل، أنه منذ تأسيس هذا المجلس الذي استحوذ على دور الأمم المتحدة بقرصنةٍ غير مسبوقة، وسط رفض أوروبي وروسي وصيني ودولٍ أخرى للمشاركة به ، لم يتم ذكر ولو بالأحرف الأولى لأي مشروعٍ أو مبادرةٍ سياسيةٍ تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني، أو إقامة دولته على أرضه، ولا حتى مجرد الحديث عن سيادة أو سلطة فلسطينية، أو أي حلٍ للقضية الفلسطينية. بل على العكس إن ما تم تداوله وما جاء بميثاق هذا المجلس أنه يختص بالنزاعات في مناطق مختلفة من العالم، ولكن ما يبدو الحال عليه أن هذا المجلس يختص بالشأن الفلسطيني في غزة فقط من وجهة النظر الإسرائيلية والاستثمارية الأميركية. وهذه هي التوأمة التي سبق ان تحدثنا عنها. والسؤال الذي يُطرح هنا، كيف لهذا المجلس أن يبحث بالشأن الفلسطيني، ولا يوجد فيه أي تمثيل فلسطيني، ولا حتى بالحد الأدنى، إلى جانب وجود نتنياهو، المطلوب للعدالة الدولية لارتكابه جرائمِ الإبادة بحق الشعب الفلسطيني، ممثلاً للكيان في هذا المجلس؟

وهل صدر أي موقف عن هذا المجلس ورئيسه العتيد حيال ما يُتخذ من إجراءات توسعية عدوانية في الضفة الغربية تقوم بارتكابها قطعان المستوطنين وجيش الاحتلال؟ أليس هذا تقويض لأي حلٍ سياسي؟ ألا يُعتبر هذا ضم تدريجي استيطاني لأراضي الضفة الغربية وأجزاء واسعة من القدس، ودق آخر مسمار في نعش اتفاقات أوسلو المنسيّة مع السلطة الفلسطينية؟

إن ما يجري من انتهاكات واعتداءات في الضفة الغربية والقدس، واستمرار العدوان والحصار على غزة في ظل وجود مجلس السلام الترامبي الاستثماري، ووسط هذا التنديد والاستنكار الدولي والعربي والإسلامي؛ إنما يحمل في طياته دلالات هامة، تكمن أولها في رفض الكيان لأي مبادرة سياسية لحل الصراع في المنطقة، تقوم على أساس حل الدولتين أو إقامة دولة فلسطينية. وثانيها رفض وجود أية سلطة فلسطينية، حتى لو كانت تحت الحراب الإسرائيلية. ومن الدلالات أيضا، انتقال الكيان الصهيوني من سياسة الردع إلى سياسة الهيمنة والسيطرة تماشياً مع سياسة القوة التي تنتهجها الإدارة الأميركية، وتشكل انسجاماً مع مخطط «إسرائيل الكبرى»، ورابع تلك الدلالات، إن رعاية هجمات المستوطنين وحمايتهم، أصبح سياسة رسمية لدولة الكيان، عبر عنها أكثر من مرة الوزير المتطرف سموتريتش. خامساً، عجز المجتمع الدولي وهيئاته ومنظماته المختلفة عن القيام بأي دورٍ ضاغطٍ فعالٍ من شأنه لجم سياسة الاحتلال وإجباره على إيقاف إجراءاته التهويدية اللاشرعية، والتي تتناقض مع كل ما صدر من قرارات الشرعية الدولية. وآخر هذه الدلالات تظهر في شراكة إدارة ترامب مع الكيان في ما ينفذه نتنياهو وقادة اليمين الديني المتطرف على الأرض.

رغم تعاظم التحديات، تبقى هناك حقيقتان في العالم أولهما إجرام نتنياهو ومخططاته التوسعية، وداعمه ترامب ومشاريعه، والثانية شعبنا الفلسطيني أيقونة الصمود والثبات والمقاومة والتضحية، العصي على الانكسار والهزيمة والإخضاع.

إن في عزم نحو 80 ألف غزاوي العودة إلى غزة المدمّرة، والتي تفتقد إلى كل جوانب الحياة، بل تجول فيها أشباحِ الموت والدمار؛ إنما يشكل ضربةً صاعقةً لمشروع التهجير القسري النتنياهوي، وضربة للمشروع الاستثماري الترامبي. إن هذه العودة الفلسطينية المعاكسة تؤكد التصاق الفلسطيني بأرضه ووطنه، حتى لو كان ركاماً وأنقاضاً ، كما يعبر عن أسطورة صمود هذا الشعب وإصراره على التمسك بتراب وطنه وأرضه.

ترامب - نتنياهو..
وقف الحرب واستمرار إطلاق النار

د. حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي فلسطيني ـ لبنان

كان إعلان اتفاق وقف الحرب على قطاع غزة الخطوة الأهم لإنهاء حرب الإبادة التي استمرت عامين وأسفرت عن استشهاد وإصابة ما يقارب ربع مليون فلسطيني أي ما يعادل 13 بالمائة من سكان قطاع غزة وهذه أكبر نسبة من الضحايا بين المدنيين شهدتها الحروب المعاصرة وسط أوضاع إنسانية توصف بأنها ألأسوء في تاريخ المنطقة واستطاع الشعب الفلسطيني ومقاومته من إبقاء راية الصمود عالية بمواجهة الحرب التي أعلن عن اتفاق لوقفها دون وقف إطلاق النار وقتل المدنيين وإبادة المباني والبنية التحتية مازال مستمراً وسط تقارير تتحدث عن استشهاد أكثر من 625 شخص وإصابة نحو 1700 آخرين منذ بدء سريان اتفاق وقف الحرب في 11تشرين أول عام 2025 .

وفي ظل استمرار خرق اتفاق وقف إطلاق النار يواجه النازحون في الخيام داخل مساحة ضيقة من قطاع غزة، أحدث ما أنتجته مصانع القتل الغربية التي مازالت تختبر أسلحتها فوق سماء غزة والخيام ورؤوس الأطفال، بتوقيع واضح وصريح يؤكد بأن الرئيس الأميركي دونالد ترامب هو شريك مباشر بالحرب، وليس وسيطاً كما يدعي الكثيرون.

في غزة وصل التوحش والإجرام في حرب الإبادة، أن تقوم طائرات إف 35 الممتلئة بالقوة بقصف خيمة ضعيفة مصنوعة من قماش مهترئ باعتبارها هدفاً استراتيجياً مرتبط بالعداء لشعب يواجه ثقافة محمولة على صواريخ طائرات تكلف مئات الملايين من الدولارات، تقوم بمطاردة الأطفال داخل أو بالقرب من خيمهم في حرب غير أخلاقية وغير إنسانية، تستخدم فيها طائرة إف 35 كمنتج ثقافي أميركي متطور يعمل على إثبات التفوق العسكري على الدم الفلسطيني المسفوك في خيمة اللجوء والنزوح والحصار.

مع استمرار خرق وقف إطلاق النار تحلق طائرات إف 35 في السماء لكنها تفشل على الأرض، وفي اختراق الوعي والذاكرة والمعنى، وتهزم أمام صرخات شعب لم يختر الخيمة والجوع والحرب، لكنه استطاع بمعجزة فلسطينية أن يفتح نافذة أمل على معنى البقاء والمقاومة في معركة الصمود ضد ثقافة آلة الحرب والموت الإسرائيلية الأمريكية المتوحشة.

بعد عدم الإلتزام بالمرحلة الأولى لاتفاق وقف الحرب والوقوع في فخ المرحلة الثانية تستمر عمليات القتل الإسرائيلية وخروقات وقف إطلاق النار، وهذا يشير إلى أن إعلان وقف الحرب على غزة لم يكن سوى محاولة أمريكية إسرائيلية لتهدئة التضامن الدولي الرافض للإبادة والتجويع، لكن القتل والحصار ما زال مستمراً من قبل الإحتلال الذي فشل في تحقيق أهداف الحرب، وما زالت سماء قطاع غزة تحت سيطرة الطائرات التي لم تتوقف عن القصف، وهذا يؤكد بأن خطة ترامب التي تحولت إلى قرار في مجلس الأمن يحمل الرقم 2803، وإعلان ما يسمى مجلس السلام، ما هي إلا تغطية على الجريمة واستمرار للهيمنة والقهر تحت سقف الطائرات وهديرها الذي تحول إلى موسيقى تصويرية لفعاليات ما يسمى مجلس السلام برئاسة دونالد ترامب الشريك المنحاز للرواية الإسرائيلية التي ترى بأن السلام لا يعني إنهاء الإحتلال أو معالجة جذور الصراع، بل وسيلة لفرض وقائع جديدة تحت عناوين تضليلية براقة مثل الإستقرار والإزدهار، كبديل عن السيادة والحقوق السياسية والقانونية والإقتصادية، وصولاً إلى التعامل مع قطاع غزة بوصفه عقار أو بقعة جغرافية يمكن إحتوائها والسيطرة عليها أمنياً وعسكرياً عن طريق الوصاية والإنتداب تحت شعار إنهاء الحرب وتحقيق السلام الأميركي بقوة الصواريخ والطائرات.

يلعب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب دوره على أكمل وجه، على إيقاع صوت هدير الطائرات، كسمسار عقارات ينظر إلى الفلسطينيين باعتبارهم عبء سياسي يمكن احتواءه عن طريق الخداع ، وإخراجهم من المعادلة والحديث عن مشاريع اقتصادية ووعود بالإستثمارات، ومؤتمر مانحين، وناطحات سحاب، وكأن القضية الفلسطينية ليست قضية شعب تحت إحتلال إستيطاني قائم على المجازر، بل قضية مجموعة من السكان الفقراء والمساكين لا مانع من أن تقصف خيامهم بطائرات إف 35 بدقة عسكرية فاقدة للإنسانية، وهذا ما يمكن وصفه بالمنتج الثقافي الأميركي المتجذر في عقلية الهيمنة والسيطرة كنظام تسعى الولايات المتحدة إلى ترسيخه إنطلاقاً من غزة ومن ثم إلى المنطقة والعالم على قاعدة أن طائرة أف 35 المصنوعة من حقد ومعدن أعمى تمثل ثقافة وفكرة إخضاع الشعوب بالقوة والضغط العسكري والإقتصادي والسياسي بوسائل منزوعة من الإنسانية وقيم العدالة، من خلال تحويل الأطفال والنساء والشيوخ ومنازلهم ومن ثم خيامهم في قطاع غزة إلى مجرد أضرار جانبية لهذه الثقافة الغاشمة بعد أن تحول قطاع غزة إلى مرآة كاشفة لها ولاستهدافها للأطفال في الخيام كهدف واضح للحرب ، وأمام استمرار خرق اتفاق إطلاق النار بقرار من نتنياهو وضوء أخضر من ترامب ، فإن المطلوب الآن نشر قوة حفظ الاستقرار الدولية على خطوط التماس ، دون تدخل بالشأن الداخلي الفلسطيني وعدم المس بسلاح المقاومة الذي لم ولن يخضع لاشتراطات الاحتلال ، مع التأكيد على استعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية والثبات على خيار المقاومة في معركة التحرير والعودة .

جيش اللصوص:
تمثيلات السقوط الأخلاقي للقوات الصهيونية

د. محمد عبد القادر ـ كاتب وناقد فلسطيني ـ الأردن

• مدخل

إذا كان الكيان الصهيوني قد نشأ من رحم النهب والسلب والسرقة بمختلف أشكالها، فلا شك في أن أدواته العسكرية وأجهزته الأمنية قد شكلت تاريخيًا القوى التنفيذية لاستراتيجيات وسياسات وأوامر وخطط صهيونية وضعها قادة سياسيون وعسكريون ذوو بنية فاشية دموية، ولم يكن الجيش الصهيوني إلا حصيلة الاندماج الفوري للعصابات الصهيونية المسلحة المعروفة، وأبرزها الهاغاناه والإرغون وشتيرن، والتي قامت بجرائم التهجير القسري وأعمال التخريب والتفجير والمجازر والنهب والقتل والتدمير الشامل. ومن هنا كان الإرهاب بصوره كافة جوهر السلوك العسكري الصهيوني من بداياته وعبر مساره التاريخي حتى اللحظة، وبخاصة مجازر الإبادة التي ارتكبها وما يزال في غزة، وبوسائل متعددة في الضفة الفلسطينية وفي لبنان وسوريا وأماكن أخرى.

وإذا تركز هذه الدراسة على السلوك العسكري الصهيوني الوحشي في قطاع غزة وفي أعقاب طوفان الأقصى، فإن الرصد الدقيق لهذا السلوك الدموي كشف طبيعة التوجهات العسكرية – السياسية - الأمنية لقادة الفرق والكتائب وضباطها وجنودها، والتي يمكن إيجازها على النحو الآتي:

1. لا توجد قواعد اشتباك لقتالكم في غزة.
2. أطلقوا النار على كل ما يتحرك أمامكم حتى النبات.
3. دمروا كل شيء، وكل مبنى سكني على رؤوس ساكنيه.
4. لا حصانة لأي مؤسسة إنسانية أو دولية أو إقليمية.
5. لا حصانة لأي رمز ديني إسلامي أو مسيحي.
6. دمروا مؤسسات التعليم الفلسطينية، مدارس وجامعات سواء تلك التابعة للأونروا والحكومة أو المدارس الخاصة.
7. كل ما تجدوه في مساركم قابل للحمل والنقل هو ملك للدولة وحق مشروع لها سواء كان فوق الأرض أم في جوفها.

ومن هذا البند السابع، تنطلق الدراسة لتضيء بعض جوانب أعمال النهب والسرقة وجرائم السطو التي مارسها ضباط الجيش الصهيوني وجنوده، محصورة في مجالات ثلاثة:

الأول: نبش القبور وسرقة الجثث وسرقة الأعضاء البشرية من أجساد الشهداء والأسرى.

الثاني: سرقة الآثار الفلسطينية وتدمير المعالم التاريخية.

الثالث: نهب الأموال والمجوهرات وأشياء أخرى محمولة.

وسوف نتناول كل مجال من هذه المجالات على حدة توثيقًا لجرائم جيش اللصوص الذي عاش فسادًا في كل أرض فلسطين وليس في غزة وحدها، ولكن ما حدث في غزة يفوق الوصف.

أولًا: نبش القبور وسرقة الجثث وسرقة الأعضاء البشرية من أجساد الشهداء والأسرى

طبقا تقرير نشرته محطة (CNN) الأمريكية إن الجيش الإسرائيلي نبش (16) مقبرة في غزة وقام بتسوية القبور بالأرض قصدًا، وأضاف التقرير أن (100) جثة فلسطينية تم دفنها في قبر جماعي في رفح حتى ذلك الحين. وقبل العاشر من تشرين الأول/أكتوبر 2025 كان العدو يحتجز (735) جثة فلسطينية بينها 67 جثة لأطفال، وفي 2025/10/23 أعادوا لغزة (195) جثة لكن (57) جثة فقط احتفظت بمعالم تم التعرف عليها، وجميع الجثث كانت مقطعة الأوصال في خرق فاضح لمعاهدة جنيف الرابعة(novaramedia 29,10,2025)، وهو ما وصفه الإعلام الغربي بأنه عنف ضد الجثث.

والحقيقة أن العدو الصهيوني قد دأب منذ عقود على سرقة أعضاء الأسرى والشهداء الفلسطينيين كالعيون والقرنيات والكلى والجلد. وفي هذا الصدد جاء في تقرير للقناة العاشرة الإسرائيلية أن «تل أبيب» لديها أكبر بنك للجلد البشري في العالم، بل إن هذا المخزون من جلد البشر أكبر مما لدى الصين والهند، وهو جلد فلسطيني بلا شك قطعوه من أجساد الشهداء والأسرى والموتى.

وقبل أيام قليلة سعى العدو لدى إدارة مؤسسة (جينيس) المتخصصة في تسجيل الأرقام القياسية ليبلغ المؤسسة أن ترصد في قوائمها أن «إسرائيل» تمتلك أكبر مخزون من الكلى البشرية. تندر إسرائيليان فيما بينهما عن مصدر هذه الكلى واتفقا أنها ليست سوى كلى فلسطينية، إذا لم يعرف الإسرائيليين مبادرتهم للتبرع بالكلى.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن العدو يمتلك ما يعرف بالبنك الحيوي الذي هو نوع من المخازن التي تحتفظ بعينات بشرية لاستخدامها في البحوث الحيوية والطبية والوراثية. وفي هذا السياق أشارت «الوطن نيوز» نقلًا عن القناة العاشرة الإسرائيلية أن مسؤولين صهاينة أقروا بسرقة أعضاء بشرية من جثامين الفلسطينيين لمداواة الجرحى من جنود الاحتلال، وأن بنك الجلد الإسرائيلي يحتوي على (170) مترًا مربعًا من الجلود البشرية لشهداء فلسطينيين. وقد أقر أطباء إسرائيليون بتورطهم المباشر في سرقة أعضاء الفلسطينيين وزرعها في أجساد مرضى إسرائيليين. والحقيقة أن الحديث عن سرقة الجيش والأطباء والعلماء لأعضاء من أجساد الفلسطينيين يحتاج إلى تقرير خاص أكثر اتساعًا وتنوعًا.

ثانيًا: سرقة الآثار الفلسطينية من قطاع غزة

مثلما ينبشون قبور الموتى ويسرقون أعضاءهم البشرية، بل ويسرقون الجثة كاملة، سطوا على آثار غزة ونهبوها بعد أن دمروا مئات من المواقع التاريخية الغزية.

قد لا يعرف الكثيرون أن غزة تحتضن الكثير من المعالم الحضارية والتاريخية التي قامت قوات الغزو الصهيوني بتدمير معالم بارزة من بينها؛ المسجد العمري الكبير، ومسجد السيد هاشم، وكنيسة القديس برفيريوس، والكنيسة البيزنطينية، والمدرسة الكمالية، وحمام السمرة، وقصر الباشا وغيرها الكثير.

لكن متحف قصر الباشا ينطوي على أهمية خاصة من حيث القيمة الأثرية، إذ بعد أن دمر جيش الغزاة الإرهابي 226 موقعًا تاريخيًا في غزة، سرق جنوده من متحف قصر الباشا 17000 قطعة أثرية. وقد وثقت اليونسكو تدمير 114 موقعًا تاريخيًا خلال الحرب على غزة.

أما قصر الباشا ذاته فهو مبنى عريق يعكس فن العمارة الإسلامية التاريخية، وهو ينتمي إلى العصر المملوكي وبني في غزة قبل ما يقرب من ثمانية قرون، حيث كان مقرًا للحكام ومركزًا للتجارة خلال الحقبة العثمانية، وتم تحويله إلى متحف في زمن السلطة الفلسطينية. لقد ظل القصر صامدًا طوال قرون، لكن جيش اللصوص دمره وسرق محتوياته الأثرية.

ثالثًا: نهب الأموال والمجوهرات وأشياء أخرى

قبل 23 عامًا نقلت منظمة «مفتاح Miftah» تصريحًا لرقيب صهيوني يدعى Liaran Ron Furer قال فيه: «لقد تصرفنا كالحيوانات والمجرمين واللصوص تجاه الفلسطينيين». أصاب هذا الرقيب لأن سلوكهم كان دمويًا وإجراميًا ولصوصيًا حيال الفلسطينيين منذ نشأ الكيان.

أما مؤسسة (يورو- ميد مونيتر) فقد نشرت تقريرًا في 2023/12/31 يقول ما معناه: «لقد أطلقت إسرائيل كلابها في غزة، من القتل، إلى ممارسات لا أخلاقية وسرقة ممتلكات شخصية وسطو على البيوت وأحيانًا حرقها ضمن استراتيجية منظمة».

المصدر:
منظمة .(Euro-Med Monitor)

وجاء في التقارير الإعلامية العديدة التي تحدثت عن سلوك جيش اللصوص في غزة والضفة أنه في شهر واحد فقط سرق الجنود ما يقرب من 5 ملايين شيكل، واشتكى جندي من ثقل الأحمال قائلًا: «لقد كسرنا ظهورنا من ثقل الأجهزة التي سرقناها وحملناها، وكنا نعرف أن هذا ضد القانون الدولي».

ونقلت مؤسسة (M.E.Eye) في 2025/3/5 شهادة جندي صهيوني كان يعمل في غزة مفتشًا للجنود فقال: كنت أفتش حقائب الجنود، كل جنود الكتيبة كانوا يرتكبون السرقات من كل مكان وكانوا يخفون السرقات في أي زاوية ممكنة، والقيادة لا ترى مشكلة في عمل من هذا النوع.

وحسب تقدير (يورو ميد مونيتر) فقد نشر الجنود الإسرائيليون مقاطع مصورة على مواقع التواصل الاجتماعي توثق التخريب المتعمد للمنازل المدمرة للفلسطينيين في غزة والشعارات الصهيونية التي كتبوها على الجدران، وخرجوا بعدها إلى الإعلام يرفعون ما سرقوا من أساور وعقود ذهبية وفضية، وقال أحدهم إنه سيهديها لصديقته.

وفي الضفة الغربية قالت سيدة فلسطينية إن سرقات الجنود أصبحت عادية يومية روتينية، لا قوانين ولا عقوبات عسكرية على هؤلاء اللصوص.

وكتبت مريم البرغوثي على موقعها في الضفة الفلسطينية تقول: «هناك تزايد ملحوظ في قيام الجيش الإسرائيلي بالسرقة مثل سرقة الجواهر من المنازل، وفي آخر سنتين سرق الجنود ملايين الشواكل من الفلسطينيين ومحلات الصرافة. هذا ليس جيشًا، إنه مجموعات من اللصوص تستخدم القوة القاتلة لإنهاك الفلسطينيين اقتصاديًا.

ويستخدم الجنود اللصوص وسائل التواصل الاجتماعي لبيع المسروقات التي نهبوها من منازل الفلسطينيين في غزة ولبنان حسب ما أوردت صحيفة (هاماكوم هاكيم) وإذاعة التلفزيون (TRT) في 2025/3/7.

أما المواد المسروقة فتشتمل على كميات من النقود، ومجوهرات، وحواسيب وأجهزة إلكترونية، وأثاث، وملابس، وأدوات تجميل، وكوفيات، وسجاد، ومصليات.

وفي جيش اللصوص توجد وحدة تعرف بالوحدة 641 وتنشط في غزة والضفة ولبنان وسوريا، ومهمتها الإشراف والمتابعة لأنشطة السرقة والنهب والسلب التي يقوم بها الجنود وتعتبر ذلك جباية أو غنائم حرب، وتهتم أيضًا بسرقة الأثر والخرائط والمعدات وأجهزة الاتصال، ما يؤكد أن اللصوصية والنهب والسرقة مهمة رئيسية من مهمات الجيش الذي يصفه النتن بأنه الأكثر أخلاقية، وفي حقيقة الأمر أنه الأحط أخلاقيًا بين جيوش العالم. إن الكيان كله لا يعدو كونه سلسلة من الوحدات الإجرامية التي تتكامل فيما بينها لعلها تزيد قليلًا من عمر كيان آيل للسقوط، طال الزمن أم قصر.

خطوط صهيونية
(خضراء – زرقاء - حمراء – صفراء)..
خطر القضاء على سردية تحرر فلسطين

نعيم ابراهيم ـ صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

لطالما كان وما زال الهدف الاستراتيجي للمشروع الصهيوني في فلسطين، الاستيلاء على الأراضي والتطهير العرقي، وتغيير الديموغرافيا لإقامة ما يسمى وطناً قومياً يهودياً وتحويله إلى دولة يهودية استيطانية عبر الهجرة المكثفة، مع تكريس تفوق عسكري واقتصادي إقليمي ودعم استعماري غربي، فإن ما يجري في قطاع غزة من تثبيت خطوط ملونة (خضراء – زرقاء - حمراء - صفراء) لتقسيمه في إطار تحقيق نتائج حرب الابادة ، يأتي في سياق بقاء الاحتلال والسيطرة الكاملة براً وبحراً وجواً على غزة بهدف إخراجها من الصراع، وإنهاء مرحلة المقاومة المسلحة وصولاً إلى تكريس واقع يتمثل بخطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب (ريفييرا غزة) .

من السر إلى العلن

بداية من الضروري تنشيط الذاكرة قبل الخوض في سبر غور هذه الخطوط وما تتركه من آثار ونتائج كارثية، من خلال تلخيص الأهداف الرئيسية للمشروع الصهيوني في النقاط التالية:

أولاً / الاستيطان والتهجير: تجميع يهود العالم في فلسطين، وزيادة الهجرة اليهودية، وبناء المستوطنات (الاستعمار الاستيطاني) مع طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم.

ثانياً / إقامة دولة يهودية: إنشاء كيان سياسي يهودي بحدود توسعية، يضمنه القانون الدولي، مع السعي لامتلاك أكبر مساحة أرض بأقل عدد من السكان العرب.

ثالثاً / السيطرة الاقتصادية والبنية التحتية: تطوير بنية تحتية (طرق، موانئ، سكك حديدية) لخدمة الاقتصاد اليهودي، والسيطرة على الموارد المائية.

رابعاً / التفوق العلمي والعسكري: تحقيق تفوق نوعي في العلوم، التكنولوجيا، والذكاء الاصطناعي، وتدجيج (إسرائيل) بأسلحة متطورة لضمان السيطرة الإقليمية.

خامساً / التطهير العرقي وإلغاء الوجود الفلسطيني: رفض الوجود العربي الفلسطيني والعمل على إزالته، وإعادة هيكلة الأرض لتكون ذات طابع يهودي خالص.

سادساً / الصهيونية التدعيمية: ربط يهود الشتات بالوطن القومي (إسرائيل) وتجنيدهم لخدمة أهداف الاستيطان.

سابعاً / الدعم الغربي: ترسيخ دور (إسرائيل) كحليف استراتيجي للغرب في المنطقة، يعمل كحاجز بشري يعيق تقدم المنطقة ويضمن تبعيتها.

هذا ما كتبه قادة الاحتلال ومفكروه بالسر سابقاً ويصرحون اليوم علناً بأنهم يسعون لتفريغ فلسطين من أصحابها الشرعيين والاستيلاء عليها كاملة، وأنهم لا يؤمنون بالسلام مع الفلسطينيين، ولن ينفذوا أفكار مشروع حل الدولتين وكل ما يقومون به تحايل على الأمم المتحدة والشرعية الدولية ولكسب الوقت ولفرض الحقائق على الأرض في نظرة عنصرية استعلائية رافضة للوجود الفلسطيني حيث تتجلى الحقيقة في أن جوهر فكرة الفصل العنصري في المفهوم والتطبيق الصهيوني هو حدوث التزامن بين (عملية الضخ إلى الخارج، والضخ إلى الداخل).

ولع صهيوني بالألوان

بات واضحاً أن قادة الكيان الصهيوني على كافة المستويات مولعون بالألوان التي تستخدم لتسمية خطوط الهدنة التي تتحول إلى حدود قابلة للاختراق بدرجات متفاوتة.

أمثلة على ذلك الخط الأخضر بين هذا الكيان والضفة الغربية، والخط الأزرق بينه ولبنان، وانضم إليهما في شهر أكتوبر/ تشرين الأول الماضي خط جديد هو الخط الأصفر، والذي تم إنشاؤه مع اتفاق وقف إطلاق النار بين كيان العدو والمقاومة الفلسطينية الذي دخل حيز التنفيذ، ويقسم قطاع غزة طولياً: شرقاً منطقة تخضع لسيطرة جيش الاحتلال وميليشياته المساندة، وغرباً منطقة مخصصة للمدنيين الفلسطينيين وتخضع لما تبقى من إدارة وشرطة حركة حماس كقوة حاكمة .

هذا الخط لم يفترض أن يكون دائماً، إذ كان من المقرر انسحاب تدريجي لقوات الاحتلال الصهيوني من المنطقة الشرقية التي تغطي رسمياً 54% من مساحة قطاع غزة، وذلك خلال المرحلة الثانية التي أعلنت في 14 يناير/ كانون الثاني الماضي من «خطة ترامب» ذات النقاط العشرين. وهنا نشير إلى ما صرح رئيس الأركان الصهيوني إيال زمير في ديسمبر/ كانون الأول الماضي بأن الخط الأصفر يمثل فعلياً «حداً جديداً، وخط دفاع متقدماً، وخطاً هجومياً» ضد الفلسطينيين وإلى ما توقعه المراسل العسكري يوآف زيتون في مقال بصحيفة «يديعوت أحرونوت»، الصهيونية أن يتطور الخط الأصفر إلى «حاجز عال ومتطور يقلص مساحة غزة، ويوسع النقب الغربي، ويسمح ببناء مستوطنات إسرائيلية

هناك» والى ما قاله جيريمي كونيندیك، رئيس منظمة اللاجئين الدولية ومسؤول سابق في المساعدات الأمريكية «يبدو الأمر وكأنه ضم تدريجي فعلي لغزة».

آخر ما تفتقت عنه الذهنية الصهيونية حتى توقيت كتابة هذه العجالة رسم خط احتلال جديداً في قطاع غزة لونه برتقالي، غير مرئي وغير مرسوم فعلياً على الأرض، ويعرف موقعه فقط من خلال القصف وإطلاق النار الذي يدفع السكان نحو غرب الخط الأصفر في أحياء شرق مدينة غزة، ويشكل حداً لمنطقة عازلة جديدة تقلص أكثر المساحة التي يمكن لسكان غزة العيش فيها بأمان هش، حيث أشار أحد تقارير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة بشكل عابر إلى وجود نحو 14 ألف أسرة فلسطينية بين الخطين بينما أجبرت مئات العائلات على النزوح تحت نيران الدبابات والطائرات المسيرة. ويعيش الناجون من الحرب مكتظين بين الأنقاض والذخائر غير المنفجرة، بينما تتقلص مساحتهم باستمرار، محاصرين بين الدبابات الإسرائيلية والبحر المتوسط وفق مصادر متعددة .

استناداً على ما سلف يبرز سؤال: ما جدوى وقف إطلاق النار إذا كان الفلسطينيون لا يزالون عاجزين عن العودة إلى منازلهم؟ ما يقلقهم أكثر هو فكرة أن هذا الخط قد يبقى، وأن أي قرار لن يسمح لهم بالعودة أبداً. إذن بالنسبة لهم الحرب لم تنته. وما يدلل على ذلك ما قاله روهان تالبوت، مدير المناصرة والاتصالات في جمعية «المساعدة الطبية للفلسطينيين» إن «الأمر غامض للغاية.. نحن الآن في لحظة تتنافس فيها جهات فاعلة عديدة، بما في ذلك الحكومة الإسرائيلية، والأمريكيون، والمجتمع الدولي، والجهات الإنسانية الفاعلة، على تفسير ما سيأتي والتأثير عليه»، مضيفاً «من المبادئ التي يجب أن ندركها من تجاربنا القاسية على مدى عقود، أن أي شيء مؤقت في الأراضي الفلسطينية المحتلة سرعان ما يصبح دائماً».

بأي سلام يحدثونك يريدون اقتلاعك وموتك

المؤكد في هذه المرحلة وفي مستقبل الصراع الوجودي مع المشروع الصهيوني، أن هذه الخطوط تعبير عن مرحلة جديدة من الاحتلال الهادئ المموّه بالاتفاقات، تُدار فيها غزة من بعيد، وتُضبط حدودها بالنار والتحذير والخرائط الميدانية، في نموذج يبدو أقرب إلى إعادة إنتاج الاحتلال بصيغة أمنية دائمة. وأي مقاربة لما يجري على الأرض في غزة تؤكد أننا أمام اقتلاع شامل وإعادة إنتاج المجتمع الفلسطيني كقوة عمل في اقتصاد خدماتي تابع، لا كفاعل سياسي يحمل سردية تحرر. بهذا المعنى، يصبح البقاء في المكان مشروطاً بالتكيّف مع هندسة جديدة لا تعترف بالهوية الوطنية بوصفها مرجعية. فبأي سلام يحدثونك يريدون اقتلاعك وموتك؟ ولنا في كارثة الهنود الحمر، دليل قاطع على أهدافهم القريبة والبعيدة في مؤامرة الإزالة والإحلال .

بعد الإخفاق..
ما حاجة إسرائيل للحرب على قطاع غزة وجبهات أخرى؟

إبراهيم أبو ليل ـ كاتب سياسي فلسطيني – سورية

في الوقت الذي تواصل قوات الاحتلال الإسرائيلي جرائم الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، ولا تلتزم بوقف إطلاق النار في قطاع غزة، تتصاعد التصريحات المتواترة داخل الحكومة الإسرائيلية، التي تدعو إلى توسيع دائرة العدوان ليشمل دولاً عديدة في المنطقة. وهو تعبير عن حاجة إسرائيل الملحّة للحرب في المرحلة الحالية، والمضي في المغامرة التي يقودها نتنياهو والتيار الصهيوني المتطرف. ذلك أن الحرب تشكل خياراً استراتيجياً للأحزاب اليمينية وعلى رأسها حزب الليكود الذي يعطي الأولوية للعدوان، من أجل توسيع الاستيطان وتحقيق أهداف الاحتلال بالاستيلاء على الأرض وإقامة إسرائيل الكبرى. وقد بشر نتنياهو الإسرائيليين أنه لا يمكنهم العيش بلا حرب، انطلاقاً من رؤيته بأن «إسرائيل يجب أن تسيطر على الأراضي كلها وأنها ستعيش على السيف الى الأبد»، ما يعني أن حروبهم لن تنتهي وهي حاجة مستدامة ستقرر مصيرهم ومستقبلهم في المنطقة. ولهذا تزداد الأصوات ارتفاعاً في الحكومة الإسرائيلية التي تقرع طبول الحرب وتلحّ على الإدارة الأمريكية للمشاركة بشكل مباشر في العدوان. ويمكن تحديد ثلاثة أسباب رئيسية تكمن وراء حاجة إسرائيل للحرب:

1- تأكيد الدور الوظيفي في إطار العلاقة الإسرائيلية الأمريكية

منذ اليوم الأول لمعركة طوفان الأقصى كان واضحاً أن الكيان الصهيوني لا يستطيع خوض المعركة وحيداً ومواجهة المقاومة وحلفائها معتمداً على ذاته، وكان بحاجة إلى حضور الولايات المتحدة إلى المنطقة من أجل مساندته والتغطية على عجزه عن القيام بوظيفته العدوانية ضد دول المنطقة. ويؤكد ذلك مارتن إنديك، السفير الأمريكي السابق في الكيان الصهيوني، مشيراً إلى أن الخطوة التي قامت بها حاملات الطائرات الأمريكية في البحر المتوسط وفي البحر الأحمر استعداداً لتقديم الدعم للكيان الصهيوني منذ

اليوم الأول للمعركة في حزيران/ يونيو 2025، تثبت أن هذا الكيان غير قادر على ذلك من دون مشاركة الولايات المتحدة. فمن وجهة نظر واشنطن ترى أن الكيان الصهيوني هو الحليف الاستراتيجي الوحيد في الشرق الأوسط، يمكن أن يسهم في تعزيز «الأمن القومي للولايات المتحدة»، وعليه يجب تكريسه قوة رادعة للدول العربية من خلال تكريس تفوقه العسكري. وقد روجت الدعاية الصهيونية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية وأعطت الانطباع بأن المشروع الصهيوني بعد عدوان 1967 أثبت تفوقه العسكري على الدول العربية، وأثبت جدارته في خوض المعركة وحده، وأنه مؤهل لكسب ثقة المركز الإمبريالي من أجل دور متميز في الصراع العربي الصهيوني. وقد حرصت القيادة الإسرائيلية على تمتين العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني بوصفه حليفاً استراتيجياً لها في منطقة الشرق الأوسط، وقدمت له الدعم الاستراتيجي اللازم لتفوقه العسكري على دول المنطقة.

إن إخفاق قوات الاحتلال عسكرياً وأمنياً في كشف المقاومين الفلسطينيين الذين تمكنوا من تنفيذ عملية طوفان الأقصى، يثير أسئلة كثيرة حول قدرة قوات الاحتلال على تأمين الحماية الكاملة للجمهور الإسرائيلي، وحول قدرة الكيان الصهيوني على القيام بدوره الوظيفي في المنطقة، وجدوى النظرية الأمنية الإسرائيلية التي يعتمد عليها في مواجهة التحديات التي تفرضها المقاومة الفلسطينية، ما أدى إلى نشوب تناقضات وخلافات وانقسامات في الأوساط القيادية الإسرائيلية حول الفشل الإسرائيلي في السابع من أكتوبر 2023. إن اندفاع قادة الاحتلال الإسرائيلي بشكل جنوني للانتقام من الفلسطينيين بعد عملية طوفان الأقصى، وارتكاب جرائم الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين، وهدم المباني على رؤوس ساكنيها دون تمييز، يؤكد حجم الصدمة التي جعلت الكيان الصهيوني برمته يهتز ويصاب بالانهيار، وأنه أمام خطر وجودي حقيقي. كما أنه استخدم أقصى درجات العنف والوحشية في جرائمه ضد الفلسطينيين، من أجل إثبات نجاعته في الأداء، وقدرته على شن العدوان، وتحقيق الردع والتفوق على جميع القوى في المنطقة، ومن أجل الحفاظ على مكانته الفريدة والمتميزة في إطار العلاقة مع الولايات المتحدة.

-2 استعادة هيبة الجيش الإسرائيلي أمام الجمهور الإسرائيلي

لا تزال تبعات الحرب الوحشية الإسرائيلية وجرائم الإبادة في قطاع غزة، تترك آثارها السلبية على الجيش الإسرائيلي، وآخرها ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية، وتزايد حالات الانتحار في صفوف الجنود العائدين من الحرب، إضافة إلى تزايد أعداد الجنود المصابين بأمراض نفسية، ما جعل أزمة الجيش الإسرائيلي تتعمق في ظل رفض الحريديم الالتحاق بالخدمة العسكرية. كما أن الجمهور الإسرائيلي أصيب بصدمة جماعية غير مسبوقة، بسبب عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر، التي بددت أحلام الصهاينة وحطمت أسطورة «الجيش الذي لا يقهر»، إذ ساد في الأوساط الإسرائيلية حالة عدم الثقة بالجيش وعدم الاعتقاد بأنه لا ينهزم.

ثمة استطلاعات مختلفة، أجرى واحدة منها «المعهد الإسرائيلي للديمقراطية»، تُظهر مكانة متدنية للجيش الإسرائيلي، والنقد المتزايد في وسائل الإعلام والشبكات الاجتماعية، وكذلك الانتقادات الموجهة من قبل الجنود والمقاتلين، تضع فجوة بين كيفية رؤية كبار مسؤولي المؤسسة العسكرية لأداء الجيش؛ والدرجات التي يمنحها لنفسه، وبين الدرجات التي يحصل عليها من الجمهور. ولهذا يسعى قادة الجيش الإسرائيلي لاستعادة هيبته التي اهتزت أمام الجمهور الإسرائيلي. وبحسب ما نشر في وسائل الإعلام الإسرائيلية، تنطلق رؤية الجيش من أن المواجهة العسكرية المقبلة حتميّة، ولذا ينبغي التركيز على الاستعدادات المطلوبة لها من ناحية الجيش وإنجازها، وفي مقدمتها امتلاك مزيد من القوة.

-3 استخدام العدوان لخدمة أغراض سياسية وشخصية لنتنياهو

يتمحور السبب الثالث لمواصلة الحرب؛ حول المصلحة الشخصية لرئيس الحكومة بنيامين نتنياهو الذي يصر على شن العدوان ضد الشعب الفلسطيني ودول المنطقة. فالحرب تخدم أغراضاً متنوّعة لنتنياهو مثل تأجيل محاكمته المتعلقة بالتهم الموجهة له بشبهات جنائية، من أجل كسب الوقت والحصول على عفو رئاسي يحقق له النجاة من نتيجة حتمية تنهي حياته السياسية وتلقي به في السجن. فقد عاد الحديث رسمياً بشأن فساد نتنياهو وأغلب المحيطين به من موظفين ومستشارين إلى تصدّر عناوين وسائل الإعلام الإسرائيلية وكتابات محلليها، على أعتاب الاقتراب من الانتخابات الإسرائيلية العامة المقبلة. كما أن الحرب تخدم نتنياهو في عدم فتح ملف التحقيقات بشأن الإخفاق الأمني والعسكري في السابع من أكتوبر 2023 والتهرب من تحمل المسؤولية أمام المحكمة الإسرائيلية. فقد نشر نتنياهو وثيقة تشمل روايته الخاصة لأحداث 7 أكتوبر وما سبقها، في محاولة للتنصل من المسؤولية عنها. ووفقاً له، تتضمن الوثيقة إجاباته عن الأسئلة التي وجهها إليه مراقب الدولة متنياهو انجلمان في إطار التحقيق الذي يجريه، وبحسب صحيفة هآرتس 2026/2/8 فإن نتنياهو لجأ إلى الكذب من أجل الحفاظ على ائتلافه الحكومي ومنعه من الانهيار حتى يومه الأخير، وبناء سردية أمنية جديدة للانتخابات القادمة. وفي هذا السياق جاءت زيارته المستعجلة إلى واشنطن في محاولة لإقناعها بالخيار العسكري ضد إيران قبل أن تنتهي جلسات التحقيق معه بحلول عيد الفصح المقبل، ويقدر مكتب الرئيس الإسرائيلي يتسحاق هرتسوغ أنه سيتسلم المواد النهائية في نهاية آذار2026. وعلى الرغم من كارثية الحرب المدمرة وأثرها على الحياة الإسرائيلية وانعكاساتها الخطيرة، إلا أنها تشكل ملاذاً لنتنياهو من الملفات القضائية التي تلاحقه وتهدد مستقبله السياسي، لأن تنفيذ الحكم بالنسبة له ليس أقل من الصواريخ التي ستهطل على تل أبيب.

وهكذا لا يستطيع قادة الاحتلال الإسرائيلي العيش من دون الحرب، لا سيما في ظل الأزمات المتفاقمة في الداخل الإسرائيلي، والنقاشات الحادة التي تدور في الحكومة الإسرائيلية حول الفشل الأمني والاستخباراتي في السابع من أكتوبر2023، ومحاولات نتنياهو تحميل المسؤولية للجيش الذي فقد ثقة الجمهور الإسرائيلي. فهو يقرع طبول الحرب للإفلات من القانون، ويلوذ بالعدوان للحصول على عفو ينجيه من العقوبة وتحمل المسؤولية.

إسرائيل وعقدة الوجود

حسين موسى.. ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

بعد أكثر من سنتين على الحروب التي خاضتها إسرائيل على مختلف الجبهات، والتي تحاول من خلالها تشكيل الشرق الأوسط الجديد، نستطيع القول إنها نجحت جزئياً من الزاوية العسكرية والأمنية لكنها فشلت فشلاً ذريعاً بالسياسة، فلم تستطع الحصول على إنجاز سياسي واحد، لذلك تبدو إسرائيل أقرب إلى إدارة الأزمات دون الوصول إلى الحسم. لقد راكمت إنجازات أمنية وعسكرية كبيرة، نفّذت اغتيالات كبرى في لبنان وفلسطين وإيران، ودمرت بنى تحتية هائلة في فلسطين، وقتلت وجرحت مئات الآلاف، وضربت ساحات بعيدة في إيران واليمن وسورية، ونجحت في ترميم جزء من صورة الردع التي تحطمت فجر السابع من أكتوبر. لكن كل ذلك جرى من دون أن يُترجم إلى أي أفق سياسي، أو أي إنجاز سياسي، ومن دون أن يتحول إلى نهاية واضحة لأي حرب على أية جبهة.

لقد استخدمت إسرائيل فائض القوة لديها لكنها عجزت عن توظيفها سياسيًا. فالحروب لا تقاس بكمية الدمار والقتل والأهداف التي استهدفت، بل بقدرتها على إنتاج واقع جديد أكثر أمناً. هذا الواقع غائب تمامًا. فغزة لم تُغلق وإن نجحت خطة ترامب فيها من دون أفق سياسي فإنها ستعيد إنتاج الصراع مرة أخرى ولو بعد حين ، فالمقاومة التي بدأت من صفر قادرة على إنتاج نفسها مرة أخرى ، أما الجبهة اللبنانية مؤجلة على حافة الانفجار وكل المؤشرات تشير إلى إمكانية ضربة محدودة دون الانزلاق إلى حرب مفتوحة ، هذا يعني فشلاً ذريعاً لإسرائيل في تفكيك بنية حزب الله العسكرية الذي سيعيد ترميم نفسه في السنوات القادمة ، أما إيران فبقيت حاضرة كمعادلة استراتيجية بعد الضربة العسكرية ، رغم محاولات إسرائيل الحالية إقناع الأمريكي بضرورة توجيه ضربة عسكرية أخرى إلا أن الواقع يقول: لا يمكن شطب إيران بعملية عسكرية وإن مثل هكذا عملية لن يغير في المعادلات الاستراتيجية شيئاً إلا بإسقاط النظام وهذا له تداعيات على الإقليم والعالم . ما يحدث هو تراكم إنجازات تكتيكية مقروناً بفشل استراتيجي.

إن ما تهرب منه إسرائيل في حروبها ومعاركها المتعددة مع الشعب الفلسطيني، هو الجبهة الوجودية. تلك الجبهة التي لا تُحسم بالقوة العسكرية، بل بالديموغرافيا. إن الوجود الفلسطيني بين البحر والنهر لم يختفِ بالقصف ولا بالحروب المتواصلة ولا بالاحتواء الأمني، بل يلازم المشروع الصهيوني الإسرائيلي كقدر تاريخي، ويطرح سؤال الأغلبية اليهودية في أفق غير بعيد. يمكن تأجيل هذا السؤال، ويمكن تغليفه بخطاب أمني أو ديني، لكن لا يمكن محوه. كل هروب إلى معركة خارجية لا يغيّر حقيقة أن التحدي الحقيقي يقيم في قلب الجغرافيا والسكان.

الأخطر أن الجبهة الداخلية الإسرائيلية، التي لطالما شكّلت عنصر تفوق وحصانة، تبدو اليوم منقسمة ومتفككة. الانقسام لم يعد سياسيًا فحسب، بل مسّ بنية الدولة نفسها، إضعاف المؤسسة القضائية، ومحاولات تطويع الإعلام، تحويل الحرب إلى أداة بقاء سياسي لنتنياهو، كلها عوامل جعلت إسرائيل تخوض حربًا داخلية موازية.

أما الحليف الاستراتيجي أمريكا يقف رئيسها كما الرؤساء السابقون داعمًا لإسرائيل بلا التباس، لكن بعقلية التاجر والصفقات السريعة لا بعقلية التخطيط الطويل. ترامب يريد نتائج سريعة يمكن تسويقها داخليًا، لذلك يراهن على تركيا بوصفها لاعبًا قادراً على إدارة بعض الساحات من بينها غزة، وهو يعرف تقاطع المصالح وتضاربها بين الإسرائيلي والأمريكي من جهة والتركي من جهة أخرى، كأن لسان حاله يقول لا ضير فلنجرب إبعاد التركي عن الروسي والإيراني ونفحص ماذا باستطاعة تركيا أن تقدمه لنا، هنا يتقاطع الدعم مع اختلاف الرؤية، ويتحوّل التحالف إلى علاقة غير متطابقة في الأهداف.

إن إسرائيل بعد كل ما حققته من إنجازات تكتيكية في مختلف الساحات، تقف اليوم في منتصف طريق لا هي قادرة على العودة إلى ما قبل السابع من أكتوبر، ولا هي نجحت في فرض ما تريد بعده. ويبقى سؤال الوجود ملازماً لها دون إجابة، فالحروب التي تخاض من دون حلول سياسية لا تنتهي... بل تؤجل، إلى أن تعود في صور أشد إيلاماً، بعض المحللين والمفكرين وقادة من الأجهزة الأمنية والعسكرية في إسرائيل، بعد عامين على الحرب يعتقدون أن إسرائيل أمام فرصة تاريخية لعملية سلام تقوم على أساس حل الدولتين والانخراط في العالم العربي، أو ستكون أمام صراع طويل الأمد لا ينتهي.

بين الفتوى والأمر العسكري: «جيش الرب» يبتلع هيئة الأركان

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

لم يعد المشهد داخل أروقة «الكرياه» في تل أبيب كما كان قبل سنوات؛ فخلف الجدران التي لطالما حلمت بصناعة «الجيش الذي لا يقهر»، يدور اليوم صراع صامت ومرير على «هوية البندقية». في عام 2026، لم تعد الأزمة داخل جيش الاحتلال تتعلق بنقص الذخيرة أو فشل الاستخبارات أمام الخصوم الخارجيين، بل في نشوء «سلطة موازية» بدأت تأكل هرم القيادة العسكرية من الداخل. نحن أمام تحول بنيوي صارخ، حيث بدأت «الفتوى الدينية» تحل محل «الأمر العسكري»، ليتشكل تدريجياً ما يمكن تسميته بـ «جيش الرب»؛ وهو كيان أيديولوجي ينمو في أحشاء المؤسسة الرسمية، ويدين بالولاء للحاخام قبل الجنرال.

تبدأ القصة من مدارس الإعداد العسكري، المعروفة عبرياً بـ «الميخينا»؛ هذه المؤسسات التي كانت يوماً مجرد روافد لتزويد الجيش بضباط ذوي دافعية عالية، تحولت إلى «مصانع للأيديولوجيا» المتطرفة. هنا، لا يتعلم المستوطن الشاب كيف يطلق النار فحسب، بل يتشبع بمفهوم «دعت توراه» أو سلطة التوراة المطلقة.

هذا المفهوم يزرع في وعي الضابط الناشئ أن الدولة هي مجرد «أداة تقنية» لتحقيق وعد إلهي، وأن أوامر هيئة الأركان العامة «المتكال» ملزمة فقط ما لم تتعارض مع رؤية الحاخام لـ «أرض إسرائيل الكاملة». هذا الشحن المعرفي خلق جيلاً من القادة الميدانيين الذين يقفون في منطقة رمادية قاتلة؛ فهم يرتدون الزي العسكري الرسمي، لكن قلوبهم معلقة بـ «فتاوى» الحاخامات الذين يسكنون البؤر الاستيطانية فوق تلال الضفة الغربية.

هذا الانقسام في الولاء يترجم عملياً فيما يعرف بـ «سيروف بيكودا»، أو «رفض الأوامر العسكرية». في السابق، كان رفض الأمر العسكري حالة فردية نادرة ترتبط بوازع ضمير، أما اليوم فقد أصبح «خياراً مؤسسياً» مدعوماً بفتوى دينية. فعندما تصدر هيئة الأركان أمراً بإخلاء بؤرة استيطانية أو تقييد حركة المستوطنين، يجد القائد العسكري نفسه في مواجهة «تمرد صامت» من جنوده وضباطه الصغار. هؤلاء لا يعلنون العصيان الصريح دائماً، بل يمارسون «التعطيل البيروقراطي» أو التنفيذ الناقص للأوامر، استناداً إلى قناعة بأن «أمر الرب» في الاستيطان يعلو على «قرار الجنرال» في تل أبيب. وبذلك، تحول الجيش إلى «كانتونات» ولاءات، حيث تخشى القيادة العليا إصدار أوامر معينة خوفاً من اكتشاف حقيقة أنها لم تعد تسيطر فعلياً على «الزناد» في الميدان.

وفي عمق هذا التفكك، تبرز المؤسسة الدينية الرسمية داخل الجيش، «الرابانوت» ، التي لم تعد تكتفي بتقديم الخدمات الطقسية، بل تمددت لتصبح «جهازاً رقابياً» على العقيدة القتالية. لقد نجحت هذه المؤسسة في شرعنة مفهوم «ميلخيمت ميتسفاه» ، أو «حرب الفريضة». هذا المصطلح ليس مجرد تسمية دينية، بل هو «رخصة قتل» تسقط كافة المعايير القانونية الدولية والمحلية؛ فالجندي الذي يقتحم قرية فلسطينية أو ينفذ عملية اغتيال، لم يعد يبحث عن غطاء قانوني من النيابة العسكرية، بل يكفيه نيل «البركة» من الحاخام المرافق للوحدة. هذا التحول نحو «القدسية الزائفة» جعل من الصعب بمكان إخضاع هؤلاء الجنود للمساءلة؛ فكيف يمكن لضابط قانوني علماني في تل أبيب أن يحاكم جندياً يعتقد يقيناً أنه ينفذ «مشيئة إلهية»؟

إن هذا الصدام الحتمي بين «الكياه» (القبعة الدينية) وبين «رتبة الجنرال» العلماني، يعكس انهيار «العقد الاجتماعي» الذي قام عليه الكيان. فالجيش الذي كان يسمى «جيش الشعب» والذى كان يهدف لصهر التناقضات، أصبح اليوم هو الساحة الرئيسية لتلك التناقضات. في كل مرة يتحدث فيها نتنياهو عن «النصر المطلق» أو المواجهات الكبرى، يغفل حقيقة أن الأداة التي يعتمد عليها تعاني من «انفصام في الشخصية»؛ فهناك جيش يريد الحفاظ على هيكلية الدولة الحديثة، وجيش آخر يريد جعل الحرب لا تعترف بحدود أو قوانين.

في المحصلة، يواجه الاحتلال في عام 2026 حقيقة موضوعية قاسية: إن «جيش الرب» الذي ترعرع في كنف اليمين المتطرف قد بدأ يبتلع الدولة التي صنعته. التفكك الحالي ليس مجرد «خلاف في وجهات النظر»، بل هو انشطار في «وحدة القيادة»؛ وهي العلة القاتلة لأي جيش نظامي. وحين تصبح الفتوى هي البوصلة، والبندقية هي الأداة لتحقيق نبوءات دينية غيبية، تنتهي شرعية المؤسسة العسكرية كقوة منظمة، وتتحول إلى مجموعة من الميليشيات الطائفية التي تلبس لباساً موحداً، لكنها تسير نحو نهايتها المحتومة بصراع الهويات الذي لا يمكن لأي سلاح تكنولوجي أن يحسمه.

ومع وصول هذا الانقسام إلى ذروته، يبقى السؤال الأكثر إلحاحاً فوق طاولات هيئة الأركان: هل يدرك جنرالات الاحتلال أنهم باتوا يقودون جيشاً بزيٍّ موحد ولكن بعقيدتين متناحرتين، أم أنهم سينتظرون لحظة الصدام الميداني ليكتشفوا أن «الزناد» لم يعد يأتمر بأمر الدولة؟

شرح المصطلحات العبرية الواردة في المقال

الميخينا: هي الأكاديميات التمهيدية التي يلتحق بها المستوطنون قبل الخدمة العسكرية؛ وتحولت النسخ «الدينية» منها إلى دفيئات لتخريج ضباط يدينون بالولاء للأيديولوجيا الاستيطانية قبل المؤسسة العسكرية.

دعت توراه: مفهوم ديني يمنح «الحاخام» سلطة مطلقة في تفسير الشؤون السياسية والعسكرية، ويجعل من رأيه مرجعية عليا تتجاوز قوانين الدولة وأوامر القيادة.

المتكال: هيئة الأركان العامة لجيش الاحتلال؛ وهي تمثل قمة الهرم القيادي العسكري والمسؤولة عن وضع الخطط الاستراتيجية وإصدار الأوامر العليا.

سيروف بيكودا : مصطلح «رفض الأوامر العسكرية»؛ وهو ظاهرة تعكس تمرداً داخل الوحدات، وغالباً ما يستند فيها الجنود إلى فتاوى دينية تمنعهم من تنفيذ قرارات هيئة الأركان.

الرابانوت الحاخامية العسكرية: وهي المؤسسة المسؤولة عن الشؤون الدينية داخل الجيش، والتي تغلغلت في السنوات الأخيرة لتصبح شريكاً في صياغة العقيدة القتالية وتبرير الجرائم الميدانية.

ميلخيمت ميتسفاه «حرب الفريضة»؛ وهي الحرب التي تُصنف وفق الفقه اليهودي كـ «واجب ديني» لا قيود فيه، وتُستخدم لتجريد العمليات العسكرية من الضوابط القانونية والأخلاقية.

دولة يهودية جديدة
بديلة عن الكيان الصهيوني الراهن

عبد الله جناحي ـ كاتب وباحث سياسي من البحرين

حيثيات عنوان هذا المقال:

1- تصريحات ترامب الأخيرة بشأن «تهجير» الشعب الفلسطيني في غزة إلى مصر والأردن، حيث استخدم ترامب مصطلح «التهجير» و«تنظيف» غزة من سكانها؛ وهو مصطلح يعكس رؤيته المتماثلة مع رؤية الحكومات الصهيونية، والحركة النازية اللتين استخدمتا مصطلحات شبيهة، مثل «التطهير» العرقي و«العزل» و«التهجير» القسري لليهود.

2- وحيث تعامل ترامب أيضاً مع قطاع غزة، ضمن عقليته التجارية، وكرجل يعمل في الاستثمار العقاري. وتعامل مع غزة وكأن أصابها زلزال دمرها بالكامل، وبحاجة إلى «تنظيفها» من البشر والحجر، وإعادة إعمارها، بما يخدم الاستثمار السياحي والتجاري. وقد عكست تركيبة مجلس السلام الذي يرأسه هذه الرؤية الصهيونية/النازية/التجارية!.

وحيث صرح ترامب بأن (غزة عملياً موقع هدم الآن. أفضل أن أشارك مع بعض الدول العربية وأبني مساكن في «موقع» مختلف، حيث يمكنهم «ربما» العيش في سلام). والموقع المختلف الذي يقصده هو سيناء المصرية، أو الصحراء الأردنية!. وممكن لاحقاً ضواحي العراق ولبنان، وصحراء الربع الخالي!.

3- ولكن، أهم تلك الحيثيات هو الاقتراح الاستهزائي المنشور في إحدى الصحف الأمريكية، رداً على تصريحاته تلك. ويتمثل في (أن الحل ليس في تهجير الشعب الفلسطيني من وطنه، بل إعادة توطين المستوطنين الذين اغتصبوا الأرض الفلسطينية في بعض المدن والولايات الفارغة ديموغرافياً. والمبادرة بنقل 6 ملايين «إسرائيلي» ومستوطن إلى الولايات المتحدة لإقامة مستقرة ما دام ترامب يقترح التهجير).

هذا الاقتراح، جدير بالتفكير في تنفيذه للعديد من الأسباب التي تكون في صالح اليهود في العالم، خاصة وأن «اليهودية» هي الديانة الوحيدة على كوكب الأرض التي رفضت الانفتاح على أجناس وأعراق وشعوب العالم، من غير اليهود. واعتبرت المؤمنين بها بمثابة شعب نقي الدم يحتاج إلى أرض تبنى عليها أمة «يهودية»!.

كما أن هذا الاقتراح -على المدى الإستراتيجي طويل المدى- في صالح الغرب الرأسمالي عامة، والولايات المتحدة على وجه الخصوص.

مرتكزات عنوان هذا المقال:

إن وجاهة «نقل» الصهاينة المستوطنين من فلسطين، أو تأسيس ولاية فيدرالية يهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، تنطلق من المركزات التالية:

1- المرتكز التاريخي التوراتي، حيث إن ما ورد في التوراة من نصوص «أرض الميعاد»، قد تحقق فعلياً في القارة «الأمريكية» بعد وصول سفينة «الحجاج» المهاجرين من بريطانيا إلى هذه القارة الجديدة بعد اكتشافها.

2- مرتكز فشل كافة المشاريع الأممية والمخططات الصهيونية والبريطانية والأمريكية التي هدفت «اصطناع» دولة يهودية على أرضٍ كان- ولا يزال- يعيش عليها شعب عربيٍ من المسلمين والمسيحيين واليهود واللادينيين وغيرهم. شعب يسمى بالشعب الفلسطيني منذ مملكة كنعان. حيث كان هذا المخطط الاستعماري الصهيوني «البلفوري» قد انبثق في عصر مختلف تماماً عن عصور اكتشافات الأوروبيين للقارتين الجديدتين في القرن الرابع عشر، وغزو أستراليا ونيوزلندا، وإحلال شعوب أوروبية فيها، وذلك بعد إبادة الشعوب الأصلية التي كانت مستقرة في تلك القارات والبلدان منذ ما قبل التاريخ المكتوب. وحيث تكرار هذه

«السيناريوهات الإحلالية» في الجزائر من قبل الفرنسيين، وجنوب أفريقيا من قبل خليط من الشعوب الأوروبية، وفلسطين من قبل خليط من يهود العالم. قد باءت بفشل هذه الهجرات الاصطناعية، لأسباب بروز وصعود وعي قانوني وأخلاقي وحقوقي وسياسي في مرحلة تاريخية جديدة مختلفة تماماً عن عصور الاكتشافات القارية. ولأسباب تنظيم مقاومة شعبية مدعومة أممياً من شعوبٍ ودولٍ لا تؤمن بالتطهير والإبادات الجماعية للبشر والحجر.

3- مرتكز انتهاء الدور الوظيفي للكيان الصهيوني الراهن بعد انتهاء عهود الاستعمار العسكري المباشر، وانتهاء دوره الوظيفي بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي. وهذا المرتكز الهام الذي أعلنه مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة هرتزل، وكذلك الصهيوني بن غوريون وغيرهما، والذين عملوا على إقناع البريطانيين بفائدة الكيان الصهيوني لحماية المصالح البريطانية في مصر، وكدولة عبور استراتيجي للهند خاصة، ودول شرق آسيا عامة. وكمكان لليهود وبالتالي التخلص من عبء وجودهم في بريطانيا وبقية الدول الأوروبية. وتعزيز هذا الدور الوظيفي بعد الثورة المصرية لحماية قناة السويس. وجاء الدور الوظيفي للكيان الصهيوني، في النصف الثاني من القرن العشرين، ضد الشيوعية في الشرق الأوسط. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1990. أصيب هذا الكيان ببعض من الاضطراب خشية انتهاء دوره الوظيفي، وذلك قبل بروز «العدو» الجديد للغرب الرأسمالي والمتمثل بالإرهاب الإسلامي. وهذا ما تم تنفيذه بعد تفجيرات 11 سبتمبر في نيويورك. وقد كشف بشكل بليغ عن هذا الدور الجديد المتوقع للكيان الصهيوني من قبل الجنرال شلومو جازيت، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية «الإسرائيلية»؛ حيث كتب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قائلًا «إن «مهمة» إسرائيل الأساسية لم تتغير على الإطلاق، فهي باقية على أهميتها وضروريتها الحاسمة. فموقعها في مركز الشرق الأوسط العربي المسلم، يقدر لها بأن تكون حارسًا للاستقرار في جميع الدول المحيطة بها. و»دورها» يتمثل في حماية الأنظمة القائمة من خلال منع أو وقف العمليات الراديكالية، ومنع توسع أي حماس أصولي ديني». هذا النص ذكره ناعوم تشومسكي في كتابه «أوهام الشرق الأوسط». وأصل هذا النص في صحيفة إيديعوت أحرونوت، بتاريخ 27 أبريل 1993. وهذا التصريح يكفي وحده لتأكيد وجود كيان مصطنع في قلب الشرق الأوسط لينفذ دوره الوظيفي خدمة لأسياده. ويتوضح من كل ما تقدم ذكره، بأن الكيان الصهيوني كان ينتقل من دور وظيفي أمني وسياسي إلى دور جديد، حسب أولويات صناعها من المستعمرين البريطانيين والإمبريالية الأمريكية. مثلما كانت الحركة الصهيونية نفسها تفعل عند بحثها عمّن «يصنع» لها كيانها، حيث لجأت لألمانيا القيصرية، وروسيا القيصرية وتركيا العثمانية، وأخيراً حصلت على وعدها من بريطانيا عام 1917، وتأسيس دولتها في عام 1948 بدعم فاضح وكامل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا.

4- مرتكز المصالح الرأسمالية العالمية، الاقتصادية والجيوسياسية في الدول العربية، والشرق أوسطية. وذلك بعد صعود دول تنافس الأحادية القطبية الأمريكية. حيث يتطلب اندماج جميع الدول العربية والشرق أوسطية في الأسواق المالية والصناعية وغيرها، والتي تتطلب الاستقرار، والتعامل السلمي معها، بدلاً من مخططات الهيمنة «الجبرية»، والترهيب اللذين يجبران هذه الدول الانحياز لأقطاب أخرى رأسمالية جديدة صاعدة، غير القطب الرأسمالي التقليدي الهابط.

5- مرتكز شعار «أمريكا أولاً» الذي رفعه ترامب في حملته الانتخابية، والذي أشير له بالتفصيل في (إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي) بأن الأولوية الاقتصادية في داخل أمريكا، والتوقف عن «هدر» الأموال الأمريكية على الدول الحليفة الأوروبية والحليفة الأخرى، وبالطبع، يأتي الكيان الصهيوني كأولوية في هذا الهدر لمليارات الدولارات الأمريكية له.

وبالتالي فإن إعمار ولاية أمريكية جديدة، أو أي شكل آخر مناسب لهجرة المستوطنين الصهاينة من فلسطين إلى الولايات المتحدة، سوف يخدم هذا الشعار الأثير لدى الرئيس الأمريكي ترامب، بل لعله شعار أثير وجذاب لأي رئيس أمريكي آخر سيأتي مستقبلاً.

توضيح للحيثية الثالثة من هذا المقال:

وهي التي اقترحتها إحدى الصحف الأمريكية (أن الحل ليس في تهجير الشعب الفلسطيني من وطنه، بل إعادة توطين المستوطنين الصهاينة الذين اغتصبوا الأرض الفلسطينية في بعض المدن والولايات الفارغة ديموغرافياً. والمبادرة بنقل 6 ملايين «إسرائيلي» ومستوطن إلى الولايات المتحدة لإقامة مستقرة ما دام ترامب يقترح التهجير).

فمن المعروف بأن الفكرة الصهيونية في تأسيس وطن لليهود في فلسطين. كانت تواجه في بداياتها برفض ومقاومة من قبل بعض المذاهب اليهودية. حيث كانوا ينظرون لوجود اليهود في «الشتات» ضرورة دينية توراتية، واعتبروا «الدياسبورا»- أي الشتات- مسألة مركزية لهم. وقد أشار المفكر المصري عبد الوهاب المسيري في كتابه «الأيديولوجية الصهيونية» لموقف سيمون دوفنوف- مفكر يهودي رفض مبدأ الهجرة لفلسطين من مواليد -1860 حيث صرح بأن «عدة مئات من الرجال قد هاجروا إلى فلسطين، في الوقت الذي يهاجر فيه عشرات الآلاف إلى الولايات المتحدة». وعلى أساس هذه الملاحظة انتهى إلى أن «الأمل في نقل قلب الشعب اليهودي من الشتات إلى الوطن الأصلي التاريخي يبدو لا أساس له». وقد كرس دوفنوف كل جهوده لتحسين الحياة السياسية والثقافية للمجتمعات اليهودية كل في وطنه، بل لقد تكهن بأن «المركز الرئيسي لليهودية سيكون الولايات المتحدة». وقد أثبتت التطورات التاريخية صدق نبوءته. فعدد اليهود في مدينة مثل نيويورك يفوق عدد كل سكان إسرائيل.

ويهود الولايات المتحدة ليسوا على وشك الانقراض، بل ليسوا في حالة ضمور. كما ادعى بن غوريون في المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين عام 1961, بل إن الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة قد كشفت عن هوية أمريكية يهودية مستقلة عن التصورات الصهيونية الخاصة باليهودي الخالص. فاليهودي الأمريكي يسهم في حضارته الأمريكية ويثريها ولا يتعارض الطابع اليهودي الخاص لإسهاماته مع انتمائه لوطنه أو ولائه له تماماً، مثل الأمريكيين من أصل إيطالي الذين يسهمون في المجتمع الأمريكي ويضيفون لحضارته دون أن تتعارض جذورهم الحضارية الإيطالية مع انتمائهم لوطنهم الأمريكي الجديد والوحيد. كما أشار المسيري إلى أحد أهم المفكرين اليهود في الولايات المتحدة الذين تبنوا بشكل واضح فكرة مركزية الدياسبورا، وهو الحاخام الإصلاحي «جاكوب برنادر آموس» الذي يرى أن الهوية اليهودية ليس لها أي أساس عرقي، إذ إن أساسها ديني فحسب. ويؤكد آموس أهمية الشتات، ويشير إلى أن اليهودية في الولايات المتحدة ليست ديناً دخيلًا لشعب أجنبي غريب، وإنما هي واحدة من الديانات الأساسية في هذا البلد. وهو يقدم رؤية ليهود الولايات المتحدة على انهم جماعة دينية لها جانب فرعي إثني على عكس الإسرائيليين الذين يتطورون بشكل سريع ليصبحوا مجرد «قومية علمانية، لا تشكل العقيدة القديمة بالنسبة لها إلا واقعا «ثانويا»، بل إن الحاخام آموس يرى أن الصهيونية ستؤدى في نهاية الأمر إلى تقسيم يهود العالم إلى قسمين: قسم ديني وقسم عرقي. وقد أشار المسيري أيضاً إلى أحد المفكرين المدافعين عن مركزية «الدياسبورا» مفكر علم الاجتماع اليهودي الأمريكي- الباكستاني الأصل- مايكل سلزر الذي تبنى موقف سيمون دوفنوف، إذ يعتقد هو أيضاً أن مركز الدياسبورا قد انتقل من أوروبا إلى الولايات المتحدة، ويرى أن اليهود في أمريكا قد حصلوا على فرص لا حصر لها للتعبير الحر وللنمو، لا تخضع لأي قيود، وبعيدة عن حياة «الجيتو»، وعن النظرة الاندماجية البسيطة للقرن التاسع عشر. يقول سلزر «إن اليهودي يمكنه أن يُنمي هويته اليهودية دون أن يتناقض ذلك مع هويته الأمريكية». ويرى المسيري بأن «التجربة اليهودية في الولايات المتحدة فريدة، حيث لا توجد حضارة أمريكية خالصة تستبعد اليهود، لأن المجتمع الأمريكي هو خليط من الأقليات والجماعات المهاجرة، كل منها يحتفظ بشيء من تقاليده الحضارية». اليهود الذين يعيشون في الولايات المتحدة، هم اليهود الجدد- حسب تعبير المسيري- وهم بالتالي اليهود ما بعد «الجيتو» الذين يعيشون في حضارة لم تعرف تقاليد معاداة السامية إلا بشكل سطحي، ولم تفرض على اليهود أي وظائف اقتصادية أو مهن محدودة، كما حدث في أوروبا وروسيا القيصرية. ولكن على الرغم من أن اليهود في الولايات المتحدة يشكلون أقلية لها إنجازاتها المستقلة وإسهاماتها في الحضارة الأمريكية.، وعلى الرغم من أن هذه الأقلية لا تدين بالولاء الفعلي للوطن القومي الإسرائيلي، وإن كانت تدين له بالولاء اللفظي. فإن هذا الموقف لا يعبر عن نفسه بشكل واضح علني. ويعود هذا الوضع لعناصر عدة يمكننا أن نشير من بينها إلى الهيمنة الصهيونية على الإعلام في الولايات المتحدة. ويرى المسيري بأن «تأكيد مركزية الدياسبورا هي أشكال مستترة للرفض اليهودي للصهيونية غير واعية بنفسها، وتكمن أهمية الأشكال الجديدة للرفض في أنها تساعد على تقويم القوة الذاتية الحقيقية للصهيونية». ويعتقد المسيري أن النضال العربي والفلسطيني ضد الصهيونية في الشرق الأوسط- وهو الساحة الأساسية التي يتم فيها النضال ضد الصهيونية- سيساعد حركات الرفض اليهودية في العالم وسيشد من أزرها، لأن الأيديولوجية الصهيونية ستظهر على حقيقتها: أكذوبة لا سند لها في الواقع، لم تكتسب مقومات الحياة إلا من خلال العنف. وبهذا لا يكون النضال العربي ضد الصهيونية مجرد نضال لتحرير الأرض العربية والإنسان العربي فحسب، وإنما هو أيضاً نضال من أجل تحرير الإنسان اليهودي الذي أخفق في كفاحه ضد أيديولوجية عنصرية هيمنت عليه وعلى معتقداته.

توضيح للمرتكز الأول من هذا المقال:

وهو المرتكز التاريخي التوراتي، حيث إن ما ورد في التوراة من نصوص «أرض الميعاد»، قد تحققت فعلياً في القارة «الأمريكية» بعد وصول سفينة «الحجاج» المهاجرين من بريطانيا إلى هذه القارة الجديدة بعد اكتشافها.

لقد وثق العديد من الباحثين عن العلاقة العضوية بين هؤلاء «الحجاج» وبين إيمانهم الوثيق بالتوراة اليهودي، باعتباره العهد القديم للمسيحية. معتمدين في هذا المقام بمرجع للباحث في «الإنسانيات» والتاريخ الأمريكي، وظاهرة «الصهيونية غير اليهودية» الدكتور منير العكش في كتابه (أميركا والإبادات الجماعية، حق التضحية بالآخر). ففي سياق مقترحنا بتأسيس ولاية جديدة بمثابة دولة فيدرالية يهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه منذ تحول الهيمنة من بريطانيا لأميركا أصبح الكيان الصهيوني ولاية فيدرالية أمريكية عملياً وفعلياً.

يشير العكش بأن اسم «إسرائيل» هو الاسم الذي أطلقه الحجاج الإنكليز على مستعمراتهم الأمريكية. كل تصورات العبرانيين القدامى ومفاهيمهم عن السماء والأرض والحياة والتاريخ زرعها هؤلاء المستعمرون الإنكليز في أمريكا التي أطلقوا عليها اسم «أرض الميعاد» و»صهيون» و»إسرائيل الله الجديدة» وغير ذلك من التسميات التي أطلقها العبرانيون القدامى على أرض فلسطين. من هذا التقمص التاريخي لاجتياح العبرانيين أرض كنعان. كانوا يقتلون الهنود وهم على قناعة بأنهم عبرانيون فضلهم الله على العالمين. بل كانوا يسمون أنفسهم بالمستعبرين Hebriests. وإنهم- كما يقول الحاخام المؤرخ لي ليفنغر- «أكثر يهودية من اليهود، لأنهم يعتبرون أنفسهم يهود الروح الذين عهد الله إليهم ما عهد إلى يهود اللحم

والدم قبل أن يفسدوا ويتخلوا عن أحلام مملكتهم الموعودة». وإن «يهودية هؤلاء الحجاج هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي- وهي ذات الثوابت للحركة الصهيونية في فلسطين- في كل محطاته من أول مستعمرة إلى الآن:

١ -المعنى الإسرائيلي التوراتي لأمريكا.

٢- عقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي.

٣ -الدور الخلاصي للعالم.

٤ - قدرية التوسع اللانهائي-استراتيجية المجال الحيوي-.

٥ - حق التضحية بالآخر.

لقد تمكن مستعمرو القارة الجديدة من إبادة سكان قارة كاملة- أكثر من 112 مليون إنسان، لم يبق منهم في إحصاء أول القرن العشرين سوى ربع مليون-. وبالطبع فقد أصدر الإعلام الأمريكي سيلاً من الكتب والمعلومات التي أغرق بها التاريخ المنتصر على العقول، وهي بمعظمها تؤكد على «فراغ الأرض» و»وحشية هذه الشراذم الهندية ومسؤوليتها عما جرى لها». تماماً كما فعلت الحركة الصهيونية حين روَّجت عن أرض فلسطين بلا شعب، لشعب بلا أرض، وأن الموجودين عليها من غير اليهود هم همجيون متخلفون. حتى تبريرات إبادتهم الجماعية للهنود الحمر كانت مستوحاة من التوراة. فعندما نشر المستعمرون الإنجليز على جميع القبائل الهندية جرثومة «الجدري» ووباء السفلس. سموها «الأوبئة نعمة أرسلها الله» هذه العبارة في الواقع الترجمة الحديثة لعبارة «العناية الإلهية» التي استخدمها قبلهم أنبياء المستعمرين الإنكليز في أوائل القرن السابع عشر عندما قالوا إن هذه الأوبئة نعمة أرسلها الله لتطهير الأرض التي أعطاها لشعبه، ومنهم من اعتبرها معجزة لا تقل عن معجزة الأوبئة العشرة التي يقال إنها فتكت بالمصريين في زمن موسى. حتى قبل أن تبحر سفينة الحجاج الأولى ماي فلور Mayflower من ميناء إنجليزي، لم ينس الملك جيمس أن يحمد الله على هذا الوباء البديع wonderful plague الذي أزاح المتوحشين من بين أقدامنا. وكان وليم برادفورد حاكم أول مستعمرة إنجليزية «بليموث» يرى أن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل (يدخل السرور والبهجة على قلب الله. فمما يرضي الله ويفرحه أن يزيل هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت). كانت هذه «المعجزات الإلهية» صورة عن رغبات المستوطنين وطموحاتهم. فلطالما توحدت القدرة الإلهية مع الشعب المختار في أرض كنعان الجديدة.

أمريكا بديلة عن أورشليم:

كان الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين، فقد كانوا يعتبرون هذا العالم الجديد بديلاً عن «أورشليم» والأراضي المقدسة. ولهذا فقد سموه بكل الأسماء التي أطلقها العبرانيون على بلاد كنعان. بل، لا يزال هناك كثرة من المدن الصغيرة والقرى في الولايات الأمريكية بأسماء إسرائيلية توراتية. وما يزال التاريخ الأميركي إلى الآن يضفي على هؤلاء الحجاج قداسة طوباوية ويعتبرهم أول أنموذج للاستثناء الأمريكي الذي فضله الله على العالمين وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، وجعل العهد الذي عقدوه مع الله على متن سفينتهم الأسطورية التي أوصلتهم للقارة الجديدة، من اللحظات النادرة الخالدة في التاريخ الإنساني، كما يقول الرئيس الأميركي جون آدامس، فعهدهم مع الله جبَّ عهدَ الإسرائيليين القدامى، وتأسيس مستعمرتهم على صخرة بليموث تضاهي تأسيس الكنيسة على صخرة بطرس. قصة هؤلاء (الحجاج) هي الأصل الأسطوري لكل التاريخ الأمريكي ومركزيته الأنكلوسكسونية. وما يزال كل بيت أمريكي يحتفل سنوياً في عيد الشكر بتلك النهاية السعيدة التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم «فرعون» البريطاني وخروجهم من أرضه و«تيههم» في البحر، وعهدهم الذي أبرموه على ظهر سفينتهم مع إله اليهود «يهوه»، ووصولهم في النهاية إلى «أرض الميعاد». ويعتبر هذا العيد الطقسي الذي يبجله الأمريكيون وطنياً ودينياً أكثر من أي عيد آخر- بما في ذلك عيد الاستقلال- من أكثر أعياد أمريكا قدسية. يستعيد الأمريكيون أسطورة تاريخهم بكل ما يعنيه بطقسية الاحتفال بالأسطورة. فهو طقس يتضمن تقديس فعل الاستعمار الاستيطاني والتأكيد على التفوق الطبيعي والأخلاقي للمستعمرين، وهو تأكيد على صدق الأسطورة وحياتها المتجددة، وهو احتفال برعاية الله لكل عناصر أسطورة الولادة المقدسة للتاريخ الأميركي، وهو - من خلال هذا الطقس الاحتفالي - يؤكد على التسامي بالأسطورة ومعايشتها كدين.

منذ نزول الحجاج في أرض الميعاد الجديدة عام 1607 كانت المقاربة بين وعود يهوه لليهود في حصولهم على اللبن والعسل في أرض كنعان، مع ما وجدوه في أرض الميعاد الأمريكية (لم يستطع القديسون أن يميزوا بين السماء وعجل الذهب: لقد وجدنا أرضاً واعدة أكثر من أرض الميعاد، فبدلاً من اللبن وجدنا اللؤلؤ، وبدلاً من العسل وجدنا الذهب).

المعنى «الإسرائيلي» لأمريكا:

)قدر الهندي الذي يواجه الأنكلوسكسوني مثل قدر الكنعاني الذي يواجه الإسرائيلي: إنه الموت). جيمس بولدين، نائب في الكونغرس ما بين 1834-1839. إن أمريكا ليست إلا الفهم الإنكليزي التطبيقي لفكرة إسرائيل التاريخية، وإن كل تفصيل من تفاصيل تاريخ الاستعمار الانجليزي لشمال أمريكا حاول أن يجد جذوره في أدبيات تلك الإسرائيل ويتقمص وقائعها وأبطالها وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية، ويتبنى عقائدها في الاختيار الإلهي وعبادة الذات وحق تملك الأرض وحياة الغير. لقد ظنوا أنفسهم، بل سموا أنفسهم «إسرائيليين» و«عبرانيين» و»يهوداً». وأطلقوا على العالم الجديد اسم «أرض كنعان» و»إسرائيل الجديدة»، واستعاروا كل المبررات الأخلاقية لإبادة الهنود (الكنعانيين) واجتياح بلادهم من مخيلات العبرانيين التاريخية.

إن فكرة اجتياح مستعمرين لشعب مستقر هي ذاتها فكرة الاجتياح المسلح وبمبررات «غير طبيعية»، هي محور فكرة إسرائيل التاريخية. وإن عملية الإبادة التي تقتضيها مثل هذه الفكرة مقتبسة بالضرورة بشخصيات أبطالها الإسرائيليين، (الشعب المختار، العرق المتفوق) وضحاياها (الكنعانيين، الملعونين، المتوحشين، البرابرة) ومسرحها (أرض كنعان، وإسرائيل) ومبرراتها (الحق السماوي أو الحضاري) وأهدافها (الاستيلاء على أرض الغير واقتلاعه جسدياً وثقافياً)، وكلها من فكرة إسرائيل التاريخية. هذا الاعتقاد بأن هناك قدراً خاصاً بأميركا. وأن الأمريكيين هم الإسرائيليون الجدد والشعب المختار الجديد، يضرب جذوراً عميقة في الذاكرة الأمريكية. وما يزال صداه يتردد في اللغة العلمانية الحديثة، أو ما صار يعرف بالدين المدني. إنه اعتقاد يتجلى في معظم المناسبات الوطنية والدينية وفي كل خطابات التدشين التي يلقيها الرؤساء الأمريكيون مفاده أن «إرادة الله، القدر، حتمية التاريخ ... إلخ» اختار الأمة الأمريكية الأنكلوسكسونية المتفوقة وأعطاها دور المخلص الذي يعني حق تقرير الحياة والموت والسعادة والشقاء لسكان المجاهل. وأنه مهما حل بإسرائيل فوق أرض فلسطين، فإن إسرائيل الأمريكية تبقى القلعة المحصنة لإعادة بناء إسرائيل ولقيمها ومبادئها وأخلاقها.

التماهي مع الأسطورة التوراتية:

خروج الإنجليز من جزيرتهم نحو القارة الجديدة، هو ذاته خروج موسى من مصر عبر البحر الأحمر نحو كنعان. وبالطبع فقد وجد بعض السياسيين الإنكليز في استعمار العالم الجديد- القارة الجديدة، فرصة لتحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في وطنهم الكنعاني. وبذلك تأكد لهم أن خروجهم من جزيرتهم البريطانية صوب القارة الجديدة يضاهي الخروج الأسطوري للعبرانيين من أرض مصر، ولم يساورهم الشك في أخلاقية استعمارهم وحقهم في إبادة الهنود ومقارنة ذلك كله باجتياح العبرانيين لأرض كنعان وإبادة الفلسطينيين. كل أدب المستعمرين الأوائل في القارة الجديدة يؤكد على هذه «القدرية التاريخية».

تدشين الدستور الأمريكي بتماهي إسرائيلي:

لقد تم التماهي الأمريكي للمعنى الإسرائيلي لأميركا في المحكمة العليا حيث تم إلقاء خطبة بمناسبة تدشين الدستور الأمريكي، عندما تقرؤها لن تشك لحظة في أنه يقرأ مقاطع من سفر الخروج أو التثنية من التوراة. حيث تبدأ الخطبة عن ولادة الدستور بهذا المقطع من سفر التثنية (لقد علمتكم فرائض وأحكاماً، كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا بها في الأرض التي أنتم داخلون إليها لتتملكوها. فاحفظوا واعملوا، فتلك هي حكمتكم وفطنتكم في عيون الشعوب الذين سيسمعون عن هذه الفرائض). والواقع أن كل هذه الخطبة شرح واستطراد وتعليق وقياسات تمثيلية بين شريعة موسى والدستور الأمريكي، وبين الإسرائيليين والأمة الأمريكية. فالدستور مناسبة للتأكيد على وجه الشبه بين ما نزل على موسى من ألواح وبين ما نزل على قلب واضعي الدستور. وهي مناسبة للتذكير بأن إسرائيل القديمة والجديدة أمة مختارة باركها الله قديماً بشريعة ليس لها مثيل وجعلها «فوق كل الشعوب نبراساً للعالم عبر كل العصور، ثم أكرمها حديثاً بدستور ليس له مثيل، وجعلها فوق كل الشعوب» مثالاً يحتذى عبر كل العصور.

كما إن تأسيس مجلس الشيوخ الأميركي أيضاً ليس إلا استمراراً لما فعله موسى، عندما اشتكى إلى يهوه أنه لا يطيق الحكم وحيداً، فأمره باختيار سبعين رجلاً من الحكماء والرتباء. ونجد في تلك الخطبة، بأن حكومة موسى كانت (جمهورية) وقائمة على المبادئ الجمهورية، وأن قبائل إسرائيل كانت تحكمها حكومات محلية لامركزية لا تختلف عن الحكومات المحلية للولايات الأمريكية. ولم يكن الآباء المؤسسون للدولة الأمريكية مثل جفرسون وآدامس وفرنكلين وپاين - أصحاب الاتجاه العقلاني والمذهب الطبيعي - بأقل حماسة للمعنى الإسرائيلي للأمة الأمريكية من الحجاج والقديسين. ومعروف أن فراكلين وجفرسون كليهما أصرا على صورة «الخروج الإسرائيلي» من مصر إلى كنعان كمثل أعلى للنضال الأمريكي من أجل الحرية. وفي الرابع من يوليو -1776 عيد الاستقلال- عهد الكونغرس لفرنكلين وجفرسون أن يضعا تصميماً لخاتم الولايات المتحدة. أما فرنكلين فاختار رسماً لموسى رافعاً يده، والبحر الأحمر منفلق، وفرعون في عربته تبتلعه المياه. وأما جفرسون فاقترح رسماً لبني إسرائيل في التيه يرشدهم السحاب في النهار وعمود النار في الليل. وكان الرئيس جفرسون من أبلغ من تحدث عن المعنى الإسرائيلي لأمريكا.. بل إنه ختم خطابه التدشيني لفترة الرئاسة الثانية بتعبير يشبه الصورة التي اقترحها لخاتم الجمهورية: «إنني بحاجة إلى فضل ذلك الذي هدى آباءنا في البحر كما هدى بني إسرائيل، وأخذ بيدهم من أرضهم الأم ليزرعهم في بلد يفيض بكل لوازم الحياة ورفاه العيش».

اللغة العبرية أساس الثقافة الأمريكية:

منذ اليوم الأول لوصول المستعمرين الإنكليز إلى العالم الجديد، كانوا يريدون أن ينشئوا في أمريكا دولة ثيوقراطية تعيد سيرة اليهود التاريخيين. فالخطباء والوعاظ استمدوا نصوص خطبهم من العهد القديم، وأما الآباء فقد استعاروا منه أسماء أولادهم. لم تكن العبرية لغة ثانوية بل كانت عمود ثقافة المثقفين والمعلمين المتدينين وغير المتدينين. كان تاريخ اليهود في العهد القديم قراءتهم اليومية، بل لربما كانوا يعرفونه أكثر مما يعرفون تاريخ أي شعب. فاللغة العبرية ومعها اللاتينية- لا الإنكليزية- هي التي كانت لغة التعليم الأساسية في جامعة هارفرد عند تأسيسها في عام1636. وشريعة موسى هي القانون الذي حاولوا تبنيه، إلى جانب العبرية التي أرادوها لغة رسمية لأبناء مستعمرات الثلاث عشرة على ساحل الأطلنطي.

لقد شقت «العبرية» مع الزمن قنواتها إلى عقائد الآباء المؤسسين وأنبياء الرأسمالية الجدد.

أليست كل هذه القيم والأفكار تكفي لتشييد ولاية أمريكية يهودية السكان، ليجسدوا هذه الأسطورة القديمة بشكل معاصر. ويتماهون معاً بأرض كنعان الأمريكية، ويتناسون أمام «حيثيات» و»مرتكزات» هذا المقال أرض كنعان لشعبها العربي الفلسطيني!؟.

تقرير

فلسطين في شباط 2026: بين الاحتلال المتصاعد والمقاومة المتجذرة

موسى جرادات ـ كاتب سياسي فلسطيني – تركيا

يُعدُّ شهر شباط/فبراير 2026 علامة فارقة في تطورات القضية الفلسطينية، حيث تداخلت الأحداث الميدانية والسياسية على أكثر من جبهة، دفعت بالواقع الفلسطيني نحو مستويات أعلى من التوتر، وكشفت عن مخاطر انفجار شامل غير بعيد إذا لم تتغير المعادلات الراهنة، التي يحاول الاحتلال عبرها تأبيد الواقع الفلسطيني .

فكما هو معلوم أن السياسات العدوانية لقوات الاحتلال مستمرة ومتواصلة، في مسعى دائم ومتواصل، لخلق أجواء مواتية لفرض الحل وفق الرؤية الصهيونية على الأرض الفلسطينية، بعد التحلل من كل الالتزامات الدولية والاتفاقات المعقودة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي هذا المسعى سلكت حكومة الاحتلال مسارات متعددة لتحقيق تلك الأهداف، التي تحولت من سياسات مضمرة في السنوات الماضية، إلى سياسات معلنة ومدعومة بقرارات حكومية .

أولاً | الضفة الغربية: اقتحامات يومية وتصعيد غير مسبوق

برزت الاقتحامات والاعتقالات اليومية التي شملت المئات من المعتقلين، والضغوط التي تمارس على قطاعات واسعة من سكان الضفة الغربية وخاصة في مناطق جيم وفق تصنيفات اتفاق أوسلو، بهدف تهجيرهم واقامات مناطق استيطانية .

حيث اظهرت تقارير دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير، استمرار الاقتحامات اليومية لقوات الاحتلال الإسرائيلي في المدن والبلدات الفلسطينية في الضفة الغربية، فقد تمّ اقتحام بلدة العيزرية وحي الزعيم في محافظة القدس، وحي حزما، إضافة إلى مناطق أخرى في مختلف انحاء الضفة، خلال الأيام الماضية، أدت تلك العمليات إلى اعتقالات واسعة لسكان فلسطينيين من بينهم مواطنون في القدس والمناطق المحيطة بها.

هذه الاقتحامات لم تقتصر على ساعات الليل فقط كما درجت العادة، بل امتدت إلى نهار رمضان في بعض المدن, ما يضاعف من حدة الاحتكاكات ويعمّق الأزمة الإنسانية والاجتماعية مع استمرار الإغلاق المفروض منذ أكتوبر 2023 على الضفة الغربية.

الاستيطان وعنف المستوطنين

شهدت الضفة الغربية تصاعدًا ملحوظًا في اعتداءات المستوطنين ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم.

بحيث تحولت إلى اعتداءات يومية، تحمل طابع منظم ومدرس، ففي قرية سوسيا بالقرب من الخليل، أقدم مستوطنون على إحراق خيام ومركبات، وهاجموا الأهالي، في وقت أعلنت فيه قوات الاحتلال على فتح تحقيقات شكلية رغم أن الحقائق تشير إلى تنسيق وأجواء حماية للمستوطنين.

ولم يعد يقتصر عنف المستوطنين على السرقات والحرق، بل شمل الاعتداء على الأراضي الزراعية، إطلاق المواشي في حقول الفلسطينيين، والاعتداءات الجسدية التي خلفت إصابات في صفوف المواطنين الفلسطينيين.

الحملة الاستيطانية وتهجير القرى

يتواجد اليوم نحو 770 ألف مستوطن إسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة، بينهم حوالي 250 ألفًا في القدس الشرقية، وتستمر الاعتداءات اليومية لهذه الجماعات الاستيطانية عبر ممارسة العنف والهدف تهجير السكان الفلسطينيين من أراضيهم قسرًا.

تقارير منظمة حقوقية وثقت أنّ آلاف الفلسطينيين تعرضوا للتهجير القسري، والهجمات المستمرة منذ بدء الحرب على غزة عام 2023 كذلك أسفرت عن استشهاد أكثر من ألف فلسطيني في الضفة وإصابة عشرات الآلاف واعتقال الآلاف.

النتيجة الميدانية: الضفة الغربية لم تعد اليوم فقط تحت الاحتلال العسكري، بل تتعرض لسياسات التغييب التدريجي والضم الفعلي من خلال الاستيطان والتضييق اليومي على الحياة الفلسطينية.

ثانيًا | قطاع غزة: القصف المستمر والحصار المتواصل

على الرغم من التفاهمات التي وفعت بوصفها "تهدئة" لوقف إطلاق النار، فقد شهد حي التفاح في غزة إطلاق نار إسرائيلي أسفر عن استشهاد وإصابات في صفوف المدنيين الفلسطينيين، وهو مؤشر واضح على أن الهدوء النسبي هش ويعتمد على موازين القوى الميدانية والسياسية وليس على حل شامل.

فيما القصف الجوي والمدفعي المتكرر يُلقي بظلاله على سكان القطاع الذين ما زالوا يعيشون تحت حصار بري وبحري وجوي منذ سنوات، مع قيود صارمة على دخول الكهرباء والوقود والمواد الأساسية.

إلى جانب القصف، يعيش المواطنون في غزة أزمة إنسانية واقتصادية خانقة، تتمثل في ارتفاع معدلات البطالة وفقدان الدخل، وغياب فرص العمل أمام الأجيال الشابة. يضاف اليه قرارات حكومة الاحتلال بمنع ٨٧ منظمة إنسانية دولية من العمل في غزة، تأكيد على سياسة الضغط القصوى تجاه سكان غزة ، لدفعهم نحو خيارات أخرى أكثرها خطورة الدفع بالهجرة خارج الوطن .

بينما التفاعل بين القصف والحصار يزيد من إحساس الفلسطينيين بأن الهدوء المؤقت لا يعالج السبب الحقيقي للصراع، بل يخفي الصراع تحت طبقة من التوتر المستدام.

ثالثًا | الداخل الفلسطيني (48):

احتجاجات ضد الجريمة والتمييز

شهدت مدن وبلدات فلسطينيي 48 احتجاجات شعبية واسعة خلال شباط 2026 ضد التفشي الكبير للجريمة المنظمة والعنف الاجتماعي دون محاسبة من قبل الأجهزة الرسمية الإسرائيلية، والتي يُنظر إليها كجزء من نظام مرتبط بالصراع السياسي العام.

وكانت مظاهرات في مناطق مثل سخنين وأم الفحم واللد، وغيرها، شارك فيها عشرات الآلاف، مطالبين بتحسين الأمن، وتحميل السلطات الإسرائيلية مسؤولية عدم توفير الحماية لمواطنيها الفلسطينيين بينما يتساهل الجهاز الرسمي تجاه العنف والجريمة

بعض المتظاهرين ربطوا بين العنف المجتمعي وتجاهل السلطات الإسرائيلية لمسألة أمن الفلسطينيين في الداخل وبين سياسات الاحتلال الأوسع في الضفة وغزة، بحيث تصبح معاناة المجتمع الفلسطيني مرتبطة بالمشهد العام للصراع.

رابعًا | السياسة الإسرائيلية: أزمات داخلية وطريق مسدود

داخل الساحة السياسية الإسرائيلية، تستمر الأزمة حول قانون التجنيد والموازنة العامة للدولة لعام 2026:

النقاشات الساخنة حول إعفاء اليهود المتدينين من الخدمة العسكرية أشعلت خلافات داخل الائتلاف الحاكم، مما أثر في قدرة الحكومة على الاستقرار السياسي.

الموازنة العامة واجهت تأخيرات وصعوبات في القراءة النهائية في الكنيست بسبب توقف التوافق حول قانون التجنيد، مما يفتح الباب لسيناريو انتخابات مبكرة في الداخل الإسرائيلي.

هذه الأزمة السياسية الداخلية لا تبقى داخل حدود دولة الاحتلال، بل تؤثر على سياساتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة، لأنه من المتوقع أن تتحول إدارة الصراع بشكل أكثر تشددًا في حال عجز الحكومة عن الاستقرار السياسي الداخلي.

بعض التفاصيل حول هذه النقطة لا تزال تتطور، لكن هناك تحليلات واسعة في الصحافة الصهيونية وفي الأوساط السياسية تشير إلى ذلك.

فالجميع اليوم يربط الأزمات البنيوية داخل حكومة الاحتلال، وانعكاسها السلبي

على حياة الفلسطينيين على كامل حدود الوطن.

خامساً | الأبعاد الإنسانية والاقتصادية

لا يمكن فصل الوضع الإنساني عن السياسات السياسية والميدانية. في الضفة الغربية وقطاع غزة، تزداد الضغوط الاقتصادية:

انكماش اقتصادي حاد في غزة بسبب الحصار وقيود النقل والتجارة، مع ارتفاع غير مسبوق في معدلات البطالة والفقر.

وزارة التنمية الاجتماعية في فلسطين أبلغت عن توسعة برامج الدعم النقدي والإغاثي للأسر الأشد احتياجًا، وتقديم مساعدات اجتماعية للأطفال والشباب في عدة بلدات، في محاولة لتخفيف المعاناة المتفاقمة.

في الوقت الذي تشهد فيه مؤسسات الإغاثة الجهود الميدانية، تواجه الأسر الفلسطينية تضاؤل مواردها وقدراتها على الصمود اقتصاديًا، ما يزيد من معاناة الفئات الفقيرة واللاجئين.

سادساً | المواقف الدولية وردود الفعل

تفاعلت الساحة الدولية مع التوتر المتصاعد في الضفة الغربية:

عدد من وزراء خارجية دول عربية، وأوروبيين، أصدروا بيانًا مشتركًا في 24 شباط 2026، يعارضون قرارات إسرائيل بإعادة تصنيف أراضٍ فلسطينية على أنها "أراضٍ دولة"، وتوسيع الاستيطان في الضفة الغربية، معتبرين ذلك انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي وتهديدًا لحل الدولتين.

الموقف الاسباني الصادر عن وزارة الخارجية، اعتبر ان الاتحاد الأوروبي، مازال يحابي دولة الاحتلال، على حساب الشعب الفلسطيني، في حين رأت الدبلوماسية الإسبانية ان لدى الاتحاد الأوروبي قدرة كبيرة على التأثير على حكومة الاحتلال .

في القدس ايضا وفي المسجد الأقصى تحديدا، تفاقمت التوترات حول الوضع القائم للصلاة والسيطرة على الحرم القدسي، ما أثار مخاوف من زيادة الاحتكاكات الميدانية في المنطقة خاصة بعد دخول شهر رمضان المبارك، باعتباره شهر عبادة جامع للفلسطينيين في رحابه.

سابعاً | تحليل سيناريوهات الانفجار الحتمي

مع تراكم الأحداث، تبرز أكثر من سيناريو ممكن يشير إلى انفجار شامل إن لم تتغير المعادلات السياسية والميدانية:

السيناريو الأول

تصعيد ميداني واسع في الضفة وغزة

إذا استمر الاستيطان والعنف الاستعماري والمواجهات اليومية دون رادع حقيقي، فمن المحتمل أن تتحول المواجهات اليومية إلى اشتباكات واسعة تشمل مناطق عدة في الضفة، وربما تمتد إلى غزة في موجة ثالثة من التصعيد.

السيناريو الثاني

توسع الاحتجاجات في الداخل الفلسطيني داخل الخط الأخضر، فالاحتجاجات ضد الجريمة في الداخل يمكن أن تتحول إلى احتجاجات ذات طابع سياسي واضح تتصادم مباشرة مع السلطات الإسرائيلية، وخصوصًا إذا شعرت فئات واسعة من الفلسطينيين بعدم وجود أفق سياسي أو أمني .

السيناريو الثالث

توتر دولي متصاعد يقف عند حافة تصعيد إقليمي

المواقف الدولية المُدانة يمكن أن تكون بمثابة وقود إضافي للتوتر إذا استمرت الضغوطات دون إجراءات فعلية لوقف الاستيطان والعدوان الكامل، وهو ما قد يدفع أطرافًا إقليمية للانخراط بشكل أكثر فاعلية.

السيناريو الرابع

أزمة داخلية إسرائيلية تؤدي إلى اضطرابات سياسية

إذا تسببت أزمات قانون التجنيد والموازنة في سقوط الحكومة أو انتخابات مبكرة، فإن الفراغ السياسي في إسرائيل قد يُستغل من جهات فلسطينية لمواجهة جديدة، فسقوط الحكومة الصهيونية الحالية يعد انتصار تكتيكي للفلسطينيين.

كل الاحتمالات تشير بقوة إلى أن الواقع الراهن، إذا استمر دون تغيير جوهري في السياسات، يمكن أن يقود إلى انفجار شامل في أكثر من محور ميداني وسياسي وداخلي خلال الأشهر المقبلة.

خاتمة

شباط 2026 يكشف أن القضية الفلسطينية لا تزال محورًا حيويًا للصراع في الشرق الأوسط، وأن السياسات الإسرائيلية المعتمدة حاليًا من الاستيطان إلى الحصار إلى إدارة الصراع، تُؤجِّج التوتر وقد تؤدي إلى مرحلة انفجار شامل إذا لم تتبدّل المعادلات السياسية والعسكرية.

هذا الواقع يطرح أسئلة استراتيجية حول دور المؤسسات الدولية في حماية حقوق الفلسطينيين، وأهمية توحيد الجهود الوطنية الفلسطينية في مواجهة هذه التحديات والتي ماتزال حبيسة سياسات فئوية على حساب الحقوق الوطنية، فحتى هذا الوقت لم تتداعى القوى الفلسطينية المختلفة للتواصل بينها ، في حين التحديات الكبرى تعرف بالقضية واهلها، في وقت تتقاطع فيه الضغوط السياسية الداخلية الصهيونية والخارجية الغربية لتحديد مستقبل القضية.

ترجمة

رصد

ترجمة: نور نوارة

فضائح إبستين: اختفاء وثائق واتهامات تطال ترامب

مصادر: CNN، NK TIMES، CBS NEWS ـ فبراير 2026

لا تزال قضية الملياردير الراحل جيفري إبستين تتفاعل في المشهد الأمريكي، حيث كشفت تحقيقات صحافية جديدة عن تطورات مثيرة تتعلق باختفاء وثائق مهمة من ملفات القضية، بعضها يتضمن اتهامات مباشرة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

فقد كشفت شبكة CNN الأمريكية أن أكثر من 90 وثيقة من سجلات مقابلات الشهود مع مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) قد اختفت من الملفات التي نشرتها وزارة العدل مؤخراً . ووفقاً لصحيفة "The New York Times"، فإن هذه الوثائق المفقودة تمثل أكثر من ربع إجمالي الوثائق المفترض نشرها، وكان من بينها ثلاث وثائق تتعلق بمقابلات مع إحدى الضحايا التي أدلت بشهادتها ضد إبستين .

الأكثر إثارة للجدل، أن نفس الضحية قد اتهمت الرئيس ترامب بالاعتداء الجنسي عليها عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وفقاً لما نقلته صحيفة واشنطن بوست عن مصادر مطلعة على محتوى الوثائق المفقودة. وقد أثار هذا الاختفاء الغامض تساؤلات حادة من قبل أعضاء الكونغرس الديمقراطيين، حيث صرح النائب روبرت غارسيا قائلاً: «لدينا ضحية توجه اتهامات خطيرة ضد الرئيس، ولكن هناك مجموعة من الوثائق - يحتمل أن تكون مقابلات الـ FBI مع تلك الضحية - يبدو أنها مفقودة ولا يمكننا الوصول إليها» .

في تطور موازٍ، استقال لاري سامرز، رئيس جامعة هارفارد الأسبق، من منصبه كأستاذ بعد الكشف عن علاقاته بإبستين، كما أعلن الدكتور بيتر عطية اعتزاله العمل الإعلامي في شبكة CBS News على خلفية نفس القضية. وفي خطوة تصعيدية، من المقرر أن يمثل الرئيس الأسبق بيل كلينتون وعقيلته هيلاري أمام الكونغرس للإدلاء بشهادتهما حول طبيعة علاقاتهما بإبستين.

تصريحات فرانشيسكا ألبانيزي: دعم فني واسع رغم اتهامات معاداة السامية

Times of Israel ـ فبراير 2026

في كلمة لها أمام منتدى الجزيرة في الدوحة، تحدثت ألبانيزي عن «عدو مشترك سمح بحدوث الإبادة الجماعية في غزة»، مضيفة: «بدلاً من وقف إسرائيل، قام معظم العالم بتسليحها ومنحها الأعذار والغطاء السياسي» . ووصف وزير الخارجية الفرنسي جان-نويل بارو هذه التصريحات بأنها «شائنة ومرفوضة»، ودعاها للاستقالة .وكان ردها: «لن أستقيل، والهجمات ضدي لا شيء مقارنة بالإبادة الجماعية التي يواجهها الفلسطينيون» . وأضافت أنها لا تتلقى أي راتب مقابل عملها، وتتعرض لضغوط شخصية وعقوبات، لكنها تستمد قوتها من معاناة الفلسطينيين، خاصة الأمهات في غزة. .وفقاً لصحيفة تايمز أوف إسرائيل (Times of Israel)، وقع أكثر من 100 فنان بارز على رسالة دعم لألبانيزي، من بينهم الممثلان مارك رافالو وخافيير باردیم، والموسيقية آني لينوكس، والحائزة على نوبل آني إرنو . وجاء في الرسالة: «نقدم دعمنا الكامل لفرانشيسكا ألبانيزي، المدافعة عن حقوق الإنسان، وبالتالي عن حق الشعب الفلسطيني في الوجود» .

و تمتلك ألبانيزي سجلاً طويلاً من التصريحات المثيرة للجدل، حيث شككت في تقارير الاغتصاب خلال هجوم 7 أكتوبر، وقالت إن إسرائيل «لا تملك حق الدفاع عن النفس» . كما نشرت رسماً كاريكاتورياً اعتُبر معادياً للسامية، وفرضت عليها الولايات المتحدة عقوبات العام الماضي بتهمة «معاداة السامية الصريحة».

تراجع الذهب والفضة: تصحيح تاريخي وأسباب متشابكة

Money Control - Deutsche Börse ـ فبراير 2026

شهدت أسواق المعادن النفيسة تراجعاً حاداً وغير مسبوق منذ بداية فبراير 2026، حيث سجل الذهب والفضة أكبر انخفاض لهما في عقود. ووفقاً لتحليل مفصل نشره موقع بورصة فرانكفورت (Deutsche Börse)، فإن الذهب فقد حوالي 13.3% من قيمته في يومي تداول فقط، وهو الأسوأ منذ عام 2013 . أما الفضة فكانت الضحية الأكبر، بتراجع تاريخي بلغ 31.5% في يومين، وهو أكبر انخفاض منذ بدء تسجيل البيانات اليومية في 1950 .

بحسب تحليل الخبير مايكل بلومينروث، هناك عوامل متشابكة وراء هذا الانهيار:

1. رفع هوامش الضمان: قامت إحدى بورصات العقود الآجلة الأمريكية برفع متطلبات الضمان للمعادن الثمينة، حيث زادت نسبة الهامش المطلوب للذهب من 6% إلى 8%، وللفضة من 11% إلى 15%، مما دفع المستثمرين المضاربين لإغلاق مراكزهم .
2. تعيين كيفن وارش: أشارت تقارير إلى أن ترشيح الرئيس ترامب لكيفن وارش لرئاسة الاحتياطي الفيدرالي عزز قوة الدولار، حيث عُرف وارش بدعمه للسياسة النقدية التقييدية ورفع الفائدة .
3. جني الأرباح: وفقاً لموقع Moneycontrol، سارع المستثمرون لجني الأرباح بعد الارتفاعات القياسية السابقة، حيث كان الذهب قد سجل مستوى تاريخياً عند 5595 دولاراً للأونصة قبل أيام قليلة من الانهيار .

وبحسب روس ماكسويل من VT Market، فإن الانخفاض الحالي يمثل «تصحيحاً طبيعياً» وليس انعكاساً للاتجاه الصعودي، حيث لا تزال العوامل الهيكلية الداعمة للذهب قائمة مثل التوترات الجيوسياسية وتوقعات التضخم . وفي آخر التحديثات (26 فبراير)، استقر الذهب حول 5207 دولارات للأونصة، بينما تراجعت الفضة إلى 89.80 دولار.

رمضان في عيون الغرب: إفطار تايمز سكوير وجدل إعلامي

وكالة ABNA، صحيفة ذا بينينسولا ـ فبراير 2026

شهدت مدينة نيويورك حدثاً استثنائياً مع حلول شهر رمضان، حيث تجمع المئات من المسلمين في أشهر ساحات العالم تايمز سكوير لأداء صلاة التراويح وتناول الإفطار الجماعي . وفقاً لوكالة ABNA، نظم الفعالية ناشطون من منصة «WayofLifeSQ» على يوتيوب، وتم توزيع 1500 وجبة إفطار مجانية و1200 نسخة من القرآن الكريم بعدة لغات .

أما في المناطق القطبية، تناولت صحيفة ذا بينينسولا معاناة المسلمين في دول كالسويد والنرويج وكندا حيث لا تغيب الشمس، مشيرة إلى فتاوى تسمح بالصيام وفق توقيت أقرب مدينة معتدلة، وأن المراكز الإسلامية أصبحت «منفساً حيوياً» لهم .

أن تكون طفلاً في قطاع غزة!!

ديمه داوودي ـ كاتبة وصحفية سورية

أطفال فلسطين اليوم هم نواة المستقبل الفلسطيني والعالم، لذلك يحارب الاحتلال أطفالنا قبل الكبار، تخيفه أصابعهم الصغيرة وصوتهم الصداح بالحرية المنشودة، المغروسة في خلاياهم، فكم من طفل حارب القهر والجوع والفقدان، لينجو وحيداً تحفظ ذاكرته كل ما شهدت عيناه، يدرك تماماً أن ذراع أمه لم تعد باستطاعتها مسح رأسه، ولم يعد والده يعلمه القتال فوق الركام، وحتى إصبعي أخيه لم يعودا يرتفعان عالياً بإشارة النصر!! وحده ناجٍ لا يحمل سوى تاريخٍ لن ينساه، فيما مُسح وجوده من السجلات، حَفظ النزوح مسير أقدامهم، حفظت الخيامُ أمنياتهم قبل أن يفتك بها البرد، أو الحمى الشوكية المنتشرة حديثاً التي تفتك بمن نجا من ويلات الحرب والخذلان تباعاً، أطفال يستشهدون برداً فتتجمد شرايينهم الرقيقة فيما بعضنا يشاهدهم على شاشات التلفزة وهو ينعم بالدفء والمعدة المتخمة، في حين تنقل الشاشة ذاتها مشاهد أطفال يبحثون عن لقمة طعام بين التراب، وأطفال آخرين تقتلهم إرهاصات الحرب ضمن خيام مهترئة في ظل انخفاضات غير مسبوقة وسرعة رياح تقتلعها أمام إصرار الاحتلال على منع المساعدات والمواد الأولية ما يجعل البيئة غير صالحة للحياة، لكن الطفل الفلسطيني يتمسك بحبال الغد ويجذبه إليه، آملاً أن يتخطى العجز المحيط به.

عجز يعانيه الأطباء فيموت الأطفال بين أيديهم، لقلة المعدات أو الأدوية وحتى إمكانية نقلهم للعلاج!!، كما حدث في مجمع ناصر الطبي!!، الذي يؤكد أن أمراض الجهاز التنفسي تفتك بالأطفال يومياً بسبب البرد الشديد والغذاء المعدوم والمياه غير النظيفة ومنع الاحتلال دخول أنواع التطعيم الخاص بالإنفلونزا، ما جعل الجهاز المناعي في حالة عوز شديد، ليبلغ عدد الأطفال خلال 48 ساعة 7 حالات مصابة بالحمى البكتيرية الشوكية الشديدة بإصابات غير مسبوقة قبل الحرب، ناهيك عن الألم الشديد الذي يعانيه الطفل المصاب في جسده ورئتيه ودماغه وإن لم يتجاوز عمره بضعة أشهر، وكأنها عقوبة يفرضها الاحتلال على الأطفال لمجرد ولادتهم في فلسطين!!

لكن في الواقع ليس أطفال فلسطين وحدهم من يعانون هذا العجز فنحن نعاني من عجز في الضمائر النائمة، إذ لا نتدخل ونظل في غفوة مدعاة، فأجهزة مناعتنا مصابة بحمى من نوع آخر هي «نقص في الكرامة»، لأن كرامة أخيك الإنسان من كرامتك، أطفال فلسطين في مثلث خطر ما زالوا يقاومون في محاولة للعيش أمام انهيار المنظومة الصحية التي خلقت بيئة خصبة لشبح الموت والاستشهاد، 60 طفلاً يصلون يومياً إلى عموم المستشفيات المتبقية في فلسطين، ولمن لا يعرف فالحمى الشوكية هي التهاب السحايا، أي التهاب الأغشية المحيطة بالدماغ والسائل المغلف له بالدرجة الأولى، أوجاع لا تقارن بصداع يدهمك فتركض لالتقاط حبتي مسكن، فيما أطفال رضع يأكل خلاياهم الخذلان قبل المرض، فهل ضميرك راضٍ أيها الأخ العربي الآن!؟

حوار الهدف الثقافي

الروائية التونسية
فتحية دبش

حـوار:
باسمة حامد - كاتبة وباحثة سورية

فتحية دبش مبدعة تونسية تعيش بين عالمين متناقضين: جذورها العربية واغترابها في فرنسا، وما يلفت الانتباه في تجربتها الإبداعية نزوعها إلى المغامرة والتجريب والتجديد وإثارة التساؤلات العميقة بحثاً عن هوية إنسانية مسؤولة تنقذ البشرية من القتل والدمار والعنف والتطرّف والتمييز.

ضيفتنا غزيرة الإنتاج الأدبي ومن أعمالها: رواية (ميلانين) الحائزة على جائزة كتارا عام 2020، ومجموعة قصصية قصيرة جداً بعنوان (رقصة النار)، و(صمت النواقيس) وهو نصوص سردية عابرة للتجنيس جمع بين القصة والخاطرة، وفي الترجمة عن الفرنسية (البحث عن دريدا)، بالإضافة إلى دراسات نقدية عديدة في القصة الوجيزة. هذا الحوار محاولة للتعرّف إلى عالم فتحية دبش المبدعة والإنسانة التي تعاملت مع الواقع المعقّد بين الشرق والغرب وصنعت من تناقضاته مشروعاً إبداعياً متميزاً وخاصاً في طرحه الفكري.

ولديها قيد النشر مخطوطات ومشاريع كتابية ما بين القصة والرواية والترجمة والنقد.

«ميلانين» ليست سيرة ذاتية

■ **لنبدأ من (ميلانين): من يقرأ الرواية لا بدّ أن يشعر بوجود هوامش متداخلة ما بين الذاتي الواقعي والمتخيل الروائي.. كيف حققتِ المعادلة الصعبة ضمن هذا التوازن بين الاشتراطات الفنية للسردِ وبين رغبتك في تقديم نص أدبي منشغل بكتابة الذات؟**

لنتفق أولاً على أن (ميلانين) لا تندرج ضمن أدب الذات. إذ لا أتحدث فيها عن تجربتي الخاصة حتى وإن اعتمدت على جملة من التقنيات كالتخييل الذاتي، فإن ذلك لم يكن إلّا حيلة سردية وأداة تقنية لكتابة رواية توهم بالواقعية والواقعية ليست الذاتية.

الكاتب ابن واقعه ولذلك نجد في كل النصوص هوامش تدل على زمنه أو مكانه، أو انشغالاته، ولكن ذلك لا يعني البتة أن ما يكتبه هو أدب ذات. وبالمجمل فالشخصيات والواقع في (ميلانين) يشبه واقع الناس في زمن كتابتها ولعل ذلك واحد من عوامل رواجها.

الأدب عابر لكل الحدود

■ **استلهامك للمحات من تجربتك الخاصة في الرواية يشجعني لسؤالك عن الحياة في فرنسا كدولة تتبنى شعار «الحرية والإخاء والمساواة» و لا تعترف بالمشاكل العنصرية فيها رغم بشاعتها.. كيف تصفين هذه الحياة من منظورك الخاص كامرأة تونسية سمراء مهاجرة؟**

الحياة في فرنسا تشبه الحياة في كل بلد. وكامرأة سوداء فإن ما يمكن أن أتعرض له في فرنسا أتعرض له أيضاً خارجها! الفرق الوحيد بين هذه البلدان هو القوانين.

هناك بلد له قوانين يمكن الاستعانة بها وهناك بلد لا قوانين فيه تحمي المختلفين. وعلى رغم النواقص الكثيرة والنفاق المجتمعي والقيمي والأخلاقي الذي نلمسه في ظل زحف سياسات اليمين المتطرف إلّا إنني أدرك تماماً أن الأسر المهاجرة تواجه الأسئلة نفسها في كل زمان ومكان داخل فرنسا وخارجها.

■ **ما يلفت الانتباه أن الرواية تنشغل بسؤال الشرق- غرب أود أن أعرف رأيك كمثقفة عربية: ما جدوى الحوار مع الآخر ضمن الحديث المتكرر عن (حوار الأديان، حوار الثقافات)؟ وهل الغرب مهتم فعلياً بترسيخ هذه الفكرة كآلية ثقافية مهمة لمدّ الجسور مع العرب والمسلمين أم أن الحوار مجرد شعار برّاق لا أكثر؟**

لنقل أولاً أننا بصدد عمل روائي وليس عملاً تاريخياً ولا هو عمل مختص في العلاقات بين الشرق والغرب أو حوار الأديان أو ما إليه من هذه الاختصاصات. وطبيعة العمل الروائي عموماً هي تقديم تجارب إنسانية قد تلتصق بواقع المجتمعات وأسئلة الراهن وقد لا تفعل.

وبالمجمل فالرواية تعبير عن موقف دون أن يعنيني اهتمام شق أو آخر بفكرة مدّ الجسور بين الشعوب. لكن كنت دائماً أفكر بأن الأدب عابر لكل هذه الحدود والدليل أننا نقرأ روايات من كل الثقافات ولا نخرج منها كما دخلناها.

■ **ماذا عن فلسفة الهوية التي تبنيها وراء هذا العمل ككاتبة تجعل من الإنسان قضيتها الأولى؟ وفي هذا الإطار: هل تعتقدين أن هناك إمكانية لتحقيق ما تؤمنين به حول فكرة «الإنسان الكوني» وسط عالمنا الذي تزداد فيه أزمات الانتماء والتطرف والنزعات الانفصالية العنف المسلح والتعصب والصراع؟**

أظل مؤمنة بأن هناك فكرة لا تموت. وفلسفة الإنسان الكوني تمثّل بنظري قشّة النجاة التي تتقذنا من هذه المجازر والدماء والخراب حتى وإن كانت الشرور دوماً غالبة على العيش المشترك.

- لدي فضول لأعرف لماذا لم تقدّمي رواية جديدة رغم مرور أكثر من خمس سنوات على صدور روايتك الأولى (ميلانين) وفوزك بجائزة مهمة؟ ما السبب؟!

بعد (ميلانين) أصدرت جملة من الكتب وفي أغراض متفرقة. من يتابعني يدرك أنني أشتغل كثيراً وفي مجالات إبداعية مختلفة وليس لي هاجس الرواية الثانية أو الجائزة الثانية أو غيرها... هاجسي هو الكتابة وليس الرواية رغم وجود مسودتين على الأقل بانتظار النشر.

تجربتي تنزع إلى التجريب

■ **«صمت النواقيس» تُقرأ من زوايا عدة على مستوى: (النوع، الأفكار، اللغة، المواضيع) ما التحديات التي واجهتك في المزج بين التجريب الشكلي والقضايا الاجتماعية الجريئة التي طرحتها في مجموعة متحررة من التصنيفات؟ وهل نتوقع أن يكون هذا العمل بداية لمشروع إبداعي سيتطور لاحقاً؟**

صمت النواقيس» هو وجه من وجوه تجربتي الأدبية التي تنزع إلى التجريب والوفاء لجملة من الثيمات التي تشغلني. وأعتبره من أهم ما سيبقى بعدي.

■ **لنقف قليلاً عند تجربتك في كتابة القصة القصيرة جداً في ضوء ما كتبته من نصوص في «رقصة النار».. ما الصعوبات التي واجهتك في هذا العمل؟**

للأمانة فإن الصعوبات التي يواجهها الكاتب في كل نص هي صعوبات تمنح الكتابة قداستها. والقصة القصيرة جداً هي قصة مرهقة للكاتب والقارئ على حد السواء وعموماً تتعلق دوماً بالتحدي الأدبي لغة وأسلوباً وتقانات وغيرها.

■ **هناك من يرى بأن مستقبل هذا النوع من الأدب سيزدهر كونه يتناسب مع طبيعة العصر من حيث التكثيف والإيجاز والسرعة.. ما رأيك ككاتبة وناقدة مهتمة بالقصة الوجيزةً تأليفاً ونقداً؟**

القصة القصيرة جداً ليست نتاج هذا العصر لكنها ازدهرت فيه بحكم دمقرطة فعل الكتابة والنشر بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي التي تسمح مساحاتها بمثل هذه الكتابات. وأنا مؤمنة بأن هذا النوع من الكتابة سيشغل المهتمين طويلاً لأنه إلى حد اللحظة يثير أسئلة النقاد ويقلق المبدعين عن أسره في قواعد ثابتة.

■ **وكيف تتصورين مستقبل الكتابة الإبداعية في ظل التحولات الرقمية وهيمنة الذكاء الاصطناعي؟**

في الحقيقة لا أشغل نفسي كثيراً بهذا الأمر. بل ربما رأيت أن التحولات الرقمية ساهمت في انتشار الأدب، وحفزّت القراء على الاكتشاف، وفتحت مجالات أخرى لم تكن ممكنة قبل ذلك. وأما الذكاء الاصطناعي فإنه وجه من وجوه هذه التحولات. ويجب التعامل معه بذكاء بشري وحساسية لا يملكها.

الكتابة فعل سياسي

■ **كيف تجدين واقع الرواية في تونس بعد موجة «الربيع العربي» ؟**

الإجابة على هذا السؤال تحتاج مني الدقة ولكنني عاجزة عليها بحكم عدم إقامتي في تونس. ولكن بالمجمل تشهد الرواية التونسية ازدهاراً وانتشاراً واسعين وتشتغل على ثيمات مختلفة عن مثيلاتها في العالم العربي وهذا مصدر فخر لها.

■ **لكن بعض النقاد يرى أن الانغماس في عالم «الأنا» والتعامل مع الأدب بروح تجارية حوّل الرواية التونسية إلى سلعة جذّابة بعناوين صارخة وقضايا هامشية لا تمثّل حياة الناس الحقيقية .. ما رأيك؟**

ومن ذا الذي قرأ كل روايات العالم وكل روايات تونس حتى يتمكن من الإدلاء برأي كهذا؟! هؤلاء الذين يتحدثون بهذا اليقين ويحكمون هذا الحكم لا أعتبرهم نقاداً ولذلك لن أناقش وجهة نظرهم.

فلسطين أكثر من ذاكرة..

■ **لنقف قليلاً عند كتابك (أكثر من ذاكرة).. أي ذكريات حملتها مخيلتك الإبداعية خلال رحلتك إلى فلسطين؟ هل من موقف أو لحظة مؤثرة عشتها هناك؟ وكيف غيّرت هذه التجربة نظرتك للحياة والإنسان ولصوتك السردي عموماً؟**

"أكثر من ذاكرة» هو كتاب يحمل صدى رحلتي إلى فلسطين وبالتحديد الضفة الغربية حيث كنت مدعوة للمشاركة في فعاليات ملتقى غسان كنفاني للرواية العربية في دورة 2023.

هذه الرحلة أو الزيارة كما يسميها الفلسطينيون لم تكن مطلقاً حدثاً عابراً ولا سفراً كالسفر، كانت بمثابة التحول في رؤيتي للأشياء والعالم وحتى للكتابة.

أيام قليلة ولكنها كثيرة بعد المعنى والفكرة والالتزام. أدركت معنى أن يكون هناك احتلال وقيود وحواجز وسردية. اكتشفت أيضاً مدى قوة الكتابة في حفظ الذاكرة واستمرار السردية وأيضاً مدى الرعب من الكتابة عن فلسطين!!

أحداث كثيرة كانت مفصلية ومواقف كثيرة تركت أثراً عميقاً في نشأة الكتاب وكذلك في تحول نظرتي للقضية. ففلسطين التي رأيت لم تعد مجرد قضية هوية إنما هي إنسانية لا تتحكم فيها أديان ولا سياسة.

ببساطة هي معركة الإنسان ضد القيد والمحو والتغييّب. ولعل الكتابة من طرف كتاب وكاتبات غير فلسطينيين وغير فلسطينيات هي وجه من وجوه الحقيقة التي لم نكن نعرفها.

■ **وماذا عن دور المبدعين العرب في تشكيل وصون السردية الفلسطينية ومواجهة الرواية الإسرائيلية؟**

المبدع بصفة عامة مسؤول عن صون السردية الفلسطينية أمام المحو والتفتيت. تلك قناعتي، وأعتقد أنه من واجبنا أن نكتب عن فلسطين ليس لمجرد الكتابة وإنما لحفظ الذاكرة وكشف ما لا يراه الرائي من وراء شاشات الحواسيب.

■ **ولكن يسود اعتقاد بأن علاقة المثقف والسياسي زادت شرخاً خلال العقد الأخير.. كيف تردّين على ذلك؟**

الكتابة فعل سياسي مهما حاولنا تنقيتها من السياسة، وذلك لأن العلاقة ليست بين المثقف والسياسي وإنما هي علاقة بين المثقف والسياسة.

> **فلسطين لم تعد مجرد قضية هوية إنما هي قضية إنسانية لا تتحكم فيها أديان ولا سياسة**

الروائية
مي جليلي
أكتب لأتنفس... نحن لا نموت بسهولة

حـوار: وفاء حميد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

مي جليلي روائية وقاصة فلسطينية من مواليد مخيم العائدين في حمص، انتقلت للدراسة والعمل في دمشق وسكنت مخيم اليرموك منذ زمن بعيد، تقيم حالياً في هولندا. من أشهر أعمالها الروائية: قبضة غبار- قناديل الجليل- براري النرجس- جلد الثور.. والمجموعة القصصية (حراب القصب). نالت العديد من الجوائز أشهرها: جائزة المزرعة - السويداء عام 2009 عن روايتها (براري النرجس).

أولَ الوجع كانت فلسطين، وليس آخرها مخيم اليرموك. في سلسلة الحوارات التي تنشرها مجلة (الهدف) نلقي الضوء على كتّاب وأدباء ولدوا في مخيم اليرموك وشردتهم المنافي إلا أنّ جذورهم بقيت عالقة فيه. وهذا هو حال الكاتبة والروائية مي جليلي المغتربة في بلاد الغرب، ورغم الغربة الإجبارية، تطلّ برواية جديدة تتحدث فيها عن شقاء البعد وذل المنافي مقابل حياة بسيطة آمنة وهي من آمنت بعودة الروح إلى بيوت المخيم وشوارعه... وكانت لنا وقفة معها أثناء زيارتها لدمشق مؤخراً.

■ **عشتِ في مخيم اليرموك ولك الكثير من الذكريات. ما أهم محطات ذكرياتك في هذا المخيم؟**

المخيم كان كل حياتي المؤقتة التي أعيش بها، ليس لأنه الأمل الذي لا يخبو، بل هو بداية المشوار الطويل والصعب. المخيم ليس مكاناً للخيال ولا أرضاً صالحة للتذكر.. هو بالنسبة لي محطة انتظار للعودة إلى بلدتي لوبية في طبريا. ربما هذا وجودي كله وأمنية الأمنيات.. وما زال حقي بالحياة في وطني يسرح في الأفق البعيد، لكن هذا الحق سينزل يوماً على الأرض ويمشي بيننا ويأخذنا إلى الحقيقة المطلقة، نحن لنا وطن ينتظرنا.. ربما لا يسعفني الزمن وأدركه لكنه ينتظر أولادي وأحفادي... المخيم سيعود كما كان بل أكثر وجوداً.. سينهض من تحت التراب، وسوف يعود النور إلى نوافذه والشجر البهي إلى أرصفته... سنقف أمام محلاته وتحت شرفاته.. المخيم سيعود كما كان وأجمل.. لقد رأيته يفتح أبوابه للقادمين، ويضمهم بقلبه الكبير.

■ **ساعدتك يد القدر في الانتقال من مكان إلى آخر حتى وصلت إلى بلد اللجوء (هولندا). هل شعرتِ بالامتنان إلى أحد ما؟**

كانت رحلة اللجوء شاقة، مهما قلت لا أستطيع شرح العذاب والحزن الذي لقيته، ومهما كان ومهما جرى لن أعيدها أبداً.. لقد كنا نحن اللاجئين نساعد بعضنا.. لكن الامتنان هو للبلد المضيف هولندا التي دعمت وجودنا على أراضيها، وعاملتنا وكأننا أصبحنا مواطنين، يحق لنا كل ما يحق للسكان الأصليين.

■ **لو لم تسعفك الظروف، ما الذي كنتِ ستفكرين فيه بشأن مستقبلك ومستقبل عائلتك مع أنك لم تتوقفي عن الكتابة رغم الغربة القاسية؟ ما الدافع الذي جعلك تستمرين في الكتابة؟ وتصدرين الكتب حتى الآن؟**

كان من حقي أن أبحث عن الأمان لأسرتي.. كنت أخشى عليهم من الحرب والاعتقال.. وسوف أحاول دائماً حماية أولادي وأحفادي.. لن أجلس مكتوفة الأيدي.

لا يوجد ما يوقف يدي عن الكتابة بأي مكان أو زمان، ليس عندي دوافع للكتابة.. هي أصلاً ولدت معي وعاشت في قلبي ودائماً تتجول في أفكاري.. وتتعبني ولا تكفّ إلا حين أحطّ رحالها على الورق.. الكتابة بالنسبة لي ليست طارئة ولا ترفاً ولا دوافع.. إنها حياتي.

■ **كيف استقبل النقاد أعمالك الروائية؟ لنتحدث عن (قناديل الجليل) مثلاً.**

لا أستطيع حصر ما كُتب عن رواياتي من قبل النقاد أو القراء.. لكن كانت الآراء تدعوني للأمل والاستمرار... رواية (قناديل الجليل) هي رواية بلدتي في فلسطين.. رواية أخذتها من ذاكرة جدتي وأبي وأمي.. لقد كانت فلسطين على قيد الحياة في قلوبهم.. فكتبتها كما هي، تضج بالحياة وكأنني كنت هناك.. وقد استغربَ أبي حين قرأها وقال لي: ما أدراك أن هذا هو الذي حدث؟! فعرفت أن روايتي من حبر روحي.

■ **كيف تصفين علاقتك بالكتابة وموقعها على خارطة الأدب الفلسطيني والإبداع الروائي؟**

علاقتي بالكتابة معقدة متعبة مبهجة مدهشة... لا يمر يوم دون أن تكون هناك فكرة تتكون كالجنين في رأسي.. لا تتصوري حفاوتي حين أرضى عن جملة كتبتها أو حين يعجبني مقطع في رواية.. أشعر بالفرح الخفي وأقرأ لنفسي بصوت عالٍ، وأثني على ما كتبت.. وأحياناً كثيرة لا أرضى، فتكون سلة القمامة هي المكان الأخير لما كتبت.

أما عن موقعي على خارطة الأدب الفلسطيني، فأنا لا أعرف.. هو الزمن فرامة لا ترحم.. أدعو الله أن أنجو من هذه الآلة التي لا تجامل.

■ **في رواية (حجر الزار) حلمتِ أن المخيم عاد كما كان، مع أهازيج الفرح والسعادة والبناء، وعودة الأبناء، وتصالح المخطئين مع من أخطؤوا في حقهم. لو تحقق هذا الحلم، هل كنت ستعودين إلى المخيم؟ وما أول شيء كنت ستفعلينه؟**

حلمت أن يعود المخيم كما كان... حلمت أن تأتي الجرافات وتحمل الردم والهدم.. حلمت كثيراً بالأيدي المسالمة بالنفوس الحرة بالقلوب النظيفة أن تعود وتبني المخيم من جديد.. ليس المخيم وحسب بل كل وطني ونبض قلبي سوريا، وسوف تكون الأيام القادمة أجمل.. تجبرنا الأقدار أحياناً على الرحيل لكن ربما أعود إلى اليرموك، وإن لم أستطع العودة سيظل قلبي هناك ..

الأدب والفنون الفلسطينية
الهوية والذات في حوار مفتوح مع العالم

أحمد طنيش - المغرب

يُعدّ حوار الذات في الأدب الفلسطيني موضوعًا شائكًا ومتعدد الأوجه، لأنه لا ينفصل عن التجربة التاريخية القاسية التي عاشها الشعب الفلسطيني منذ النكبة، ولا عن واقع الاحتلال المستمر بأشكاله المتعددة. فالأدب الفلسطيني لم يكن يومًا ترفًا لغويًا أو تمرينًا جماليًا معزولًا، بل كان ولا يزال كتابةً تثبت الذات في تعددها، وصوتًا ذاتيًا وجمعيًا في آن واحد، يحمل صلابة المقاومة ورقّة الحنين، ويختزن تاريخًا كاملًا تشمّ فيه رائحة الأرض والليمون، وملح البحر، يعلوه تراب مقدس لمعالم القرى ومدن.

من نحن؟ ماذا نريد؟

تشكّل الأدب الفلسطيني بوصفه وسيلة مركزية للتعبير عن الهوية والذات، وساحةً مفتوحة لطرح الأسئلة الوجودية الكبرى: من نحن؟ ماذا نريد؟ وكيف نحيا في عالم يسعى إلى إنكار وجودنا؟ من هنا، تحوّل حوار الذات إلى فعل مقاومة رمزية، وكان الحضور الكبير أدبياً وإبداعياً يحتفي ويثبت جدارة الشرعية، بكتابة تسائل الذات الفردية وهي تعكس ذاتًا جمعية مثقلة بالفقد، لكنها مشبعة بالإصرار على البقاء والاستمرار، ويظهر هذا الحوار الذاتي بجلاء في تجارب كبار الكتّاب الفلسطينيين، شعراء وروائيين، الذين جمعوا بين الإبداع والنضال، وكتبوا نصوصًا لا تكتفي بتوصيف المأساة، بل تعيد بناء المعنى في قلبها. فقد أرّخوا للهوية الفلسطينية لا بوصفها معطًى ثابتًا، بل كمسار مفتوح على السؤال والتجدد، حيث تتقاطع الذاكرة الشخصية مع الذاكرة الجماعية، ويغدو النص مساحةً لإعادة تعريف الذات في مواجهة محاولات الطمس والاقتلاع، يقول محمود درويش في قصيدته لماذا تركت الحصان وحيدًا: «سأظل أكتب عنكِ حتى لو هجرني الدهر...» وهنا تتحول الكتابة إلى فعل مقاومة، والذات إلى حائط صد أمام محاولات النسيان.. ويبرز أيضًا صوت سميح القاسم في ديوانه سقوط الأقنعة، حيث يعلن: «لن أركع أمام الزمان... فالكلمة باقية».. أما غسان كنفاني، في رجال في الشمس، فيرصد حوار الذات مع الوطن المقتطع: «أين الوطن... إن لم يكن في القلب؟»

الرواية.. من الواقعية إلى ما بعد الكولونيالية

تجلّى التأثر بالواقعية النقدية والسرد الحداثي وما بعد الحداثي في الروايات الفلسطينية، التي جعلت الذاكرة والمنفى محورًا أساسيًا. في أعمال غسان كنفاني، مثل عائد إلى حيفا: «كل شيء تغيّر... إلا الحنين إلى ما فقدناه» حيث يتقاطع السرد الواقعي مع الرمز، ويتحوّل الحوار الداخلي إلى أداة لمساءلة الهزيمة والمسؤولية الفردية والجماعية، كما تبرز أعمال إميل حبيبي، في الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل: «الغرابة ليست في الواقع... بل فيمن يصر على إنكاره» حيث يصبح الأسلوب الساخر أداة لمقاومة الاستعمار والتهجير.

الشعر: الحداثة، الأسطورة، والكوني

في الشعر، تأثر الفلسطينيون بالشعر الحر والرمزية والحداثة الأوروبية. في تجربة فدوى طوقان، كما في ديوانها قصائد من المنفى:

«أحمل كل الأرض في قلبي... وكل القلب في كلماتي»

يظهر حوار الذات ككتابة مقاومة وفضاء سيري نفسي.

المسرح ومسرح الدمى: الجسد والرمز

كما انفتح المسرح الفلسطيني على الملحمي والتجريبي. في أعمال فرانسوا أبو سالم، مع المسرح الوطني الفلسطيني – الحكواتي، فنجد التقاء الحكاية الشعبية بالأساليب العالمية، حيث يعلن النص: «كل حركة وكل صوت يحمل ذاكرة الأرض» وكان مسرح الدمى ايضاً وسيلة لإيصال القصة الفلسطينية للأطفال والكبار، مستفيدًا من تقاليد الحكواتي ومسرح الظل.

السرد بالصورة والصمت

تأثرت السينما الفلسطينية بالواقعية الجديدة والسينما التسجيلية. في أفلام ميشيل خليفي، مثل عرس الجليل: «القرية تحكي أسرارها لكل من يعرف أن يستمع»، في حين يستخدم إيليا سليمان في «يد إلهية والزمن الباقي» الصمت والإيماءة لنقل اغتراب الذات الفلسطينية.

من القصيدة إلى اللحن

في الموسيقا تلاقحت القصيدة الفلسطينية مع أنماط عالمية على قصائد درويش، مثل: فرقة صابرين، ومرسيل خليفة وقد خلقوا ألحانًا تجمع بين التراث والحداثة: «الكلمة تتحوّل لحنًا... واللحن يحكي الوطن».

النص خارج اللغة

في الفنون التشكيلية، تظهر أعمال إسماعيل شموط وتمام الأكحل النكبة والمنفى بصريًا. وفي التعبير الجسدي والرقص المعاصر، يتحوّل الجسد إلى نص مكتمل حين تعجز اللغة، مستفيدة من مدارس الرقص التعبيري العالمي لنقل الذاكرة الفلسطينية.. وبالعموم الأدب والفنون الفلسطينية، في الرواية والشعر والمسرح والسينما والموسيقا والفنون البصرية والتعبير الجسدي، لم تنغلق على الذات، بل دخلت في حوار مستمر مع العالم وقد ظل الإبداع الفلسطيني فعل مقاومة وذاكرة حيّة، يواجه المحو ويحافظ على حضور الهوية، في حوار دائم بين الذات والجماعة، وبين الواقع والتأثير العالمي.

غسّان كنفاني:

الاستثناء بوصفه معياراً قيميّاً يتجاوز التصنيف

حامد محضاوي - كاتب وناقد تونسي

غالبًا ما تُقرأ الشخصيات الثقافية الكبرى ضمن تصنيفات جاهزة: كاتب، صحفي، مناضل، أو رمز قومي. غير أنّ هذا المنطق التصنيفي - على الرغم من فائدته الإجرائية - يتحوّل في حالات بعينها إلى عائق معرفي؛ إذ يُخضع التجربة الغنية لمنظور اختزالي، ويستبدل تحليل المعنى بتثبيت العنوان. وتبدو تجربة غسّان كنفاني (1936–1972) من أكثر التجارب العربية التي تُقاوم هذا الاختزال؛ لأنّ كنفاني لم يكن مجرّد صاحب منجز في حقل محدّد، بل كان حالة مركّبة تداخل فيها الوجودي بالسياسي، والجمالي بالفعل، والفكرة بالحياة.

ينطلق هذا المقال من فرضية مركزية مفادها أنّ غسّان كنفاني لا ينبغي أن يُقرأ بوصفه «أديباً فلسطينيًا» أو «مناضلاً سياسياً فحسب، بل بوصفه معياراً قيمياً لإعادة تعريف الشخصية العامّة في السياق العربي الحديث: أي نموذجاً يتحقّق فيه تلازم التجربة الإنسانية، والوعي التاريخي، والانتماء العملي، والرافد الفني. ومن هنا، يصبح «الاستثناء» عند كنفاني ليس لقباً بل بنية أخلاقية وجمالية ومعرفية تتجاوز إمكانات التصنيف.

نقد التصنيف السطحي وإعادة الاعتبار للمعنى

يُنتج التصنيف السطحي في قراءة كنفاني أثرين سلبيين: الأوّل أنّه يختزل التجربة في صفة واحدة (كاتب/ مناضل)، والثاني أنّه يختزل القيمة في «الشهرة» أو « الرمزية» بدل أن يُقيمها على معيار التحوّل في الوعي. فالقول إنّ كنفاني «أديب ملتزم»- مثلاً- عبارة صحيحة لكنّها عامّة، ويمكن أن تنطبق على طيف واسع من الكتّاب العرب. أما السؤال الحقيقي فهو: ما الذي يجعل كنفاني يتجاوز نمط «الأديب الملتزم» نحو تأسيس شكل مختلف من الالتزام؟

الجواب يكمن في أنّ الالتزام عند كنفاني ليس «موقفاً خارجياً» يُضاف إلى النص، بل هو نظام إنتاج للمعنى داخل بنية السرد ذاتها. لذلك، لا يمكن فصل الأدبي عن السياسي في أعماله دون تشويهها. وهذا ما يفسّر أنّ نصوصه لم تُقرأ بوصفها أدباً دعائياً، بل بوصفها أدباً معرفياً ينتج أسئلته عبر الفن لا عبر الشعارات.

التجربة الإنسانية بوصفها أصلاً تأسيسياً للكتابة

يتأسّس منجز كنفاني على تجربة الاقتلاع الفلسطيني منذ الطفولة: الخروج القسري، المخيم، الترحال، وفقدان المكان بوصفه فقداً للزمن والهوية. غير أنّ كنفاني لا يستثمر هذه التجربة كخلفيّة عاطفية، بل يحوّلها إلى بنية سؤال: سؤال عن الإنسان حين يُجرّد من وطنه، وحين يصبح البقاء ذاته مشروطاً بالمذلّة أو الصمت.

في رواية «رجال في الشمس» (1963)، يُجسّد كنفاني مأساة الفلسطيني لا بوصفه ضحيّة فحسب، بل بوصفه كائناً محاصراً بين وهم النجاة وواقع الإبادة البطيئة. وتنتهي الرواية بالسؤال الشهير: «لماذا لم يدقّوا جدران الخزّان؟» وهو سؤال يتجاوز الحبكة إلى مساءلة بنية الصمت ذاتها: صمت الضحية، صمت العالم، و«صمت الوسيط» الذي يقدّم النجاة مقابل التخلّي عن الكرامة. وقد رأى عدد من النقاد أنّ هذا السؤال يشكّل أحد أهم مفاصل الأدب الفلسطيني الحديث، لأنّه يحوّل السرد إلى إدانة رمزية لمنطق الموت الصامت.

بهذا المعنى، تصبح التجربة الإنسانية عند كنفاني معيارًا لا للتعاطف، بل لإنتاج معرفة تاريخية: معرفة تقول إنّ المأساة ليست في الموت وحده، بل في أن يُعاد إنتاج الموت داخل شروط الحياة اليوميّة.

من الوعي إلى الفعل: الانتماء بوصفه تطبيقاً لا إعلاناً

الميزة الثانية التي تمنح كنفاني صفة الاستثناء هي أنّ الانتماء لديه ليس «هوية خطابية»، بل ممارسة تتطابق فيها الكلمة مع الفعل. كنفاني لم يكتب عن فلسطين من مسافة، ولم يقدّم نفسه بوصفه مثقّفاً يعلّق على الأحداث، بل بوصفه جزءاً من صيرورة تاريخية يكتب داخلها ومن أجلها.

يتجلّى هذا المعنى بوضوح في «عائد إلى حيفا» (1969) التي لا تقدّم العودة بوصفها استعادة رومانسية للمكان، بل بوصفها صدمة أخلاقيّة: إذ يواجه الزوجان الفلسطينيان فكرة أن ابنهما الذي ضاع في النكبة قد أصبح جزءاً من سردية الآخر. هنا يضع كنفاني القارئ أمام سؤال بالغ القسوة: هل الوطن هو البيت؟ أم الذاكرة؟ أم الحق التاريخي؟ أم القدرة على استعادة المعنى؟

إنّ الرواية لا تكتفي بإدانة الاحتلال، بل تُربك البنية العاطفية نفسها، وتُجبر القارئ على الانتقال من «المظلومية» إلى «المسؤولية».

ومن هنا يمكن القول إنّ كنفاني يمارس ما يمكن تسميته «الأدب بوصفه اختباراً للوعي»: فالنص عنده ليس خطاباً يطمئن القارئ، بل أداة صادمة تُعيد تشكيل إدراكه للقضية.

الرافد الفني: الجمال بوصفه إنتاجاً للثورة لا زينة لها

قد يبدو للوهلة الأولى أنّ كنفاني يكتب أدباً «سياسياً» بالمعنى المباشر. غير أنّ قراءة بنية أعماله تكشف أنّه ينجح في تحويل السياسي إلى جمالي، دون أن يفقد النص صلابته. فالجمال عنده ليس زخرفة لغويّة، بل هندسة دلالية تخلق معنى الثورة من داخل اللغة.

في «أم سعد» (1969) تتجسّد هذه الفكرة بوضوح. الشخصية الشعبية ليست مجرّد «رمز»؛ إنّها إعادة تعريف لمعنى البطولة خارج النخبوية. إنّ أم سعد ليست مثقّفة ولا سياسية، لكنّها تحمل في جسدها اليومي معنى الصمود. وهنا يتجاوز كنفاني التمثيل النمطي للشعب بوصفه مادّة للشفقة أو البطولة السهلة، ليجعله حاملاً للمعنى التاريخي.

كما أنّ كنفاني يشتغل على بنية الاستعارة الرمزية دون الوقوع في المباشرة:

الخزّان في «رجال في الشمس» ليس مكاناً فقط بل نظاماً.

الصحراء ليست جغرافيا بل عراء وجودي.

العودة في «عائد إلى حيفا» ليست حركة بل امتحان أخلاقي.

وهذا ما يجعل أعماله قابلة للقراءة في مستويات متعددة: سياسية، وجودية، وجمالية في آن.

ضدّ النخبوية: الزخم الحركي والاعتبار الشعبي

الاستثناء في تجربة كنفاني لا يقتصر على النصوص، بل يشمل موقعه الثقافي. فهو لم يكن «مثقّف صالونات»، ولم يكتف بتأثيث المنابر أو صناعة صورة الكاتب الثوري. بل كان حاضراً في صلب المعركة الرمزية، حيث تتحوّل الكلمة إلى جزء من الفعل التاريخي.

هنا تبرز أهمّية كنفاني في إعادة تعريف «المثقّف» في السياق العربي: المثقّف ليس من يملك اللّغة فحسب، بل من يجعل اللّغة ساحة مقاومة. وهذا ما يفسّر أنّ كنفاني كان أيضاً ناقداً ثقافيّاً، وكتب عن الأدب الصهيوني، وعن البنية الدعائية للثقافة الاستعمارية، محاولاً تفكيك خطابها لا الاكتفاء بإدانته (كنفاني، في الأدب الصهيوني، 1967).

إنّ هذا الجانب التحليلي في منجزه يمنحه عمقاً إضافياً: فهو لم يكتب فقط عن الذات الفلسطينية، بل كتب أيضاً عن الآخر بوصفه بنية خطابية ينبغي تفكيكها.

«الفكرة لا تموت»: الاستثناء بوصفه حياة مكتملة

حين يُقال إنّ غسّان كنفاني تجسيد لمقولة «الفكرة لا تموت»، فإنّ ذلك لا يُفهم بوصفه شعاراً عاطفيّاً، بل بوصفه نتيجة منطقية لبنية حياته نفسها: حياة تتطابق فيها التجربة مع الفكرة، والفكرة مع الفعل، والفعل مع الثمن.

لقد اغتيل كنفاني عام 1972، لكن أثره لم يتوقّف؛ بل تضاعف. وذلك لأنّ الاستثناء الحقيقي لا يُقاس بزمن صاحبه، بل بقدرته على البقاء في الوعي الجمعي بوصفه معياراً. فالكتابة التي تُنتج معنى لا تموت، لأنّها تتحوّل إلى جزء من الذاكرة الأخلاقية للجماعة.

ولعلّ ما يميّز كنفاني هنا أنّه لم يترك إرثاً أدبياً فحسب، بل ترك نموذجاً للإنسان حين يصبح المعنى حياة. ولهذا يصعب تكراره: لأنّ الاستثناء لا يُصنع بالتقنيات، ولا بالتسويق الرمزي، ولا بالانتماء الشكلي.

يُظهر تحليل تجربة غسّان كنفاني أنّه يتجاوز التصنيف بوصفه «أديباً» أو «مناضلاً» إلى موقع أكثر تركيباً: موقع المعيار القيمي الذي يعيد تعريف الشخصية العامّة في الثقافة العربية الحديثة. فقد جمع كنفاني بين التجربة الإنسانية المؤسّسة، والوعي التاريخي، والانتماء العملي، والرافد الفني الذي يجعل اللغة جزءاً من الفعل لا تابعاً له، إضافة إلى الزخم الحركي الذي يرفض النخبوية ويؤسّس لمعنى الشعب بوصفه حاملاً للحق.

إنّ كنفاني لا يُقرأ بوصفه اسماً في تاريخ الأدب الفلسطيني فقط، بل بوصفه نموذجاً معرفياً وأخلاقياً وجمالياً يفرض على القارئ سؤالاً دائماً: كيف تتحوّل الفكرة إلى حياة؟ وكيف تصبح الكتابة مقاومة دون أن تفقد جماليتها؟

بهذا المعنى، يصبح الاستثناء عند كنفاني ليس حالة فردية معزولة، بل درساً في معنى أن يكون الإنسان «أكبر من التصنيف».

فالاستثناء لا يتكرّر.

الدراما الرمضانية العربية وحرب الإبادة على غزة

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي من فلسطين ـ سورية

مع حلول شهر رمضان المبارك، تقفز تساؤلات عديدة إلى ذهن المواطن العربي المنتبه: ماذا ستقدم الدراما العربية في هذا الشهر؟ وعلامَ سيكون الصراع بين الدراما السورية والمصرية والخليجية؟ وهل سيكون ثمة حضور للإبادة في غزة؟ وهل سيكترث أحدٌ من صنّاع الدراما لدماء أطفال غزة فيحكي عن هند رجب وأخواتها في هذه الدراما؟ هل هناك مادة حية ومؤثرة توازي في الإقناع والحضور ما يحدث في غزة والمنطقة؟ أية مادة درامية متخيلة تعادل ما جرى ويجري؟ أم أنّ مصير غزة في رمضان هذا العام سيكون التجاهل من طرف الدراما العربية جرياً على سنة العامين المنصرمين؟ ولا ندري ما سيكون عليه حال الدراما العربية في هذا الرمضان بل نخشى أن يكون مشابهاً لما سبقه من رمضانات؟

أمام مشاهد الدم، والإبادة التي يتعرض لها الفلسطيني في قطاع غزة منذ أكثر من عامين، تجاهلت الدراما والسينما والمسرح والفن العربي سيل الدم المتدفق، في سبيل عرض قضايا هامشية، وكان المهم هو إشغال العقل العربي بما يجنّبه الخوض أو الحديث عن احتلال «إسرائيل» مزيداً من الأراضي الفلسطينية واللبنانية والسورية، الأمر الذي يعبّر عن إشكالية الهوية والانتماء لدى النظم الشمولية وأقطاب المؤسسات الإعلامية العربية الكبرى، وهو ما كان قد عبّرت عنه الصحفية الصهيونية (سمدار بيري) التي أعربت عن سعادتها بعدما اطلعت على مضمون سبعة وثلاثين عملاً عُرض في رمضان الماضي، فلم تجد أياً منها يتحدث عن الإبادة الجارية في فلسطين أو لبنان، لتعلن فرحتها بهذا التحول الكبير.

وفي العودة إلى تاريخ الدراما العربية، فإنها كانت قد شرعت منذ بداية الحروب مع الاحتلال الصهيوني في إظهار طبيعة الصراع ومدى وحشية العصابات الصهيونية المدججة بالحقد، وسلوكها الإجرامي بحق المدنيين والأسرى كما في أفلام عدة صارت تزرع في وعي المواطن العربي مدى أهمية الحروب الاستخبارية ضد الاحتلال من خلال العديد من الأفلام والمسلسلات التي أُنتجت مما لا يمكن حصره في هذا المقام (رأفت الهجان على سبيل الذكر). إلا أنه ومنذ ما يزيد عن عقد من الزمن، انحسرت الأعمال الأدبية والفنية التي تناقش القضية المركزية الجوهرية المتمثلة في القضية الفلسطينية، للخوض في قضايا الحياة اليومية للمواطن العربي، إذ تم إلهاؤه بجدليات هامشية في سبيل نسيان الواقع المزري الذي يعيشه أخوة اللغة والعِرق والتاريخ والدين والهوية، كما تم التركيز بشكل كبير على الدراما والسينما التي تناقش الثورات وأسبابها وتداعياتها بشكل يروق للمنتج أو الجهة التي ترعى تلك الأعمال، لأجل خلط الحابل بالنابل، وصولاً إلى مرحلة مؤلمة من تاريخ الفن العربي، حيث بدأ كثير من المنتجين يذهبون إلى إنتاج أعمال تدعو إلى التطبيع مع الاحتلال وتجاهل الكارثة الفلسطينية، في أعمال أثارت الجدل لأنها حاولت إظهار جانب أخلاقي لهذا الاحتلال الإحلالي أو (شيطنة الفلسطيني (يقف في مقدمة تلك الأعمال المسلسل الخليجي «أم هارون» الذي قامت بإنتاجه قناة MBC عام 2020) في محاولة لتدجين الوعي والروح العربية من أنّ اليهود أخوة وأصدقاء يمكن التطبيع معهم، علماً أنّ القناة ذاتها هي التي أعدّت جملة تقارير تسعى لتشويه صورة المقاومة بل وتحقير رموزها إبّان حرب الإبادة. بالإضافة إلى بعض الأفلام الوثائقية والمقابلات التي أجرتها بعض وسائل الإعلام العربية مع شخصيات صهيونية سمحت بإعطاء مساحة كبيرة للدعاية الصهيونية، وكأن القائمين على تلك القنوات والمنتجين والفنانين يسعون لنيل رضى الصهيو-أميركي من أجل الحصول على جائزة هنا أو المشاركة في فيلم عالمي هناك.

إعادة تشكيل الأعداء

لقد كشفت الحرب الإجرامية على غزة زيفَ كثير من القضايا والمفاهيم وكذلك الأفراد، إذ لم تعد المعركة مع مشروع «إسرائيل» الكبرى محصورة بالسلاح أو الجيوش، بل تسللت إلى وعي أبنائها في محاولات حثيثة للسيطرة على العقل العربي من خلال صهينة التفكير وإعادة تعريف المفاهيم وكذلك إعادة تشكيل الأعداء، ففي زمن الهزائم الكبرى يصبح الوعي هو ساحة المعركة الحقيقية، وإنّ احتلال العقول يشكل الخطر الأعظم للأوطان، إذ لا يمكن للأرض أن تتحرر طالما عقول أبنائها محتلة؛ وهنا تبدأ السيطرة من خلال استغلال أدوات التكنولوجيا الحديثة لغزو الوعي فتبدأ السيطرة على وسائل الإعلام التقليدي والرقمي، ثم تنحو باتجاه صناعة الدراما وصولاً إلى توجيه نشطاء الإعلام نحو قضايا ذات أبعاد هامشية، من خلال استغلال الدراما والسينما والمسرح، وإعادة صياغة الخطاب الديني والسياسي بل وحتى الاقتصادي. وقد أشار

بعض المراكز البحثية في الغرب مؤخراً بأنّ الاهتمام بالقضية الفلسطينية تراجع إلى ما نسبته 75% على صعيد وسائل الإعلام العربي كافة، كما ويمكن مقارنة تغطية الحرب الإسرائيلية على غزة عام 2014 مثلاً والإبادة التي تتعرض لها غزة اليوم، كي ندرك كيف يتم توجيه الشارع العربي؟ وفي الوقت ذاته، تمكن ملاحظة تركيز بعض وسائل الإعلام على إظهار الفلسطيني بأنه بحاجة إلى مساعدات إنسانية لا غير، مع تغييب خطاب التحرر الوطني وحق العودة، في الوقت الذي تقود فيه ذات المؤسسات والشركات الإعلامية حملات شرسة لتبرير الإبادة وتحميل المقاومة المسؤولية عن كلّ الدماء التي تُراق في فلسطين.

ولعل خطاب السلام الزائف الذي تحاول بعض الدراما العربية أن تقدمه، يؤكد العمل الحثيث على كي الوعي للمواطن العربي المضطهد من أجل القبول بدولة الاحتلال في المنطقة، وهذا يوضح إلى أي حال وصلت الأنظمة الشمولية التي تدير التطبيع الإعلامي والثقافي والفني بالإضافة إلى التطبيع الأكاديمي، وهو ما يؤكد أنّ العمل يجري على قدم وساق لصهينة العقل العربي، وأنّ التدخلات والمحاولات مستمرة من أجل إعادة كتابة السردية التاريخية بشكل كاذب، بحيث يظهر الاحتلال كشعب مسالم يؤمن بالآخر، ويسعى إلى صناعة السلام مع دول الجوار، في الوقت الذي يقود فيه هؤلاء حملات شعواء ضد المقاومة؛ يبرز ذلك من خلال مشاريع تزييف الوعي تحت بند التطبيع الفني حيناً والتطبيع الديني الذي تديره منظمات صهيونية بمشاركة شخصيات دينية عربية في أحيان أخرى، وما حوار الحضارات والثقافات عن ذلك ببعيد.

وأمام كلّ ما يقوم به مثقفو الأنظمة الشمولية المتماهية مع الاحتلال ونخبها المهترئة الذين لا يهاجمون فلسطين بشكل فجّ، لدسّ السمّ في العسل، ولا يلومون الاحتلال أو يحملونه مسؤولية الدمار والإبادة، لكنهم يحاولون إظهار قوة الاحتلال الفكرية والثقافية والتكنولوجية وكذلك الأمنية، كجزء من كي الوعي وإرهاب المواطن العربي وتغييبه عن ضعف هذا الجسم الوظيفي الطارئ، فنجد بعض «المهزومين» فكرياً وثقافياً في أوساط المثقفين العرب الذين يطالعوننا ليل نهار بمقالات ومقابلات ومواقف على الإعلام ضد المقاومة وضد ثقافة المقاومة تحت ذريعة أنّ الحرب دمّرت غزة والضفة ولبنان وتحت ذريعة حماية المدنيين، وهذا بالضبط هدف العدو من التدمير وقتل الأبرياء أن يخرج هؤلاء ويلقون باللوم على المقاومة عوضاً من تحميل المسؤولية للعدو الذي يقتل ويدمّر، ويتناسى هؤلاء أنّ المنازل التي تدمّر هي منازل أهل المقاومة وحاضنتها، وبعض هؤلاء «المهزومين» كانوا طوال الوقت يشكّكون بالمقاومة سواء في غزة أو سواها، ويستمر هؤلاء المهزومون في مهاجمة المقاومة، فبعض هذه الأقلام مأجور وبعضها الآخر متآمر على وطنه والبعض الآخر مدفوع بعصبية طائفية عمياء دون أن يفقه شيئاً. وهذا كلّ ما يريده العدو أن تنشط وتستمر هذه الأقلام في الترويج لسرديته المسمومة التي تخدم مشروعه من حيث تدري أو لا تدري، والأرجح أنّ بعضها يدري، والأخطر وجود ثلة أخرى من هؤلاء «المهزومين» تلتزم الصمت وتختفي من المشهد بشكل كامل وتصمت أقلامها، وبعضها الآخر يكتب ويدوّن أشياء كأنه يعيش على كوكب آخر متجاهلاً كلّ ما يحدث في انتظار انتهاء المعركة.

دراما الضد

إنّ مقاومة صهينة الوعي اليوم هي أول الطريق نحو مقاومة هذا الاحتلال، ويمكن تحقيقها من خلال الإعلام والأدب والفن والسينما والمسرح وكلّ أشكال التعبير الأخرى، وكذلك من خلال الخطاب الديني المتزن الذي يؤمن بالتعددية المذهبية والفكرية داخل جسم الأمة العربي والإسلامي؛ لأنّ الاحتلال الإحلالي بكافة أدواته لا يتوقف عن غسل أدمغة جيل الشباب، للزجّ بهم في أتون معارك جانبية، للابتعاد عن مقدرات السيطرة التي يسعى الاحتلال الصهيوني بوصفه دولة وظيفية في منطقتنا إلى امتلاكها، وهنا يجب الانتباه جيداً إلى تغيير الأولويات الإعلامية التي ركّزت على الخلافات الطائفية والحروب الأهلية، في الوقت الذي يتم فيه إغفال القضية الفلسطينية، بل وربما شيطنتها ووصم مقاومتها بالإرهاب. إنّ كلّ هؤلاء المتصهينين بحاجة إلى وقفة حقيقية من خلال صدّهم ومحاربتهم وكشف زيفهم بذات الأدوات والفعل، ولا يمكن لذلك أن يحدث إلا من خلال إعادة بناء الخطاب الثقافي الإعلامي الفلسطيني الذي يشرعن المقاومة وينبذ كلّ من يعاديها، ثم كشف النوايا الحقيقية للجهات الداعمة لهؤلاء المتصهينين وفضحهم، ثم استثمار وسائل الإعلام كافة لرفض التطبيع الذي يتم تحت شعار الدين الإبراهيمي، وإلا فإنّ مشروع تفكيك الهوية العربية وتفجير الخلافات الداخلية قادم لا محالة، وسيدفع ثمنه الجميع.

وعلى مرّ التاريخ من الصراع مع العدو شكّلت المقاومة على مختلف مشاربها ومنابعها هوية إنسانية اكتسبت احترام كلّ أحرار العالم وبرزت رموزها من خلال شخصيات عظيمة دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ليس لأنها شخصيات عظيمة بذاتها بل لأنها تحمل قضية إنسانية عظيمة عاشت وماتت لأجلها، في المقابل لا يتوقف العدو عن تحديث أساليبه ووسائله لطمس سردية المقاومة خلف سرديته الكاذبة التي يتوجه بها لمخاطبة الجمهور العالمي، لكنه فشل في الحرب الأخيرة فشلاً ذريعاً، وبات العالم بأسره يعرف حقيقة هذا الكيان المحتل، وليس أدلّ على ذلك ما شهده العالم من تحركات وتظاهرات عارمة في مختلف أنحاء المعمورة؛ وبالتالي فإنّ شعوب العالم تعي ما يحدث وتعرف أنّ المقاومة في غزة لا تواجه جيشاً يعترف بالقوانين الدولية للحرب بل تواجه وحشاً مسعوراً هائجاً بكلّ معنى الكلمة، يرتكب أفظع المجازر التي لم تشهد الإنسانية لها مثيلاً على الإطلاق وهذا ما لن تقبله شعوب العالم وسيكون لذلك تداعيات كبيرة في المستقبل على الكيان.

إنّ الأمة بحاجة إلى مثقف وأديب وفنان يدفع عمره ثمناً لقضاياه العادلة، وماتزال مقولة: إنّ المثقف هو أول من يقاوم وآخر من ينهزم، صالحة لكلّ زمان، وعلى المقاومة أن تستمر بثقافتها التي تترفع عن الأحقاد وتمضي إلى هدفها الأسمى متسلحة بالحق والإيمان والصبر، ولتكن الحياة دون ذلك لهؤلاء «المهزومين» الأذلاء الذين لا يعرفون معنى العيش بعزة وكرامة. ويبقى السؤال الجوهري قائماً هنا: أين المثقف والفنان الملتزم بقضايا أمته، الساعي نحو التأثير والتغيير للأفضل؟ أين الدراما العربية البديلة التي تنقل الإبادة في غزة وتضع في مقدمة أعمالها دم الأطفال والنساء وكلّ الأبرياء؟ أين الدراما التي ترفض الخنوع وتحاول الصراخ في وجه دعاة التطبيع مع عدو الإنسانية؟ لتكرّس وتبلور رواية ثقافة المقاومة التي تتشكّل في مسارات متعددة من الاشتباك الثقافي والفني والفكري والإعلامي.

الحكاية الشعبية الفلسطينية
من الحكايات الخرافية إلى حكايات المقاومة

أمينة عباس- صحفية سورية

لم يكن إدراج الحكاية الشعبية الفلسطينية بشكلها السردي كأحد عناصر التراث الثقافي غير المادي للإنسانية لدى منظمة اليونسكو ضمن القائمة التمثيلية في عام 2008، واعتبارها واحدة من روائع التراث الشفهي وغير المادي للإنسانية، إلا شهادة دولية وعالمية تبرز قيمتها الإنسانية والفنية وأهمية المحافظة على هذا التراث الفلسطيني الثقافي الشفهي وتوثيقه عالمياً، وهو الذي يؤكد أن الشعب الفلسطيني شعب متجذر عريق، وصاحب تراث أصيل.

سرد شفهي ينسجه الخيال

تعتبر الحكاية جزءاً من التراث اللامادي الفلسطيني، وكانت خطوة إدراجها على قائمة اليونسكو أمراً ضرورياً لحماية التراث الشعبي الفلسطيني من الضياع، لأن ضياعه يعني فقدان الهوية، وحرمان أبنائنا من معرفة تراثهم من خلال توثيق ما هو محفوظ في ذاكرة المعمِّرين قبل رحيلهم، وهي دعوة لأبناء الشعب الفلسطيني لحفظ تراثهم وحكاياتهم لتبقى ذاكرتهم لوطنهم حية. وتنتمي الحكايات الشعبية الفلسطينية للفنون القولية، وهي تحتل المكانة الأهم في الأدب الشعبي، وهي سرد شفهي لقصص ينسجها الخيال الشعبي، كانت تمارسه في الغالب النساء الفلسطينيات كبيرات السن، وعادة ما كان يتم سردها باللهجة الفلسطينية في المنزل خلال أمسيات الشتاء أمام مجموعات صغيرة من النساء والأطفال، بقدرة تعبيرية عالية لتشكيل صورة مرئية خيالية عن الأحداث عبر التأكيد وإيقاعات الكلام والتصريفات الصوتية لنقلهم بنجاح إلى عالم الخيال، وقد يروي راوٍ الحكاية نفسها أكثر من مرة، وفي كل مرة تختلف عن سابقتها.

العراقة

ويرى الباحثون أن أهم سمات الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني العراقة، أي أنها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف، ثم الانتقال بحرية من شخص لآخر عن طريق الرواية الشفوية، وأخيراً المرونة التي تجعلها قابلة للتطور في الشكل والمضمون تبعاً لمزاج الراوي أو مواقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية. وقد أجمعت المصادر على أن هذه الحكايات متوارثة من قديم الزمان، منها ما هو عمره 3 – 4 آلاف سنة ومنشؤها يعود إلى وسط آسيا بين الهند شمالاً والصين، ومن ثم جاءت من هناك للشرق الأوسط، ومن ثم ذهبت بدورها لأوروبا ومن ثم أفريقيا، وهي متشابهة من بلد إلى بلد، لكن الفرق مرتبط بنكهة الحكي والقص.

الحكايات الخرافية

تتنوع الحكايات الفلسطينية وتشتمل على قيم عدة: اجتماعية، وجمالية، وثقافية، وتتشابه مع بعض الحكايات الأوروبية واليونانية القديمة، ويأتي في مقدمة هذه الحكايات القصص الخرافية التي تتميز بطابعها السحري وغير الواقعي، وهي تركز على الصراع بين الخير والشر، واستخدام السحر، والحديث عن العلاقات العائلية. وتروى بطريقة مسلية، يبدأ بها الراوي بالقول «كان يا ما كان في قديم الزمان» دعوة منه لترك الواقع، وينهيها بإعادة المستمع إلى الواقع قائلاً «هاي حكايتي حكيتها وعليكو رميتها» للتأكيد على أن الحكاية غير الحقيقة. وتطرح هذه الحكايات قضايا مجتمعية وحياتية، وهي تعبر عن الصراع الذي يدور داخل العائلة العربية الممتدة، حيث تقدم توصيفاً للخلافات الاجتماعية وكيفية إدارتها وحلها داخل إطار العائلة الفلسطينية، وتمتاز هذه الحكاية بابتعادها عن الواقع في شخوصها الهوائية التي لا أبعاد لها، ولا وصف، فهي قد تتخذ الشكل الإنساني، ولكنها تبتعد

عنه إلى عالم موازٍ، له مقاييسه وأطره المختلفة، فهو عالمٌ خاص لا حدود ولا أبعاد له، كما أنها تمتلئ بالقوى الخارقة والغيبية، وأحداثها تمتد أو تقصر حسب سير البطل، إذ أن البطل هو محور الحكاية وليس الحدث، فالحدث يذكر لأنه ذو صلة وثيقة بالبطل. والحكاية الخرافية تخدم غرضاً نفسياً واحداً هو الكشف عن تجارب اللاشعور، وصراعه مع الشعور من أجل الوصول بالإنسان إلى شخصيته الكاملة.

أشهر الحكايات الفلسطينية الخرافية

حكايات الغول

احتل الغول جزءاً كبيراً منها، وللغول أهمية كبيرة في الدراسات الشعبية والوجدان الشعبي، «فهو قوة غامضة مضطربة، تتراوح بين البطش الخارق أحياناً، وبين الطيبة المسببة باستعلاء وتفوق ذلك البطش أحياناً أخرى، وقد تصل هذه المراوحة المرعبة إلى شكل ثالث أشد إيلاماً وشذوذاً يأخذ صورة «التلاعب» بالإنسان وإخضاعه لحال من الهزء والسخرية والذعر مما يكون ذروته الجنون». ويبدو التصور الشعبي للغيلان على هيئة بشرية متوحشة، فهي تأكل وتتكلم وتحب وتكره، إلا أن شكلها يبدو مرعباً، بشعر كثيف وأظافر طويلة جداً، وحجم ضخم، وعيون لامعة، وقدرة فائقة على الحركة والدهاء والمعرفة غير المحدودة. وهناك حكايات فلسطينية كثيرة تتحدث عن (الغول) وعلاقته بالإنسان، مثل حكاية (الحطاب والغولة) وحكاية (أم بدور والغول) و»سرايا بنت الغول» التي تتحدث عن غول خطف فتاة صغيرة تبناها وأسكنها قصره المشيَّد في أعالي جبل ما. الفتاة الصغيرة التي كانت مشهورة بامتلاكها جدائل طويلة ظلّ ابن عمها يبحث عنها في البراري منادياً إياها: «سرايا، يا بنت الغول، دلّي لي شعرك لأطول»! فسمعته، ثمّ دست مخدِّراً في شراب الغول فنام، فمدّت جديلتها لابن عمها فصعد عليها ثمّ انسلت معه وعادت إلى قريتها. وقد كتب الأديب الفلسطيني إميل حبيبي رواية مستوحاة من هذه القصة حملت عنوان «سرايا بنت الغول» نُشرت لأول مرة في عام 1991 متناولاً فيها موضوعات الهوية الفلسطينية والمعاناة في ظل الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة، وهي آخر أعماله الروائية المنشورة في حياته.

نص نصيص

ومن أهم الحكايات التي روتها الجدات والأمهات لأبنائهن الصغار في جلسات المساء «نص نصيص»، حيث تبدأ الحكاية الفلسطينية عندما تزوج 3 إخوة في يوم واحد، وقد رزق اثنان منهم «بالصبي»، ولم يرزق الثالث، وبقيت زوجته في حزنها حتى سمعت في يوم ما بائعاً متجولاً يبيع تفاحاً على حماره وينادي «دوا للحبل»، فاشترت تفاحة لكن زوجها الذي عاد للبيت جائعاً أكل نصفها ولم يتبق لها سوى النصف. مرت الأيام وحملت وأنجبت صبياً صغير الحجم سموه «نص نصيص»، والذي كبر وأصبح رغم حجمه الصغير جداً أقوى وأذكى من أبناء أعمامه.

جبينة

تتحدث عن امرأة حامل ترى قرص جبنة أبيض، فتنجب ابنة بيضاء مثله، فتكيد لها العبدة، وتعمل على طلاء وجهها بتراب أسود لتحولها إلى عبدة، وتطلي وجهها باللون الأبيض. وبعد فترة يتزوج ابن السلطان العبدة، وجبينة صارت ترعى الغنم وتغني:

يا طيور طايرة ويا وحوش سايرة
قولي لامي وابوي جبينة صارت راعية
ترعى غنم وترعى نوق
وتقيّل تحت الدالية

وعندما سمعها ابن السلطان قرر أن يذهب إليها ليستمع لحكايتها، وعندما فعل فهم منها الحقيقة واللعبة التي قامت بها العبدة، فيترك العبدة ويتزوج جبينة التي تصبح سيدة القصر.

تحولات الحكاية بعد الاحتلال

بعد الاحتلال شهدت الحكاية الشعبية الفلسطينية تحولات عديدة، فلم يعد سردها للتسلية بل لتوثيق تفاصيل الحياة اليومية، مثل طقوس الزواج، الأغاني الفلكلورية، وأسماء الحقول والعيون، لإثبات أن الأرض كانت عامرة بالثقافة، فاستبدلت الحكايات الخيالية بقصص عن القرى المدمرة وحكايات العودة، وبالتالي لم تعد الحكاية الشعبية الفلسطينية انعكاساً للخيال الجمعي فقط، وإنما وسيلة لتناقل التجارب والمقاومة والنصر، لتصبح جزءاً من «الهوية السردية» وأداة للمقاومة الثقافية وتثبيت الهوية، حيث ركزت على الأرض، والعودة، والتمسك بالمفاتيح كرمز للحق، وصبر المظلوم مقابل تحدي المحتل. فاشتهرت قصص تعكس الواقع، مثل قصص العودة والمفاتيح حيث تداول المهجرون قصصاً عن بيوتهم ومفاتيحهم التي احتفظوا بها، تعبيراً عن يقينهم بالعودة. واستخدمت رموز القصص الشعبية الخرافية مثل قصص الغول للحديث عن المحتل الغريب الذي يجب التغلب عليه بالذكاء والشجاعة. بالإضافة إلى القصص الواقعية: مثل قصص الصمود في القرى التي هُدمت، أو حكايات عن شجاعة قادة الثورة، وقصص العودة والمقاومة حيث تركزت حول «عنترة الفلسطيني» واستخدمت حكايات جحا للتهكم والسخرية من المحتل.

حكاية ظريف الطويل

ومن أهم حكايات الشجاعة والمقاومة حكاية ظريف الطويل حيث تقول الحكاية:

كان «ظريف الطول» قوياً صارماً، ألهب قلوب الصبايا بوسامته وخصاله النبيلة، لكن «ظريف الطول» كان مشغولاً بشراء البنادق للدفاع عن قريته ضد هجوم العصابات الصهيونية. وفي كل معركة يخوضها كان يغيب لشراء البنادق ويعود للقتال. وفي إحدى المعارك الكبرى، وبعد دحر العصابات، قام أهل القرية بحصر شهدائهم والتعرف إليهم، فلم يجدوا «ظريف الطول» لا بين الأحياء ولا بين الشهداء، اختفى بعد أن أجمع أهل القرية على قوته وجرأته وهو يقاتل المعتدين بشراسة، حتى صرع منهم أكثر من عشرين صهيونياً، وكان يستخدم بندقيتين في آن واحد. وتحولت قصة اختفائه إلى أسطورة، حيث قيل إنه ظهر في معارك مختلفة (يافا، غزة، بورسعيد، بيروت). وهكذا أصبحت قصة ظريف الطول رمزاً للمقاومة والشجاعة.

أطفال غزة يروون قصصهم

بعد الحرب على غزة، لم تعد القصص تروى من قبل الجدات والأمهات، فقد تحول الأطفال الذين كانوا يستمعون للقصص إلى رواة يروون قصصهم وما حدث في غزة، وذلك ضمن حملة دولية أطلقها مسرح عشتار في فلسطين تهدف إلى قراءة نصوص كتبها أطفال وشباب من غزة عن حيواتهم ومتغيراتهم النفسية وأحلامهم في ظل الحروب والهجمات المتكررة على غزة سنة 2010 – 2014 – 2023. وكلها نصوص تجسد بطولات المقاومة رغم المآسي المتكررة، وتوثق لملحمة شعب شجاع لا يستسلم، ومنها ما يتحدث عن الفقدان واستشهاد الأصدقاء والإخوة والأهل، وعن دمار المدارس والبيوت والجثث التي تتطاير بفعل القصف وتتحول إلى أشلاء وأكوام في المشافي، وعن المقابر الجماعية وإنذارات جيش الاحتلال بإخلاء البيوت، وعن الشوق للأصدقاء الذين رحلوا. وقد قرئت هذه النصوص في جميع أنحاء العالم بعد أن أطلق مشروع عشتار دعوة عالمية على صفحات التواصل الاجتماعي لقراءتها، في كل عام بالتزامن مع «اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني» في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر وشارك بهذه الدعوة العام الماضي أكثر من 3000 فنان ومجموعة مسرحية بأكثر من 42 دولة وبلغات مختلفة، خاصة أن النصوص مفتوحة على موقع مسرح.

وهكذا نرى أن الحكاية الفلسطينية بكل أنواعها تجاوزت الحدود الزمنية والجغرافية وهي تراث استطاع أن يعيد إنتاجه في تحويل الثقافة والتراث إلى أدوات للمقاومة والحفاظ على الهوية ليكون وثيقة سياسية وثقافية تمثل أحد أعمدة الصمود الفلسطيني في مواجهة المحتل وسياسات التهويد، إذ تظل الحكاية إعلاناً يومياً بأن الأرض لها أصحابها الحقيقيون.

«ارقص كأنك النون»

للكاتبة الفلسطينية سوزان الصعبي:

رواية حرب وأمل

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

تصبح الآمال والأماني والرغبات جزءاً من سرديات وروايات الحرب في محاولة للخلاص من الواقع الذي تعيشه شخصيات الرواية، ولا سلاح أمام هذه الشخصيات سوى الصبر وإعادة إنتاج ذاتها وفق معطيات الواقع الجديد بعيداً عن مسببي هذه الحرب، وهو الحد الأدنى من المقاومة.

في عالم الحروب المتعددة الأوجه يصبح الخلاص الفردي والحفاظ على الذات الإنسانية فعلاً جليلاً، ومحاولة التقليل من التشوهات التي تتسلل إلى الإنسان بفعل واقع الحرب، وإذا ترافق ذلك مع فعل العطاء الإنساني المتعدد الأوجه، تكون الشخصية الإنسانية قد تجاوزت مفاعيل الحرب والحصار، وذلك ما نجده في رواية ارقص كأنك النون الحائزة على جائزة حنا مينة للرواية في العام2022، للروائية والقاصة الفلسطينية سوزان الصعبي، والصادرة عن وزارة الثقافة، والهيئة العامة للكتاب في العام2023.

الحرب والحصار:

تفرض الحرب إيقاعها في كل لحظة من اللحظات على أهالي المناطق التي اجتاحها السلاح والقذائف «لم يمضِ على نومي سوى ساعتين حين انفجرت قذيفة قريبة جداً. صحوت فزعة كما أفراد العائلة. قفزنا نفتش عن أطرافنا ورؤوسنا ويطمئن بعضنا على بعض، خرجت إلى الشرفة يدفعني الفضول لمعرفة مكان سقوط القذيفة رأيت بضعة شبان يركضون، حاولت أن أمد رأسي للخارج كي أرى أكثر، لكن أختي شدتني للداخل غاضبة خائفة. دقيقة واحدة والقذيفة الثانية لحقت بسابقتها وهدمت منزلاً بأرواح».

القذائف والرصاص فرضت على أهل البيت، وكل شخصية منهم انزوت إلى غرفتها وخزانتها لضب ثيابها، بينما تميزت شمس في وضع عدد من الكتب في حقيبتها، وأهتمت أخواتها في وضع ما يرغبن في حقائبهن، والوجهة الأولى في الهروب والهجرة الأولى ذات الحي، لكن إلى مسافة أبعد بيت الأخ باسم، لكن القناص الرابض على مدخل الحي يمنع الخروج الاعتيادي لأهل الأحياء، خمس أخوات وقفن عند مدخل الحارة استعداداً لمواجهة الموت والحياة في آن معاً.

ليلى أول من شقت الطريق وركضت وعبرت من أمام أعين القناص. وركضت خلفها أخواتها الأربع حتى وصلن إلى مدخل الشارع الآمن، ومشين بعده بتثاقل نحو بيت أخيهن في الجهة الأخرى من الحي في أقصر الطرق خوفاً من القذائف العشوائية التي تسقط في الحارات والشوارع خلفهن وأمامهن، وعندما يصلن بيت باسم يمازحهن بالقول: «كنا نخطط لتناول العشاء عندكن الليلة».

الحرب حولهم من كل الجهات صارت كل الأحياء سواسية في تلقي القذائف والرصاص، لكن باسم قال إنه لن يغادر بيته ويتركه للصوص، أما زوجته فلم تدعه يكمل كلامه، قالت إنها تخشى على جنينها، ولذلك لن تبقى في الحي.

وتكمل شمس سردها بالقول: «هناك على بعد بيوت قليلة منا سقطت قذيفة، قفزنا جميعاً بحركة لا إرادية نحو النافذة لنعرف شيئاً، صرخت النسوة في الحارة،

وانتشر الدخان. النساء تولول في الخارج، والهواء يختنق ويسعل».

وتذكرت كيف احتمت الأسرة في غرفة النوم كونها بعيدة عن الحارة، ويمكن أن تكون أكثر أماناً من غيرها. وكانت ليلتهم في بيت باسم حامية في شراسة الرصاص والقذائف، قضت مضاجع الأطفال، لم يقطع بكاءهم سوى صوت زمامير السيارات المتبقية في الحارة التي تصرخ كلما سقطت قذيفة، ونتيجة المعركة الليلية وتأثيرها على العائلة يصرح باسم «سنخرج من هنا حين يطلع الفجر»، وهو الذي كان يرفض المغادرة، وصباح اليوم التالي يجدون آلافاً مثلهم وقفوا عند ساحة صغيرة تفصل الحي عن الحي المجاور، وهم يحملون حقائبهم بانتظار بزوغ أمل ما، وتفرقت العائلة إذ قررت زوجة باسم أن يذهبا إلى بيت أخيها ريثما يجدون بيتاً وقبلت بعض صديقات الأخوات استضافتهن.

وترافقت عمليات التهجير من مناطق الحرب مع حصار لهذه المناطق تبدى في الرواية بعودة أخي السيدات الخمس باسم إلى تلك المنطقة ليحاصر بها إلى فترة زمنية طويلة رغم معرفته أن زوجته الحامل قد تضع مولدها في غيابه، وتحتفل الأسرة بعيد ميلاد (خليل الثاني دون وجود باسم، ويرقص باسم بعيد ميلاد ابنه رغم أن الحواجز ومنها العسكرية لم تسمح للمحاصرين بمغادرة هذه المنطقة (ارقص كأنك النون..)، ليأتي الخروج من هذه المنطقة عبر تسوية في مرحلة لاحقة بعد خمس سنوات من الحرب عاد باسم إلى ابنه وزوجته وأسرته.

الكتاب المونسن:

تخرق الروائية سوزان الصعبي السرد التقليدي في معمارها الروائي من خلال أنسنة الكتاب الذي يقوم بالسرد الروائي كإحدى الشخصيات الروائية في بنية روائية رشيقة خفيفة الظل على القارئ، لا تجعل من الملل جزءاً من عملية التلقي الروائي. فالكاتبة شمس عندما تخرج من منطقة الحرب والقذائف تأخذ عدداً من كتبها معها «سقط كتاب من الحقيبة التي نسيتها مفتوحة واصطدم بالدرج، انحنيت لألتقطه وأنقذه من الخراب، لكن يداً أخرى كانت أسرع . رمت (لينا) الكتاب إلى عتبة البيت الداخلية بعنف وكأنها تقاتل».

يحتج الكتاب على سلوك لينا «أعرف أن شمس ستأسف عليّ، لكن هذا لا يكفي، كنت أعتقد أنها ستضمني إليها مهما حدث، تباً للحياة كم تفاجئنا بما لم نتوقعه أبداً». ويبين الكتاب حاله عندما تسقط القذائف اصطكت أوراقي، خفت من أن تسقط حولي وتتحطم (الصحون والفناجين) وتجرحني، ليتك لم تجعلني حبيس الأوراق، ليتك أبقيتني حراً في خيالك، وما نفعي أصلاً إن لم أستطع شيئاً حيال هذه الحرب؟».

ويسرد الكتاب معاناته مع شخصية احتلت البيت بعد مغادرة الأخوات الخمس، وقامت باستخدامه «استيقظ أخيراً في أول الليل، تفقد محفظته وأشعل سيجارة، اقترب من الخزانة الخشبية، نظر متفحصاً، ثم دار حولها مفتشاً عن شيء ما، ودون أن ينتبه إلي داسني بقدميه، لا أدري ما الذي أغضبه من وجودي هنا، لذلك ركلني بقوة، فارتطمت بحائط غرفة شمس». ويداهم هذا الدخيل غرفة المكتبة حيث يتفقد الكتب ويرميها أرضاً من رفوف المكتبة كمن يتخلص من أوساخ!.

ويصف الكتاب لحظة المواجهة بين باسم صاحب البيت، والمعتدي حيث يتمكن من طرد باسم من البيت بقوة السلاح، وتحت تهديد بالموت، عندها يغادر باسم البيت ويبقى المعتدي. ويتساءل «هل نسيت شمس أنها تركت خلفها عشرات الكتب المشتاقة للنور والنظافة وللأيدي وللعيون، ولم تعد إلينا لتأخذنا أو حتى لتقابلنا، ولم يعد كذلك باسم أو أي إنسان سوى ذاك المسلح ورفاقه».

ويطلب قائلاً: «ليتنا نموت وتموت معنا معاناتنا. هذا ما بتنا ننطق به صادقين. وتتغير أحوال الكتب مع عودة شمس إلى بيتها ومكتبتها وتخاطبها: «أما أنا فاشتقت إليك، اشتقت لترتيبك وتصفح الكتب التي أحبها أكثر كلما قرأتها مرة أخرى، اشتقت لكتابي تيماء وأمجد، ولنفض الغبار عن المسافة بيننا جميعاً».

درويش وجبرا وكنفاني:

عندما غادرت شمس منزلها في المنطقة المحاصرة أخذت معها حقيبة، وضعت بها أحب الكتب لديها وبدأت بي «يوميات سراب عفان للكاتب جبرا إبراهيم جبرا التي قرأتها أول مرة قبل عشرين عاماً حين أصبحت طالبة في الجامعة حيث تمنت أن تكون سراب التي تداوم على كتابة المذكرات والعاشقة لرجل روائي يكبرها بكثير، والقادرة على التخلي حين تؤمن بفكرة أسمى».

وتسأل ديوان محمود درويش، ترى لو بقي حياً حتى الآن، ماذا كان سيكتب عنا؟ وهل ستطاوعه اللغة مجدداً ليقول بطريقة أشد مرارة: «وأنت تخوض حروبك فكر بغيرك.. ولا تنسَ من يطلبون السلام»، وتستكمل استعراض مكتبها بديوان واحد لنزار قباني، ورواية واحدة لغسان كنفاني، لكنني لا أكتفي بواحدة، دسست مجموعته القصصية (موت سرير رقم12). ومجموعات تشيخوف ويوسف إدريس وموباسان وماركيز وبعض الكتب النقدية.

ويعيد ذو الأظافر المتسخة الكتاب إلى المكتبة ويتوضع بين مجموعة قصصية يوسف إدريس وبين مسرحية (الفيل يا ملك الزمان) للكاتب سعد الله ونوس.

ويأتي نصر مدرس جديد إلى المدرسة التي تدرس بها شمس، وهو يهوى شعر المتنبي، وما كتبه شعراء المهجر، ويقرأ قصة غوغول المعطف «بدأت أقرأ بصوت هادئ ومسموع، وهو يصغي ويتابع معي كلمة فكلمة وحين تدفعني الأحداث والانفعالات إلى رفع صوتي أو تغير رنته، كنت أستجيب لذلك بكل شغف وعفوية. ثم حان دوره، واستمعت إليه منفعلة حزينة على المسكين (أكاكي أكاكيفيتش)، وسعيدة بعيني نصر اللتين تنتقلان بين الصفحات وبيني، وكدت أنثني كما حال التمثال، كما يفعل أي شخص في بيته».

وتلتقي شمس نصر عند عودة المناطق المحاصرة والمدمرة إلى الحياة الطبيعية فيها، ويبدأان رحلة البحث عن الكتب الناجية من الحصار والدمار والحرق.

إن رواية ارقص كأنك النون للكاتبة الروائية الفلسطينية سوزان الصعبي مجددة في أسلوب السرد عبر شخصية الكتاب الذي يتسلل إلى القارئ في رشاقة وسلاسة حكائية معبراً عن حالة من حالات الحصار للأغراض والأشياء الأحب إلى قلب الإنسان التي تستخدمها ويوظفها في حياته اليومية، والتي لا يستطيع الاستغناء عنها في أقسى وأصعب اللحظات الحياتية.

عن هذه الأغراض المحببة إلى الذات الإنسانية تأخذنا الرواية عبر شخصيات قريبة ومحببة منا مثل «باسم، تيماء، أمجد، نصر، شمس، زبيدة».

ويأتي توظيف الحوار مع كتب الكتاب المشاهير كجزء من البناء الروائي، وليس مقحماً على هذا البناء في سلاسة السؤال والتوظيف.

أخيراً إن رواية ارقص كأنك النون للكاتبة سوزان الصعبي تستحق القراءة.

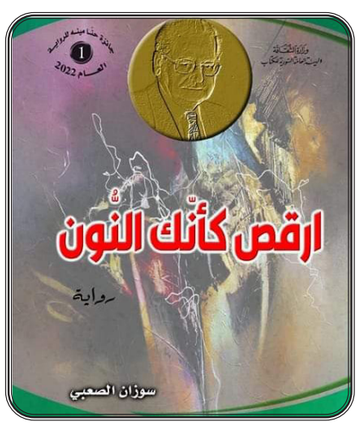

مسرح رمضان في فلسطين

جوان جان - كاتب ومسرحي من سورية

تحفل الذاكرةُ الجمعيةُ الفلسطينية، الفنية منها والفكرية، بالعديدِ من المحطات الهامة عبر تاريخها الطويل المُغرِق في القِدَم والمرتبط مكاناً بإنسانِ الأرض الفلسطينية الذي ما انفكّ يشكل بإبداعِه وثراءِ فكرِه جزءاً لا يتجزأ من تاريخ هذه الجغرافيا الممتدة من النهرِ إلى البحر.

عروض فرجوية

يشكل فنّ المسرح جزءاً أصيلاً من هذه الذاكرة بما يختزنه من تجارب وذكريات تشكل اليوم ثروةً حقيقيةً ينبغي أن تحفظَها ذاكرةُ الأجيال وألا تنسيها إياها الكوارثُ والمِحَنُ المتلاحقة التي حاولت النيلَ من إنسانِ هذه الأرض وتراثه وذاكرته دون جدوى، وتذكر المراجعُ التي رصدت التراثَ الفنيّ والثقافيّ الفلسطينيّ ومدى ارتباطه بالحراك الاجتماعي أن شهرَ رمضان ارتبط بالعديدِ من التظاهرات والفعاليات الثقافية في النصفِ الأول من القرنِ العشرين، حيث كانت العروض الفرجوية تُقدَّم في المقاهي والساحات وتجمع حولها الجمهورَ من مختلفِ الطبقات والفئاتِ الاجتماعية، وظهرتْ في تلك الفترة تجّمعاتٌ وفرقٌ مسرحية ذات طابع ارتجاليّ ومؤقت في أسلوبِ عملها وطريقة تقديم عروضِها للجمهور، لكنها استطاعتْ أن تجدَ لها أماكن ثابتة لتقديمِ عروضِها، وكانت العقبة الأهمّ التي وقفتْ حجرَ عثرةٍ في وجهِ هذه الفرق هي إيجاد العنصرِ النسائيّ المستعدّ من الناحيةِ الاجتماعية للمشاركةِ في هذه العروض التي كانت في جزءٍ كبيرٍ منها تحرص على أن تتواصلَ مع الجمهور في شهر رمضان تحديداً نظراً لخصوصيتِه وقدرتِه على جمعِ أكبر عددٍ ممكن من المشاهدين، وبينت المراجعُ التي رصدتْ الحراك الفني الفلسطينيّ في تلك المرحلة أن الممثلات كنّ أكثر التزاماً من الممثلين بقواعد وتقاليد العملِ في المسرح، ومن أبرز الأسماء الفنية النسائية التي ظهرتْ في تلك الفترة نذكر: اميلي السلطي، نجلا حوراني، جورجيت واسيلي، وداد خوري، فريدة عطا، دلال خليف.

«السموأل»

من أبرز الأعمال المسرحية التي شهدتها مسارح فلسطين في أحد شهورِ رمضان في ثلاثينيات القرن الماضي مسرحية بعنوان «السموأل» قدمتْها نخبةٌ من طلابِ المدارس، وقد قُدّمَت في قاعةٍ تتسع لأكثر من ثلاثمئة متفرج، كما شهدت شهور رمضان في عقد الأربعينيات زيارةَ عدد من الفرق المسرحيةِ العربية لتقديمِ أعمالها للجمهور الفلسطينيّ في مدن القدس وحيفا ويافا وغزة، منها فرقتا الفنانين المصريين يوسف وهبي ونجيب الريحاني، وما يلفت النظرَ في جمهور المسرح في فلسطين في تلك الفترة من القرن العشرين التزامه التامّ بالنظام أثناء تقديم العروضِ المسرحية، ومن أبرز الفرق المسرحية التي ظهرتْ في تلك الفترة فرقة جمعية الفنون والتمثيل التي قدمت في شهر رمضان ولأكثر من موسم أعمالاً جيدة مثل «عنترة» ومن أهمّ المواضيع التي كانت تستأثر باهتمام الجمهورِ الفلسطينيّ المواضيع ذات الطابع الاجتماعيّ والمواضيع التي تعالج قضايا الأمراض الاجتماعية والفئات السلبية في المجتمع كفئة المرابين والمستغلّين من أصحاب المصانع والمعامل والشركات وسماسرة الأراضي الذين يتسببون بتشريدِ الناس وبيعهم لأملاكهم.

مسرح البسطة

بعد تلك المرحلة بعشراتِ السنوات يبدو المسرحيون الفلسطينيون سائرين على نفس النهج لجهة تحويل شهر رمضان إلى فسحة للفن الراقي والثقافة الواعية القادرة على أن تكون ثقافة متفاعلة مع الجمهور وقد تغيرت الظروفُ جذرياً عما كانت عليه قبل قيام دولةِ الاحتلال، ومن أبرز التجارب المسرحية الرمضانية التي شهدتها الألفية الجديدة التجربة التي قدمها خمسة من الفنانين الشباب في مدينة القدس في رمضان عام 2016 عندما أسسوا فرقة أسموها مسرح البسطة التي قدموا من خلالها أعمالاً مسرحية ساخرة في ما يُعرف بـ الكوميديا السوداء تحت شعار بالمسرح نواجه الحواجز والتهميش، وبالفنّ ننتصر لمن يشبهنا.. ويذكر الإعلامي الفلسطيني محمد أبو الفيلات أن مسرح البسطة مسرح متنقّل يهدف إلى تقليصِ المسافة بين الفنّ والناس عبر إدماج أشكالِ المسرح القديم مع أدوات المسرحِ الحديث، وهو يستمدّ أعمالَه من قضايا الناس. وتناول العرض الذي قدمتْه الفرقة ضمن عروض ما يسمى بـ مهرجان الفرجة الذي أطلقتْه الفرقة في رمضان 2016 مسألة العقارات في مدينةِ القدس بالاعتماد على أسلوبِ الحكواتيّ في تقديم محتوى العرض، وهو الأمر الذي يعيد إلى الذاكرة المضامين التي كان المسرح الفلسطينيّ يقدمها قبل ما يقارب المئة عام.. تضمَّنَ العرض ثلاثةَ مَحاور، أولها قضية بيع عقارات المقدسيين للصهاينة عن طريق السماسرة الذين يشترون المنازل تحت غطاءٍ وطنيّ إنسانيّ ثم يقومون ببيعها للمستوطنين.. أما المحور الثاني فيتناول أزمةَ السكن التي يعاني منها الشباب وارتفاع إيجارات البيوت والشروط التعجيزية التي يضعها أصحابُ العقارات أمامَ الشباب.. ويتطرق المحورُ الثالث إلى تفضيل أصحابِ العقارات للمستأجر الأجنبي كونه يدفع لهم مبالغ باهظة، وقد لامس العرضُ قلوبَ عشرات المقدسيين ممن توافدوا لمشاهدتِه، وهو عرض واقعي وساخر ويدفع المُشاهد كي يتأملَ مأساته ويحاول الخروج مما هو فيه، ويشار إلى أن هذه الفرقة اختارت أن تقدم مسرحياتها كل يوم خميس من شهر رمضان في سوق الخواجات في بلدة القدس القديمة، وهي سوق مهجورة منذ سنوات عديدة ولا توجد فيها حركة تجارية جيدة تسدّ حاجة التجار مما دفع الكثيرين منهم إلى إغلاقِ متاجرهم، كما أن السوق يعاني من التمددِ الاستيطاني واتخاذ المستوطنين من سقفه مساكن لهم، إضافة إلى ملاصقته لمدخل حارة الشرف التي احتلتها إسرائيل عام 1967 وحوَّلتْها إلى حيّ استيطانيّ، ويؤمن أفرادُ الفرقة أن إخلاء السوق من المقدسيين يجب إفشاله.

الجدير بالذكر أن فرقة مسرح البسطة تأسستْ في العام 2015 ومنذ ذلك الوقت قدمت عشرات الأعمالِ المسرحية، وقبل ذلك بحوالي عشر سنوات قدمتْ فرقة مسرح وسينماتيك الفلسطينية في شهر رمضان من العام 2006 عرضاً مسرحياً بعنوان «الجدار» للمخرج جورج ابراهيم وهي تصور معاناة الإنسان الفلسطيني في ظل الاحتلال والحصار، وتتألف من عدد من المَشاهد، تفصل بينها فواصل موسيقية وغنائية ضمن سياقٍ دراميّ متوازن وسبق أن شرح الناقد المسرحي السوري الراحل عبد الفتاح قلعه جي تفاصيل العرض حين مشاهدته له في مهرجان دمشق المسرحي عام 2006:»سبعةُ فنانين يخترقون خشبة المسرح في المشهد الأول وهم يعزفون ويغنّون ويرقصون، فالعرض منذ البداية ليس دعوة إلى الندبِ والبكاء والهجاء بالرغم من المعاناة وإنما هو دعوة لممارسةِ الحياة بأفراحها وأتراحها وإلى البحث في المكان الضيق عن فسحةٍ للتحدي والإصرار على البقاء، ولم يكن الجدار مجرد شاخصة مكانية وإنما وجدناه يهتز ويرقص ويتحرك بتشكيلاتٍ متعددة، فهو الشخصية الثامنة في المسرحية وتعليقاً على المسرحية يقول رائد المسرح التسجيلي الفلسطيني سلمان ناطور: «نحن بأمسّ الحاجة إلى توجيهِ خطاب مختلفٍ إلى العالم يكون مقنعاً بعدالة قضيتنا وعراقة حضارتنا، وأريد أن أحصر القضية في مخاطبة الإسرائيليين من موقعنا كفلسطينيين يعيشون في قلب مجتمع يسهل علينا مخاطبته بشكل يؤثر فيه، ونحن نفعل ذلك دائماً، ويحدث كثيراً أننا نقدم مسرحياتنا مترجمة إلى اللغة العبرية، وعندما يشاهدونها يذهلهم جهلهم لنا، وهم يخافون من هذا الجهل، لذلك فقسم كبير منهم يأتي إلينا طالباً المزيد».

كانت هذه لمحات من الحركة المسرحية الفلسطينية في شهر رمضان في الأرض المحتلة، وهي حركة ما زالت تقاوم بكل ما أوتيت من قوة في وجه آلة التدمير الصهيونية بمختلف وجوهها وأشكالها.

غابرييل بعد الاجتياح

فراس عبدو

بعد اجتياز بيروت، لم يشعر غابريل بالنصر كما تخيّله طويلاً. المدينة التي صمدت، والتي دُفعت أثمانها حجراً حجراً، لم تخرج من المعركة نظيفة من الداخل. كان يسير في شوارعها كمن يمشي فوق ذاكرة متعبة، يسمع الهتافات نفسها، لكن نبرتها تغيّرت. شيء ما انكسر بصمت، لا يُرى في البيانات ولا في الصور.

بدأت بوادر الخلاف تظهر أولاً في التفاصيل الصغيرة. تأخير الأوامر، تكرار الاجتماعات، اختلاف الروايات عن الحدث الواحد. كان غابريل يصغي أكثر مما يتكلم، كما اعتاد دائماً. يعرف أن الخلاف لا يولد فجأة، بل يتسلل مثل رطوبة في جدار قديم. في إحدى الليالي، سمع رفيقين يتجادلان حول الأولويات: السلاح أم السياسة، الداخل أم الخارج، الدم الذي دُفع أم الدم الذي سيُدفع. لم يكن النقاش جديداً، لكن حدّته كانت جديدة.

صار يشعر أن اللغة تغيّرت. الكلمات التي كانت جامعة صارت قاطعة. "نحن" لم تعد تعني الجميع. ظهرت اصطفافات خفية، وأسماء تُقال همساً، وشكوك تُزرع بلا دليل واضح. كان غابريل يتألم بصمت. لم يكن ساذجاً ليظن أن المقاومة بلا أخطاء، لكنه كان يخاف من اللحظة التي يتحوّل فيها الخلاف من اختلاف في الرأي إلى كسر في المعنى.

رأى السلبيات تتكشّف واحدة تلو الأخرى. تضخّم في الخطاب، وتراجع في الإصغاء. بعض القيادات بدت كأنها تفاوض أكثر مما تقاتل، وأخرى تقاتل في الكلام أكثر مما تفعل على الأرض. المقاتلون في القواعد كانوا يشعرون بذلك، حتى لو لم يملكوا الكلمات الدقيقة لوصفه. التعب لم يكن فقط من الحصار والقصف، بل من الشعور بأن البوصلة لم تعد ثابتة.

غابريل، الذي عرف المقاومة كفعل أخلاقي قبل أن تكون تنظيماً، كان يسأل نفسه أسئلة مؤلمة. هل يمكن لفكرة عادلة أن تتآكل من الداخل؟ هل الدم يكفي وحده ليحمي المعنى؟ كان يتذكّر النقاشات القديمة في الجامعة، عن الثورة حين تطول، وعن الخطر الذي يصيبها حين تبدأ بالدفاع عن نفسها أكثر مما تدافع عن الناس.

ثم جاء الخروج من بيروت. لم يكن انسحاباً عسكرياً فقط، بل لحظة فراق ثقيلة. السفن التي حملت المقاتلين بدت له كأنها تحمل أيضاً جزءاً من الحلم. وقف على الرصيف، نظر إلى البحر، وشعر أن المدينة تبتعد حتى وهي ثابتة في مكانها. لم يكن البكاء مسموحاً، لكن العيون خانت أصحابها.

في تلك اللحظة، فهم غابريل أن المقاومة تدخل مرحلة أخرى، أكثر تعقيداً وأقل براءة. مرحلة الأسئلة المفتوحة، والانشقاقات المحتملة، ومحاولات إعادة تعريف الذات. لم يفقد إيمانه بالقضية، لكنه فقد يقينه بأن الطريق واحد وواضح. أدرك أن الخطر الأكبر لا يأتي دائماً من العدو، بل من اللحظة التي يختلف فيها الرفاق على معنى ما يفعلونه.

ومع ذلك، لم يغادر. بقي، لأن الخروج الحقيقي بالنسبة له لم يكن من مدينة، بل من الفكرة. وكان يعرف، بمرارة هادئة، أن ما تبقى من المقاومة يحتاج إلى شجاعة من نوع آخر: شجاعة الاعتراف، قبل شجاعة السلاح.

قول في فيلم الهدف:
زخم الوثيقة وجسارة الرؤيا

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

لا ريب في أن ما تطرحه السينما الوثائقية بالعموم وصولاً إلى خصوصية الفيلم الوثائقي من تحديات واستحقاقات كثيرة ليس أقلها مفهوم الوثيقة وسردية الصورة، بل سردية الكلمة في تواترها المحسوب لمصلحة سردية تاريخية مكتفية بإشاراتها وإيحاءاتها ورموزها، والحال أن السينما الفلسطينية كانت قد قطعت شوطاً كبيراً في هذا السياق لا سيما على صعيد الفيلم الوثائقي بحمولاته التراجيدية ومضامينه الفكرية وليست التاريخية فحسب، مما يمكننا بالنظر إلى تلك السيرورات الفنية والفكرية التي تعالقت بذلك النوع من الأفلام، من القول إن ثمة مفصل جديد، وإذا جاز لنا القول بأنه ينطوي على شيء من المغامرة كما النزوع لها، لكنه تجريب أصيل يعي تلك السيرورات المركبة والمتشابكة في فصولها ومحطاتها وعلاماتها، تشابك يفضي بنا- بطبيعة الحال- إلى قراءة التعدد والانتباه إلى فتح أفق جديد في مسارها، فضلاً عما تُحيله من أسئلة منتجة ومنتبهة إلى خصوصية السياق وفرادة الموضوع، ولعل ذلك كله سيصبح في غمار الرؤيا التي حملت فيلم (الهدف)، لمخرجه السينمائي محمد أبو شريفة، وفريق عمله وبالانتباه إلى الجهد المبذول وفي وقت قياسي لإخراج هذا الفيلم الذي انطلق من الوثيقة لكنه ذهب أكثر بحثاً عن فضاءاتها الزمانية والمكانية، وحضورات شهودها وشهدائها، إذ لم يكن الأديب الشهيد غسان كنفاني واستمراره بمجلة الهدف وبوصفه واحداً من العناوين الأثيرة التي حُمل عليها الفيلم، إلا باعثاً على التأمل في منظومة إعلامية مقاومة كرست فهماً ثورياً وطليعياً لمفهوم الإعلام الملتزم، وعليه فإن لحظة الانفجار والتي نتج عنها استشهاد غسان كنفاني وابنة اخته لميس، إلا الزمن المُستعاد لحركية الفيلم ليطاول تاريخية مجلة الهدف، ورمزيتها في الوعي الفلسطيني والعربي والعالمي، وليذهب الفيلم إلى استنطاق زمن الهدف في مقاربة ناجحة استعادت الحكاية وحملتها عبر أصوات الشهود لا سيما من تعاقبوا على إدارتها وكانوا صنّاع تاريخها ووقائعها، تنجح الصورة السردية هنا في إضافة لافتة مثلّها حضور الكاتب السياسي عدنان بدر حلو (نائب رئيس تحرير مجلة الهدف منذ العام 1969 وحتى العام 1976)، بمحكياته التي وثق بها ما هو أبعد من عمل وظيفي صرف، ليمثّل شهادة كبرى عن التحولات التراجيدية التي واكبت مجلة الهدف حتى لحظة استشهاد الأديب والمناضل غسان كنفاني، وما يلفت الانتباه هنا، هو في معنى البطولة الجماعية التي انطوت عليها مجلة الهدف ومن تعاقبوا على إدارتها في أزمنة مختلفة، وبتقنيات محسوبة سعى مخرج الفيلم محمد أبو شريفة ليبث رؤيته دونما إقحام، بل بتنسيق محسوب لتلك السردية التي سعت إلى تركيب المشهد في وعي المتلقين، فهو قد أحالنا إلى منظومة إشارية شكلت حواراً مفتوحاً ما بين الصورة والكلمة، وما بين ضراوة الأحداث وصيرورة الحقيقة، ليكون الهدف إطاراً رمزياً لفكرة المقاومة ورمزيتها عبر أجيالها المتنوعة وعطاءاتها الفذة، إذ يحمل الفيلم ثيمة التواتر الدرامي الذي لا يكتفي بالحدث فحسب، بل يضع كل معطيات التفكير والتأمل، وفسح المجال لأسئلة مختلفة لا تذهب إلى تاريخ السينما الوثائقية بقدر ما تستنهض وعياً مفارقاً وفي زمن مختلف، استمرت به مجلة الهدف، أي استمرت بإرثها من الذاكرة البعيدة إلى الواقع الجديد المتغير، إذن بصدد القيمة الفنية والجمالية والموضوعية للفيلم، لا بد من القول: ينطوي الفيلم على قيمة ثقافية وفي زمن مختلف، ليس لأنه أعاد شريط الذاكرة فحسب، بل لأنه حاكى المستقبل بمعطيات ماضٍ لم يمض، وسعى إلى استشراف المكونات الجديدة للإعلام الفلسطيني وفي ظل واقع إعلامي فلسطيني غير واضح المعالم، أي أنه نجح في طرح أسئلة

الاستحقاق باستثمار الصورة/ الوثيقة، ومحاكاتها بزخم فكري يعيد تأويل السياقات القديمة/ الجديدة، وليس وقوفاً على شرفات الحنين لزمن مضى، ذلك ما يقصر دلالته، بل الأمر أبعد من ذلك، فهو استنطاق للتاريخ وإعادة تأثيثه في الوعي الفلسطيني الجديد، وهذا ما دللت عليه مشاركة أسماء دالة في الثقافة الوطنية الفلسطينية (مروان عبد العال، د. ماهر الطاهر، أبو علي حسن، لويس برهوني، د. ثائر عودة، أحمد هلال)، في لحظة الشهودية على مرحلة طافحة بالتحولات والذاكرة الاسترجاعية، وإن إنتاج دائرة الإعلام المركزي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لهذا الفيلم، قد أسس لدور جديد للسينما الوثائقية بعد سلسلة أفلام أنتجتها الدائرة في زمن مضى، ومنها فيلم (عائد إلى حيفا) للأديب الشهيد غسان كنفاني.

فيلم الهدف... رؤيا جديدة

يمكن فهم تلك الرؤيا التي حملها فيلم الهدف، أنها في سياق مشروع دأب عليه السينمائي محمد أبو شريفة، يستجيب للواقع لكنه يتجاوزه ليخلق أبعاداً جديدة لمفهوم السينما الوثائقية في الإطار الفلسطيني ومنه إلى الإطار العربي، وهذا المشروع في أصالته واكتمال أركانه هو فاتحة انطلاق لعودة السينما الفلسطينية إلى دورها الثقافي المقاوم، والمستلهم للماضي لكنه المجدد والمعاصر، فهماً وثقافة جديدة تستقرئ وتستبطن أسئلة المستقبل، فيلم الهدف أولى الثمار والذي سيحيلنا إلى غيره، في سياق مراجعة نقدية وديناميه إبداعية لا تكتفي بأسئلة الماضي، بل تبحث في الواقع سعياً لفتح أفق جديد فيه، يستنهض صورة الثقافة الفلسطينية ومفرداتها ومكوناتها، ويضارع السردية المضادة، بسردية وطنية تكتبها الكلمة والصورة والرؤيا، تماماً كما لا يمكن تجزئة القضية، بل هي كل واحد لا ينفصل عن حركة التاريخ وسيرورة الفكر الوطني الملتزم.

ذكريات رمضانية
من القدس وأكناف بيت المقدس

موسى سعيد مراغة ـ كاتب سياسي فلسطيني - سورية

يتشبث الصبي الذي لم يكن قد تجاوز عتبات السنوات الست من عمره بذيل ثوب جدته ومتظاهرا البكاء راجيا إياها أن تتمهل في سيرها وهي تحث الخطى في أحد أسواق مدينة القدس. الزينة والمصابيح المضاءة وألعاب الأطفال في واجهات المحال وأجواء شهر رمضان أخذت بلب الطفل وعقله.

الزمان أواسط ستينيات القرن الماضي، والمكان مدينة القدس التي استقبلت لتوها شهر رمضان الكريم.

المدينة المقدسة ترفل بثياب البهجة والحبور مستقبلة الشهر الكريم. كيف لا وهي مدينة مسرى الرسول ومعراجه إلى السموات العلى. ومهبط الأنبياء والرسالات السماوية. شوارع المدينة ودروبها وأزقتها وأسواقها ومحلاتها التجارية تتزين بالفوانيس التقليدية التي تشتهر في رمضان وكذلك بالمصابيح الكهربائية والإعلام الزاهية التي تتزين بها الأزقة وأماكن التسوق.. إضافة إلى انتشار أصوات الأناشيد والابتهالات التي تصدح بها آلات التسجيل التي انتشرت في المحلات.

وفي هذه الأيام ونحن نعيش نفحات شهر رمضان وأجواءه الروحانية الإيمانية تعود بي الذاكرة إلى ما قبل ستين سنه ونيف.

في سلوان قريتنا جارة القدس وحارسة الأقصى التي تقع على بعد رمية حجر من المدينة المقدسة. حيث ولدت وترعرعت وعشت بدايات الصبا حيث لا زالت ذكريات تلك الفترة تعيش وتقيم في القلب والروح والذاكرة. وبالأخص منها ما يتعلق بشهر رمضان.

وفي الأيام الاولى من ذلك الشهر الفضيل كنت كلما سنحت لي الفرصة أرافق جدتي لوالدي (الحاجة ام سعيد) وبلهجة قريتنا أقول (ستي ام سعيد) طيب الله ثراها. في جولة في أسواق القدس لشراء ما يلزم من حاجيات من مأكل ومشرب.

كانت فرصة شائقة لصبي في مثل سني أن يعيش ويشاهد تلك الأجواء العامرة بالبهجة والفرحة. خاصة المحال التي تعرض ما لذ وطاب من حلويات ومشروبات تشتهر في شهر رمضان وفي مقدمتها القطائف بالجبن أو الجوز. إضافة إلى أصناف أخرى مثل المشبك والكولاج والزلابية والنمورة ولقمة القاضي. والكعك المقدسي الشهير..

وكانت أصوات البائعين تختلط ببعضها في المناداة على تلك الأصناف اللذيذة التي يسيل لها اللعاب. ناهيك عن أنواع المشروبات الطيبة مثل التمر هندي والخروب والسوس وقمر الدين...

الجدة أم سعيد تنوء تحت حمل السلة (السبت) بلهجتنا والمثقلة بأنواع الخضار والبقوليات من نعنع وبقدونس وبندورة وبصل وفجل وخيار وخس وزهرة. إضافة إلى القطائف ومشروب الخروب اللذيذ.

الصبي يريد أن يتسكع لمدة أطول في هذه الأجواء الخلابة والمغرية للنظر والفرجة. ستي أم سعيد تحث السير للخروج من السوق وأنا أتمسك بذيل ثوبها خوفا من الضياع ومتجهين إلى باب العامود حيث موقف للحافلات التي ستنطلق إحداها للتو عائدة بنا إلى قريتنا سلوان. مع العلم بأنه لولا هذه الأحمال التي تكفلت بها الجدة. لكنا عدنا إلى سلوان سيرا على الاقدام.

بالتأكيد كان كل الحق معها بالاستعجال لأن الوقت يمضي بسرعة وقد قارب العصر بقليل. ويجب الوصول إلى البيت في الوقت المناسب للبدء بإعداد وجبة الإفطار.

ولعل اللحظات التي تسبق آذان المغرب كان لها مذاق خاص. فكل الأذان تنصت لصوت المقرأ الذي يصل عبر المذياع الذي كان يتصدر غرفة (جدي أبو سعيد) رحمه الله والعيون تيمم شطر المسجد الأقصى لسماع مدفع الإفطار الذي كنا نرى أولا لمعان برق انطلاقه. ومباشرة كان يصل الصوت بوضوح إلى سلوان والقرى القريبة..

ومن الذكريات التي لن تغيب عن البال في رمضان (المسحر) تلك الشخصية كانت لغزا بالنسبة لي. كان يظهر في فجر ليالي رمضان. ويختفي مع نهاية الشهر الكريم. كنت انتظر مروره في حارتنا وألقي النظر من النافذة التي تطل على الطريق التي كان يسلكها كل ليلة من أمام ببت العائلة. وهو البيت الذي كنا نقيم فيه مع الجد والجدة ووالدي والأعمام مجتمعين.

كنت انتظر قدوم المسحر وهو يقرع على طبلته مناديا الناس للاستيقاظ للسحور. وكان ينادي كل بيت باسم صاحبه. ولا أزال انتظر سماع المسحر حين ينادي: إصحى يا أبو سعيد. والنداء موجه إلى جدي (سيدى ابو سعيد). فاترك مكاني عند النافذة متوجها إلى مائدة السحور التي جهزت للتو.

ولعل يوم الجمعة في شهر رمضان له طقوسه الخاصة. ففي ذلك اليوم كنت أرافق سيدي أبو سعيد إلى الصلاة في المسجد الأقصى.

الجد أكمل لباسه التقليدي الجميل القمباز وبلهجة سلوان (الكبر). والحطة البيضاء ويعلوها العقال. وعلى عاتقه العباءة السوداء المقصبة.. وبيمناه عصاه التي كان يتوكأ عليها.. ويحمل تلك الساعة القديمة ذات الغطاء الفضي والمعلقة بسلسلة يضعها في جيب صدره. كنت أزهو بشخصية جدي الحنون العطوف، وبقامته الممشوقة الفارعة الطول. واختال فرحا وأنا أسير بجانبه.

يطلب مني الجد بأن أسرع بارتداء ملابسي لأننا سنبكر بالذهاب إلى صلاة الجمعة. حتى نصل مبكرين قبل إقامة شعائر الصلاة. ونحظى بسماع آيات من الذكر الحكيم من أحد الشيوخ المقرئين المشهورين في ذلك الوقت..

وقد جرت العادة في شهر رمضان أن يزور فلسطين والمسجد الأقصى أحد القراء المعروفين القادمين من الديار المصرية...من أمثال الشيوخ محمد علي البنا وأبو العينين شعيشع والطبلاوي والحصري وصديق المنشاوي وعبد الباسط ومصطفى اسماعيل.

كنت انتظر تلك الرحلة الجميلة من (حارة آل مراغة) في سلوان على أحر من الجمر. ذلك المشوار بالتأكيد سيرا على الأقدام. نزولا إلى ساحة بير أيوب مرورا برأس البستان وعين سلوان صعودا باتجاه المسجد الأقصى عبر وادي حلوة. لندلف باب المغاربة أحد أبواب سور القدس الشهير. ومنه إلى ساحات الحرم القدسي الطهور.. ويكون المكان غاصا بالمصلين القادمين من كل حدب وصوب. خاصة في شهر رمضان. وهي فرصة لكل المسلمين بشد الرحال إلى هذا المكان المقدس.

ولأن يوم الجمعة له خصوصيته وخاصة في رمضان. وكان هذا اليوم يتوج أحيانا بالإفطار في بيت جدي لوالدتي. التي كنا أنا وشقيقاي وشقيقاتي نذهب برفقتها إلى بيت الجد الذي كان خارج حارة آل مراغة. صحيح أن ذلك الجد توفي قبل ولادتي ولم أحظ بمعرفته. وبسبب ذلك الغياب كنا نطلق اسم بيت خالي محمد على بيت الجد رحمه الله.. وفي هذا المقام أذكر وضعا خاصا عشته في تلك الفترة وهي أن الله حباني بنعمة خاصة وفريدة، وهي أنني عاصرت ثلاث من الجدات في وقت واحد، وهذا لعمري حدث عظيم وجميل.

الحاجة أم سعيد جدتي لوالدي التي سبق ذكرها. والحاجة فاطمة جدتي لوالدتي. والحاجة صفية جدة والدتي..رحمهن الله. وهذه الأخيرة كانت أكثرهن حنانا وعطفا ومودة واهتماما بي . وهنا يجب أن أشير إلى أن الحاجة صفية رغم أنها في ذلك الوقت بلغت من العمر عتيا. الا انها كانت في قمة النشاط والحيوية. فهي كانت تزرع بستان لها ببعض المحاصيل البسيطة مثل الخس والسلق والفجل والثوم والبقدونس والنعناع والزهرة..وتحملها بعد الفجر في سلة على رأسها باتجاه باب العامود في القدس. وتبيعها هناك وتعود قافلة إلى سلوان دون أن تنسى أن تحمل لي بشكل خاص ما لذ وطاب من الأكلات الشهية والطيبة التي كانت تستهوي الصبية في عمري وعلى رأسها الكعك المقدسي الشهير. .

ومن ذكريات رمضان في قريتنا سلوان. تلك التي عشتها في مسجد القرية. حيث كنا كأطفال نلتزم في الشهر الكريم بحلقات لتعلم قراءة القرآن على يد مؤذن وخطيب جامع بير أيوب (الحاج عطا النيص) رحمه الله. والذي تعلمنا على يديه مبادئ القراءة الصحيحة المرتلة المجودة ومفاتيح اللغة العربية. وله أدين بالفضل بتعلقي منذ ذلك الوقت بالحب والاهتمام والإخلاص للغة العربية والمثابرة على قراءة القرآن حافظ اللغة وعنوان بقاءها وخلودها.

ومع توالي الأيام سرعان ما ينقضي شهر رمضان. والذي سيتوج بقدوم عيد الفطر السعيد. والذي كنا ننتظره كأطفال بفارغ الصبر والشوق. لما يحمل معه من بهجة وفرحة وسرور. فملابس العيد والعيدية وأكلات العيد ومشاريبه من الأمور التي لا تغيب عن البال..

وكان لا بد من مراسم خاصة لاستقبال الضيف الكريم عيد الفطر. فكان لزاما على أطفال حارتنا ذكورا وإناثا من أبناء العائلة ألا ننام تلك الليلة التي تسبق يوم العيد إلا ونقوم مجتمعين بتنظيف الحارة وكنسها لتكون على أحسن وجه لاستقبال العيد وزواره.

وفي الصباح نكون يثابنا الجديدة بانتظار رجال العائلة العائدين لتوهم من صلاة العيد. للحصول على العيدية التي كانت تدخل الفرحة والسرور في قلوبنا نحن الأطفال.

مع هذه الشذرات من ذكريات كانت وستبقى عالقة في الذاكرة والباقية في الروح. لأنها تحمل نفحات شهر رمضان وما يتلوه من عيد وما يحمله من سرور وبهجة خاصة أنها ذكريات حملتنا إلى أرض الآباء والأجداد. حيث عشنا أيام طفولتنا ودرجنا على مرابعها، وكل يوم يحدونا الأمل بالعودة إلى تلك الديار. ولنعيش رمضان وفرحة العيد، وفرحة النصر والعودة إلى أرض فلسطين. فعلى تلك الأرض ما يستحق الحياة.

صدر حديثاً

اغتصاب العقـل

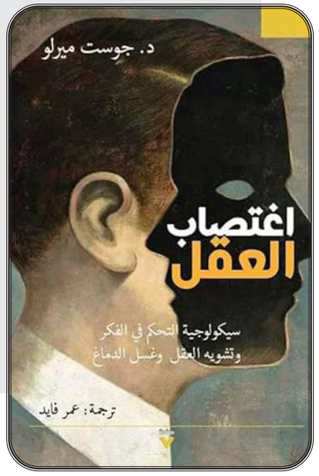

حسن شتيوي ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

صدر أول مرة مترجم عند دار»7« سبعة من أربع فصول. هو سيكولوجيا السيطرة على التفكير وإبادة العقل ترجمة (عمر كايد) للدكتور جوست ميرلو. يتحدث الكاتب «اغتصاب العقل» من أجل الأشخاص العاديين وليس من أجل الخبراء والعلماء.

في هذا يكشف عن حالات التحكم بالأفكار وغسيل الدماغ والقهر العقلي، وكيف يتم انتهاك العقل والكرامة الإنسانية، من هنا يعلمنا الكاتب كيف نخطو الخطوة الأولى تجاه تعلمنا المحافظة على حريتنا العقلية، وفهم واستيعاب الأفكار المطروحة وفهمها. ومن هنا يخبر المؤلف إذا لم تستطع التمايل على العدو أو مقاومة كلامه، فإن أفضل شيء تفعله أن تتكلم كثيراً، والهدف من وراء ذلك التصرف يتمثل في أن تتصرف بحماقة، والتظاهر بالجبن، وتعترف بأكثر ما يُطلب منك الاعتراف به. هذه طريقة الأشخاص السذج، لكن أكثر ما أربكهم؛ الأبطال الحقيقيون هم الذين صمتوا وقدرتهم على التحمل في سمِّ التعذيب والتقنيات الخاصة في عصرنا الحديث هي تحطيم عقل الإنسان وتحطيم إرادته بهدف انتزاع اعترافات والتأثير على عقل الإنسان وتحطيم إرادته وترويضه. هذا يقودنا إلى مفهوم الاستبداد للتلقين القسري التي تجعل الضحية في النهاية خاضعة لإرادة الجلاد، والهدف من سياسة الإخضاع، هو تحطيم عقل الرجال إلى فوضى عقلية واسعة النطاق وتشويش لفظي.

على الرجال أن يتعرفوا على الهجوم الخفي على سلامة الدفاع ومكافحته ما إذا تعرض عقل الإنسان لهجوم قاسٍ.

في الفصل الثاني:

وضح (بافلوف) حسب نظرية الكاتب أن علاقة الإنسان بالعالم الخارجي وبأقرانه من البشر تهيمن عليها محفزات تتمثل في رموز الخطاب. يتعلم الإنسان التفكير بالكلمات، وبلاغة الخطاب تعني حاجة الإنسان إلى التواصل مع أقرانه، وتدخل هذه مع علاقته بالعالم الخارجي من وحسب «النظرية البافلوفية» من أجل ترويض الإنسان ليكون في القالب المرغوب فيه، يجب عندها أن يصل الضحايا إلى النقطة التي يفقدون فيها وعيهم وإدراكهم العقلي؛ وأن حرية النقاش والتبادل الفكري الحر يعيقان الارتباطات الشرطية في ذلك، ومن أجل هذا يُغرس في نفس الضحية شعور الرعب والخوف وفقدان الأمل.

«بافلوف» صفته رائدًا في فهم السلوك.

في الفصل الثالث:

استخدام العقاقير في «الإخضاع»

يبين مدمني العقاقير من كل نوع

المتعاطي إلى حالة مزاجية من النشوة؛ في تلك الحالة من النشوة يعيد الإنسان ترتيب... وعليه أن أي شخص يحاول أن يهرب من الحقيقة باستخدام الكحول أو المخدرات لم يعد عنصرًا حرًّا لأنه لم يعد عنصرًا حرًّا في التحكم في عقله وتصرفاته.

أساليب إخضاع الجماهير في الجزء الثاني من الكتاب: من هذه الأساليب وصفها سلاحاً للإرهاب من خلال تشويه الحقائق وضرب التواصل البشري، وان الأسلحة التي يستخدمها المستبد ضد شعبه حتى يمكن أن يعكسها ضد العالم الخارجي وحرف الخاضعين عن مشاكلهم الحقيقية. وسلاح آخر يستخدمه لترهيب العالم حتى يخضع، هو سلاح الصدمة النفسية؛ مثال «هتلر» يبقي أعداءه في حالة من الارتباك المستمر والفوضى الدبلوماسية، لم يعرفوا ما هي الخطوات التالية، وبالتالي أن أسلوب الحرب النفسية هذه تُربك عقل الإنسان.

الشمولية والأفكار الشاملة والقائد الشمولي

على سبيل المثال من الواضح أنه يعاني من حاجة ماسة للتحكم في الآخرين، أو فرض قوة بلا حدود، وهذا في حد ذاته انحراف نفسي عادة ما يكون مرجعه إلى مشاعر راسخة بالقلق والإذلال وعقدة النقص.

وما وقع عليه أن الديكتاتور ليس مجرد رجل مريض، بل انتهازي شرس ولا يشعر بالامتنان للمساعدة التي يحصل عليها.

الخوف؟؟؟ الإرهاب:

يقصد المؤلف أن الخوف النابع من العلاقات الإنسانية في عصرنا قوي للغاية إلى درجة أن الخمود والموت العقلي عادة ما يكون جوابًا في اليقظة العقلية.

العقل البيروقراطي هو التحكم المطلق والملكية الإدارية وأداة الديكتاتور في الدولة الشمولية، وإنما في كل دولة شكلاً خفيفاً في ذلك الحكم.

هذا الشيطان يستحوذ على الإنسان بمجرد ان يثقله مسؤولية في الحكومة؛ هذا يتحكم في المؤسسات لتخدمه ولا تحكمه. في الدولة الشمولية من هنا ينخرط الإنسان في حديثه السياسي ويغير شيئًا من سلوكه، وكله حيال ما يعتقده الآخرون عنه.

فعاليات أكاديمية دار الثقافة في دمشق وبيروت

في اتحاد الشبيبة الديمقراطي اللبناني وصولًا إلى موقعه الإعلامي المميز ، مؤكدًا أن فلسطين شكّلت في وعيه «بوصلةً لا تنحرف ومعيارًا أخلاقيًا وفكريًا». وختم مروان عبد العال بأن «الكتاب يقيم محاكمةً سردية وأخلاقية، يفكك خطاب العنف المطلق من داخله، ويؤكد أن مقاومة الشعوب قادرة على كسر منطق الإبادة التي مرجعيته ايدولوجيا الشر وامبراطورية الشر مهما بدا جبروت الطغيان متجذرًا».

«في سلسلة لقاءاتها الثقافية، والتي تأخذ طابعا تعارفيا ثقافياً، استضافت أكاديمية دار الثقافة في مخيم مار الياس، الباحث الأكاديمي د. مهند عياش والباحثة د. رنا سكرية في أكاديمية دار الثقافة في مركزها في مخيم مار الياس في 19 شباط 2026.

قدمت منسقة الأكاديمية تغريد عبد العال الأكاديمي مهند عياش بأنه من سلوان من القدس وأنه بروفيسور في العلوم الاجتماعية في جامعة ألبيرتا في كندا، ومتخصصا في نظرية نزع الاستعمار وأن لديه مؤلفين، تأويل العنف والمؤلف الثاني بعنوان الألوهة والتحرر في فلسطين. وعرفت أيضاً عن الأكاديمية رنا سكرية أستاذة العلوم الاجتماعية الجامعة الأميركية في بيروت وبحضور الإعلامية سارة عياش التي تكتب في صحف ومواقع الكترونية.

وتحدث د.مهند عياش عن تجربة الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي عايشها عندما كان طفلا ومثلت بالنسبة له الهاما خاصا فنقلته الى عالم السياسة والكتابة والدراسة الأكاديمية عن الاستعمار. وقال عن كتابه أنه أكاديمي لكن يهمه أن ينقل الى الناس، لأن النخبة تعرف أما الشعب فلا يعرف. وتحدث عن الكتاب أنه يفكك أدوات المعرفة عن الاستعمار الاسرائيلي، أنه استعمار احلالي يستخدم الابادة والعنف

ونظمت أكاديمية دار الثقافة بمقرها في مخيم اليرموك بتاريخ ٢٠٢٦/٢/١٤، ندوة ثقافية وفنية بإدارة الزميل د. ثائر عودة عضو أكاديمية دار الثقافة، حيث استضافت فيها الباحث والمؤرخ السوري الكبير أحمد بوبس الذي تحدث عن حضور فلسطين في الأغنية العربية عبر مراحل تاريخية بعينها وسياقات تاريخية دالة، ربطا بتطورات القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة، وقد انطلق الباحث في توثيقه للأغنية عبر مصر ولبنان وسورية، حيث شهدت هذه البلاد صعودا ملحوظا للأغنية الملتزمة في عقدي الستينيات والخمسينيات من القرن الفائت، فقد انعكست قضية فلسطين في أغانى تلك المراحل مشحونة بزخم الوجدان والغضب متعالقة بوجدان الشعب العربي تحريضا وتعبئة واستنهاضا، وقد أعقب الندوة حوارات وتعقيبات شديدة الأهمية من قبل الحضور من الأكاديميين والمثقفين والكتاب والأدباء والمهتمين بالشأن الثقافي.

إسرائيكا

مروان عبد العال

إسرائيكا ليست دولة، ولا مجرّد تحالف؛ إنها مجازٌ لبنيةِ قوّة واحدة تتوزّع أدوارها: عقلٌ يخطّط في واشنطن، وذراعٌ تنفّذ في تل أبيب، وخطابٌ يُعاد تدويره إلى العالم مغلّفًا بمفردات القيم. ما يُقرّر هناك يُختبر هنا، ثم يُسوّق باعتباره دفاعًا عن النظام الدولي. ليست سياسةً بالمعنى التقليدي، بل نمطَ سلطةٍ يعمل كجهازٍ حيّ: يتغذّى على فائض القوّة، ويستمرّ بقدر ما يُحسن إدارة الصورة.

إسرائيكا في زمن «نظام التفاهة» الذي وصفه آلان دونو، لا تحتاج طغاةً صاخبين؛ يكفيها مديرو أداء بوجوهٍ هادئة يوقّعون على الخراب كما لو كانوا يحدّثون جدول بيانات. الحروب تمرّ كإجراءات امتثال، والعقوبات كتصحيح مسار، والاغتيالات كبنودٍ في دفتر الخيارات. يتكلمون عن الحوكمة وحقوق المرأة والطفل، ثم يطلبون تصفيقًا لآلةٍ لا ترى في البشر إلا أرقامًا قابلة للإدارة.

إسرائيكا كما تكشفها قضية جيفري إبستين، تُجيد إدارة الفضائح لا إخفاءها. تتحوّل الانتهاكات إلى شبكات نفوذ، والعار إلى ورقة ضغط، والابتزاز إلى تقنية حكم. هنا يُعاد تعريف الإنسان: الطفل معادلة أمنية، والمرأة مادة خطاب، والضحايا مؤشرات في بورصة الدم. الأخلاق لا تُعدم فجأة؛ تُفرّغ من معناها وتُعرض للبيع في سوق الرموز، بينما الإعلام يختصر الألم في وثائق مختومة ويسأل ببرود: أين الدليل؟

إسرائيكا تتكلم السلاح لغةً أمًّا، وتتقن ارتداء السلام قناعًا أنيقًا. تزويد إسرائيل بأسلحة فتاكة، مقرونًا بحمايتها دبلوماسيًا في المحافل الدولية، لا يصنع "تواطؤًا" فحسب بل شراكةً كاملة في هندسة القوّة. الديمقراطية عنوانٌ في ديكورٍ متنقّل: تُرفع عند الحاجة وتُطوى عند المساءلة. ومن يصرّ على التسمية الدقيقة – إبادة، استعمار، جرائم حرب يُتّهم بتهديد "النظام الأخلاقي"، أي النظام الذي لم يعد أخلاقيًا أصلًا.

إسرائيكا هي رمز الحرب، شعار الموت المتواصل وامبراطورية الشر التي لا تشبع من الحرب؛ كلّ جولة تجرّ أختها كما لو أنّ العنف خطّ إنتاج لا يتوقف. العدوان يصير سياسةً دائمة، واغتيال القادة ويُذكر بينهم المرشد الإيراني الامام الخامنئي .. يُقدّم كبند عادي، على مدار الكرة الأرضية من فانزويلا الى كوبا مرورا بلبنان الى إيران والبقية تأتي، ينتهك الاخلاق والضمائر والانسانية قبل ان يكون خرقاً للقانون الدولي، بل ان قانون الغاب يتحول نظام معتمد للعنف والقوة والبلطجة والتآمر واللعب بالأنظمة، الذي يُسوّق باعتباره "إعادة ترتيب إقليمي". هكذا تتحوّل الكارثة إلى إجراء، والدم إلى تقرير، والإنسان إلى ملفّ يُستثمر لإطالة عمر آلة القتل الامبريالية المتوحشة.

إسرائيكا ليست مجرد شعارٍ أو كيان سياسي؛ إنها مرآة تكشف الطبيعة الحقيقية للهيمنة العالمية، حيث تتحوّل العظمة من حماية حياة البشر إلى فرض التفوّق بالقوة والهيمنة. حين يُرفع "دعوا أميركا عظيمة مجددًا"، يُكشف في الواقع عن مشروع أوسع: جعل إسرائيل الكبرى حقيقة، او أقله محورًا يُعاد ترتيب الإقليم والعالم من حوله، كفعل عدواني يغتصب كل شعوب المنطقة على طريقة اغتصابات جيفري ابستين، هكذا يستعاد تشكيل القيم والموازين. بين ترامب ونتنياهو ليس تعاونًا ولا ازدهارًا مشتركًا، بل تفوّقٌ يُفرض كقيمةٍ كونية، يُسوّق للعالم كحقٍّ طبيعي، ويعيد تعريف السياسة والأخلاق بما يخدم استمرار آلة السيطرة بلا مساءلة، بلا ضمير، وبلا رحمة.

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية